

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية

شارك في هذا العدد الأساتيذ:

محمد السائح
عبد الله كنون
سيد حسين نصر
محمد بن تاويت
عبد القادر زمامة
محمد الحمداوي
احمد عبد السلام البقالي
عبد الكريم التواتي
محمد عبد الملك الكتاني
عبد العلي الوزاني
عبد السلام الهراس
محمد بنعبد الله
سامي الكيالي
محمد المنتصر الريسوني
جليلة رضا
محمد زنزاف
محمد الحلوي
محمد الوزير
محمد بن علي العلوي
ممدوح مولود
علال بن الهاشمي الفيلالي
عبد الرحمن بنعبد الله



العدد الثاني
السنة الثانية عشرة
رمضان – شوال 1388
ديسمبر – يناير 1969



وفاة الأمير الجليل مولاي الحسن بن يوسف

في مساء يوم السبت 4 يناير ، انتقل الى عفو الله ورحمته سمو الامير الجليل مولاي الحسن بن السلطان المقدس مولانا يوسف عم صاحب الجلالة حفظه الله اثر نوبة قلبية مفاجئة بسبب توقف محلي في عضلة القلب ، وتعقد هذه الحالة بارتفاع الضغط الحركي في الرئتين .

وقد شيعت جنازته في محفل رهيب حيث حضر مراسيم الجنازة صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده الذي كان محفوفا بصاحب السمو الملكي الامير الجليل مولاي عبد الله ، وأصحاب السمو الامراء ، وأصهار جلالة الملك وأفراد عائلة الفقيد ، وبعض أعضاء السلك الدبلوماسي الاسلامي والسادة الوزراء وكبار الموظفين والشخصيات .

وقد نقل الجثمان الطاهر على متن سيارة عسكرية الى « مسجد أهل فاس » مخفورا بفرقة من القوات المسلحة الملكية .

وبعد صلاة العصر أقيمت صلاة الجنازة ترحما على روح سمو الامير مولاي الحسن .

وحضر الصلاة مولانا امير المومنين وصاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله وكبار الشخصيات .

واثر ذلك نقل الجثمان الى ضريح مولاي الحسن حيث جرت مراسيم الدفن .

وكان صاحب الجلالة أيده الله يتقبل التعازي بهذه المناسبة الاليمة .

حياة الفقيد

ولد صاحب السمو الامير مولاي الحسن بن السلطان المولى يوسف بن السلطان المولى الحسن الاول سنة 1909 في نفس السنة التي ولد فيها أخوه الاصغر صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس وهو ثالث اخوته الاربعة .

درس بالقصر الملكي حيث تفقه في العلوم الدينية والعلوم العصرية كما كان

العدد الثاني
السنة الثانية عشرة
رمضان - شوال 1388
ديسمبر - يناير 1969
ثمن العدد : درهمان

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب ، الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
التلفون 10-308 ـ 03-327 ـ الرباط

كلمة العدد



الاسلام والمسلمون الآن ، بحضارتهم وثقافتهم واخلاقهم وجميع مقوماتهم المادية والمعنوية ، أمام تيارات جارفة ، وهذه التيارات وان اختلفت اتجاهاتها فمصدرها واحد .. وهو مادية الحضارة ومادية التاريخ ومادية الحياة بسائر مظاهرها واساليبها .

والمسلمون لهم رسالة في الحياة يؤدونها ويمارسونها منذ تخلت الديانات الاخرى عن واجبها في هذه الرسالة .. ورسالة المسلمين هي السير بالانسان — من غير نظر الى لونه أو جنسه — في طريق معبد سليم تتحقق فيه العدالة والطمانينة والثقة .. وتجد فيه رغبات الانسان ما يقومها ويهذبها .. كما تجد فيه روحه ما يطهرها ويسمو بها نحو الكمال الممكن .. مع العمل والجد في حياة لا يسود ولا يعيش فيها الا العاملون المجدون ..

وسعادة الانسان كانت وما تزال في فهم الحياة وفهم الطبيعة البشرية فهما صحيحا وهذا الفهم يؤدي حتما الى الانسجام بين الماديات والمعنويات .. والموازنة بينهما في كل شيء يصل الانسان بالحياة .. أو يصله بذاته الخاصة ..

والتيارات التي نعيشها الآن لها مصدر واحد هو مادية الحياة .. وعلى ضوء هذه المادية نجد مسلك الانسان ينحرف تدريجيا بشعور أو بغير شعور الى جحيم من التناقضات .. والمآسي والتفاهات .. لان الانسان اذا نفض يده من روحه .. واخلاقه .. وضميره .. وربط كل شيء بمصلحته المادية الظاهرة اصبح وحشا ضاريا لا يالف الحياة الا مع الوحوش الضواري .. وتكونت اذ ذاك رغبات جامحة متعاكسة متناقضة متصارعة تسير بالانسان وحضارته وثقافته الى الدمار والخراب .. ما دام لم يكن هناك سند يرجع اليه الجميع وهو الايمان والثقة والحق ..

ومن المشاهد الآن ان المسلمين لهم امام هذه التيارات الثقافية والحضارية ثلاث اتجاهات :

الاتجاه الاول :

هو التعامي والتناسي والجمود ، واصحاب هذا الاتجاه لا يريدون ابدا ان يفتحوا أعينهم على ما جد في حضارة العالم وثقافته .. ويعتبرون ان كل شيء من ذلك شر لا خير فيه .. لا للدين ولا للدنيا .. وبذلك يغلقون الابواب امام كل ما يمت الى الحضارة بصلة ..

الاتجاه الثاني :

هو اخذ كل شيء وهضم كل ما جد في الماديات والمعنويات .. مع التنكر لاخلاق الاسلام ومبادئه وحضارته وثقافته واعتبار ذلك كله وسيلة من وسائل التأخر والانحطاط ، وأصحاب هذا الاتجاه يعملون جادين نحو هدف واحد هو تقمص الجديد مهما قل نفعه أو كثر ضرره لانه هو الرقي وهو التقدم ..

الاتجاه الثالث :

هو اتجاه الاختيار والانتقاء فلا ينكر أن في الحضارة المعاصرة خيرا الى جانب الشر .. وصلاحا الى جانب الفساد ونهوضا الى جانب الخمول .. وهذا الاتجاه هو الاتجاه الواعي الصحيح الذي يجب أن يتسع أفقه ويكثر أنصاره .. ليقبل المسلمون على الاخذ والتزود والاستفادة من حضارة العصر وثقافة العصر .. والسباق نحو الرقي الصحيح والتقدم الحقيقي والسمو الممكن في الماديات والمعنويات مع الحفاظ على الاساس الروحي للثقافة الاسلامية والرجوع الى منبع الطهر وهو الايمان بالله .

والعالم اليوم في حاجة ماسة الى رسالة المسلمين باحيائها والنهوض بها لتحفظ للبشرية توازنها الذي كاد ينهار بمفعول التيارات المادية الجارفة ..

وهذه الرسالة مدعوة الآن الى عملية شاقة وهي عملية الانتقاء والاختيار .. لئلا يعيش الشباب المسلم في تناقضات غريبة .. ولئلا تبتلعه المادية المغرية فيفقد كل شيء .. من اخلاقه ودينه ..

ولا سيما اذا كانت هذه المادية المغرية قد تسربت الى كل ميدان من ميادين النشاط الحضاري والثقافي .. وعبأت سائر قواها لغزو الافكار والعواطف .. في الكتاب ، والصحافة المصورة .. والناطقة .. والخرساء .. وبوسائل أخرى مكشوفة.. ومقنعة ..!

دعوة الحق



تفضل صاحب الجلالة امير المومنين وحامي حمى الوطن والدين مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده ، واطال عمره فاختتم الدروس الدينية الرمضانية التي ترأسها جلالته بضريح جده المنعم مولانا الحسن الاول حيث القى حفظه الله درسا قيما ، كدأبه في السنوات الماضية ، وقد تناول فيه حفظه الله وأيده تفسير الآية الكريمة التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، فابين ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما ! جهولا ! »

وقد ضمن جلالة الملك العالم تفسيره لهذه الآية الكريمة التفاتات واقعية واجتهادات شخصية مطابقة لمقتضيات عصرنا الحاضر كما اكد حفظه الله تفسيره لهذه الآية الكريمة اطلاعه الواسع وخبرته بدقائق التنزيل وفهوما نيرة لا تتاح الا لمن اوتي الحكمة وفصل الخطاب .

وفي آخر الحفل الديني أعلن صاحب الجلالة الملك المعظم امير المومنين انه سيتم ابتداء من شوال تنظيم احاديث في آخر خميس من كل شهر تتناول اما التاريخ أو الفقه أو الاصول أو الحديث أو الادب

وفيما يلي تتشرف مجلتنا بنشر النص الكامل لدرس العاهل المعظم الحسن الثاني نصره الله وأيده :

الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين

ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من امرنا رشدا .

رب ، قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تاويل الاحاديث. فاطر السموات والارض ، انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين .

اما بعد :

فان اصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

قال الله سبحانه وتعالى في سورة الاحزاب : بعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم « انا عرضنا الامانة على السماوات والارض ، والجبال ، فابين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما ، جهولا » !

حضرات السادة

جرت العادة منذ ان بدانا تحيي ليالي رمضان بذكر قول الله سبحانه وتعالى وتفسيره بترويح احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ان نشاركم شيئا ما في اختتام هذه الاحاديث ، ولم تكن مشاركاتنا مشاركة ند لكم ، من حيث التعلم والصناعة والفقه والحديث ، ولكن مشاركتنا لكم لها اساسان :
الاساس الاول : ان النصيحة التى اوجبها الله على جميع المؤمنين في حق من ولاه الله امرهم ، اوجبها من باب التبعية على امير المؤمنين هو الاول بالنسبة لرعيته .

الاساس الثاني وهو ان نحاول جهد المستطاع ان نظهر بتواضع وان نستسمح الله فيما يمكن ان نرتكب من اغلاط، لكل شاب شاب ، نشا مثل نشاتنا ، وتلقى مثل تربيتنا ودرس دراساتنا وتثقف بازدواجنا، انه اذا فتح الله قلب الانسان وبصره وبصيرته امكنه ان يدلي ولو بنصيب قليل في تعريف الاسلام ، وفي تفهيمه بطريقة عصرية واضحة غير تقنية ولا علمية .

وقبل ان نشرع في تفسير هذه الآيات ، التى اعتبرها من اخطر ءايات كتاب الله العزيز اود ان اوجه باسم جميع المستمعين والنظارة وباسم جميع المسلمين القانتين الصائمين الى علمائنا ، وعندما اقول علماءنا اعني علماء الاسلام ، مغاربة كانوا او غير مغاربة ، اريد ان اشكرهم جزيل الشكر على ما قدموا من دروس وعلى ما فتحوا به اذهاننا من معلومات وعلى ما اتوا به الشيء الذى سهل وسيسهل علينا ان نحيط احسن الاحاطة بديننا وبسنة نبيئنا حتى لا تزيغ اقدامنا وحتى لا نرتكب الاخطاء ، فلا خير في عالم اذا هو لم يعلم ولم ينتفع المسلمون بعلمه .

ولكن ولله الحمد ، ابت عناية الله الا ان هدتنا الى احياء هذه السنة الطيبة الفاضلة باستدعاء علماء المسلمين من مشارق الارض ومغاربها ليتذاكروا ويتباحثوا وليكونوا مثالا حيا لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في احد احاديثه او كما قال : افضلكم الذين اذا رؤوا ذكر الله

فانتم معشر العلماء اولا باحجامكم المحترمة ، وبافكاركم النيرة وبدروسكم الثمينة من اولئك الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : « افضلكم الذين اذا رؤوا ذكر الله» فطوبى لكم وجازاكم الله عنا خير الجزاء

◆ ◆ ◆

منذ ثلاث سنوات قررنا ان نضع اللبنة الاولى لدار الحديث حتى تلقح علماءنا الشباب والكهول بتلقيح جديد ، وحتى نعطي لهذه المادة مادة الحديث معناها الحقيقي ، فكنا نسمع بالمحدث الذى يعرف الاصول ويتقن كتاب الله حتى لا يلحن في كلام الله او كلام رسول الله وعلى بال وبينة تامة من الفقه والقانون ولكن لم نكن نسمع محدثا يحاول ان يستنبط من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ءايات كتاب الله القواعد العصرية الفقهية التقنية العلمية التى من شانها ان تجعل من مجتمعنا هذا مجتمعا مثالا للحضارة بل يتقدم تلك الحضارة ، لا مجتمعا راكدا او يطلق عليه الناس انه مجتمع راكد .

ومع الاسف اذا حاولنا ان نحلل عناصر الانحلال في شباب الاسلام نجد انه غير مسؤول على ما هو عليه لانه في الحقيقة يجهل دينه ويجهل سنة رسوله ويجهل كتاب الله وبكل تواضع اريد هنا ان اعترف انه من درس المكي الناصري بالامس تعلمت الشيء الكثير الذى كنت اجهله وقد فتح لي نافذة جديدة في ذهني والحالة هذه انني كنت شغوفا بدراسة القانون وبالاخص دراسة القانون الاداري والدستوري، فاذا كانت حالتي هي هذه فكيف تكون حالة الملايين من الشباب الذين لا علم لهم بالعربية ولا بالآداب العربية ولا بالحديث ولا بالقرآن ؟

فدار الحديث اول واجباتها ان تفتح الآفاق للبحث والتلقيح ، وانني في المستقبل سوف اشترط لدخول دار الحديث ان تكون للمرشحين في الليصانص في الحقوق قبل ان تعطى لهم اجازات لانه لا خير في فقيه اذا لم يعرف اسباب التشريع واذا لم يعلم بروح التشرع ، ونية المشرع ، وما يريده المشرع .

فتلك هي فلسفة القانون وتلك الدراسات والمقارنات هي التى ستمكنهم من ان يكونوا علماء حقيقيين وتعميما لهذه الروح، روح التماسك والتسابق قررنا ان نجمع جميع المجالس العلمية بالمغرب او المدارس لكي نعطي لكل واحد منهم في هذه

المجالس نسخة من تفسير القرءان لابن عطية وان نضرب لهم موعدا في رمضان المقبل حتى يتبارى كل العلماء ، وتتبارى كل المدارس في الاتيان باكورة عملها وبما اتبعته من التفكير والتصحيح .

وسوف يعطيكم وزير الاوقاف مصحوبا بوزير دولتنا في الشؤون الثقافية والتعليم الاصلي في حفل رسمي خاص هذه النسخ ، حتى نرى عملكم ان شاء الله في السنة المقبلة .

والآن لنرجع الى الآية التي بعون الله سنحاول تفسيرها وشرحها

اعتبر ان هذه الآية منقسمة الى قسمين في مبناها وفي معناها :

القسم الاول : قوله تعالى : ((**انا عرضنا الامانة على السماوات، والارض، والجبال، فابين ان يحملنها واشفقن منها !**))

والقسم الثاني قوله تعالى : ((**وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا**)) وستبين ان هذه الآيات مختلفة في المبنى والمعنى تمام الاختلاف ونبدا اولا بشرح المفردات .

انا عرضنا ، بمعنى عرض . فكان الله سبحانه وتعالى ، وانا اجله عن هذا التمثيل ، بمثابة انسان له دكان عنده سلع وبضاعة ويعرضها على المشتري او المقتني ...

« انا عرضنا الامانة » ، والامانة هي ضد الخيانة يقال فلان خائن وضده فلان امين والامين هو الذي يحافظ على ما اؤتمن عليه ولو ادى به ذلك الى ان يعرض نفسه واهله وماله الخاص للخطر ، انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال

فابين ، ابى بمعنى رفض وقد جاء لفظ الرفض لفعل «ابى» في القرآن في حق ابليس حينما امره الله بالسجود فابى واستكبر ولكن الفرق بين رفض الجبال والسماوات والارض وبين رفض ابليس هو ان ابليس ابى واستكبر على الله سبحانه وتعالى .

اما الجبال ـ ابين واشفقن ـ اما الاول فقد ابى واستكبر بدون تعليل واما السماوات والارض والجبال ابين فاشفقن .

والاشفاق له معاني كثيرة يقول علماء اللغة ـ انه الاحذار وانا باجتهادي الخاص افضل الزهد

فزهدن في المسؤولية ، اما الاحذار ففيه نوع من الخوف وعدم التصرف ونوع من الاجبار . اما الزهد ففيه نوع من الحرية والاختيار ، مثلما يقال عرضت على فلان القضاء فزهد بمعنى امتنع حينما قدر مقومات هذه المسؤولية وحينما قدر راحته وراحة ضميره بعد اختيار مرير وطويل زهد في القضاء وزهد في الرتبة وزهد في الشهرة حتى يبقى في حل واستقامة وطمانينة مع ضميره فانا افضل من الناحية اللغوية هنا لفظ الزهد على لفظ الاحذار

هذه الآية الاولى

اما الآية الثانية: حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ، حاولت ان ابحث في جميع القراءات هل ساجد حملها وحدها او تحملها او حملها بضم الحاء لكان المعنى متعكسا تماما لما سنحاله ولكن كانت القراءات كلها هي ـ وحملها الانسان ـ بفتح الحاء ـ اي حملها الانسان عن طواعية واختيار وحينما وصف بظلوم جهول كانه يتهافت عليها وهو يطلبها من الله انه كان ظلوما جهولا . ظلوم جهول هي صيغة المبالغة هل لكثرة ظلمه وجهله سمي ظلوما جهولا ؟

انا اظن انه لا ظلوما جهولا ـ لاستمراره في ظلمه وجهله لاستمراره كبشر ، ولاستمراره كجنس بشري ، كسلسلة تشد حلقتها الحلقة الاخرى منذ خلق الله ءادم الى يومنا هذا واستمراره في الظلم كبشر منذ ولادته الى مماته ، واستمرار ءابائه من قبله وابنائه من بعده، استمرار الجنس البشري هو الذي في نظري برر استعمال صيغة المبالغة ظلوما جهولا

هنا يمكن ان نسبح في بحر لا ساحل له ، اذا نحن فتحنا الباب لماذا لم يسبق جهولا على ظلوما لان المسؤولية هل تقتضي ان الانسان يكون ظالما قبل ان يكون جاهلا ام تقتضي ان يكون جاهلا بالمسؤولية فيصير بذلك ظالما وعلى كل حال سوف لا نفتح هذا الباب لانني كما قلت لكم هذه الصناعة وهذا الفن ليس من اختصاصاتي ولا اريد ان ءاتي ببدع في هذا الباب فالمعول على العلماء والفقهاء ليدرسوا هذا الباب وليأتونا بنتائجهم في هذا المضمار .

نحن الآن فسرنا هنا المفردات فلنحاول الآن ان نعمل هنا مقارنة بين الآية الاولى والآية الثانية



صاحب الجلالة يتتبع باهتمام الدروس الرمضانية

المقارنة فى المبنى كان الله سبحانه وتعالى وهو الذى يقول فى كتابه بانه يكرم ابن ءادم كأنه فى حديثه الطويل بالنسبة للجمادات والحالة انهاليست جمادات يطيل ويكرم السماوات والارض والجبال ولا يكرم ابن ءادم فالله سبحانه وتعالى يقول :

انا بجلالة قدرنا تنازلنا فعرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال

واتى سبحانه وتعالى برفضها ثم اتى سبحانه وتعالى بتبريرهن لرفضهن فكانت الجملة طويلة مفسرة محللة لنفسية الله سبحانه وتعالى لنفسية العارض والمعطي ولنفسية الرافض فكانت جملة طويلة شافية للبحث، ثم : قف . وبعد، نرى: **«وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا »** فكان القاريء يمكنه بل يجب عليه أن يقرا الآية الاولى بشيء من البطء وبما ان الانسان خلق من عجل فكأنه يجب على القاريء ان يمر بسرعة على الآية الثانية لان تركيبها والفاظها وحروفها تتطلب الاسراع **« وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا .»**

كل واحد يمكنه ان ينطق بهذه الآية بسرعة

واتحداه ان ينطق الآية الاولى بسرعة هذا هو الفرق من ناحية المبنى

اما من ناحية المعنى لماذا اشفقت الجبال واشفقت السماوات والارض وابين المسؤولية والامانة ولماذا حملها الانسان هل لان السماوات والارض والجبال جامدة والانسان متحرك ؟ لا

هل لان السماوات والجبال والارض ميتة والانسان حي ؟ لا ابدا لان العلوم الحديثة اظهرت لنا بان السماوات والارض والجبال متحركة ولا حياة الا بقدرة السميع العليم

السماوات السبع والكواكب والنجوم وما يقع فيها وما يعرج اليها وما يتلقى السمع فيها والجراثيم التى نراها والتى لا نراها والحياة الميكروبيولوجية التى ربما تكون موجودة على سطح الاقمار وعلى سطح الكواكب والتى لا نعلمها كل هذا يدل على ان السماء متحركة حية .

والارض ، نعلم الآن من العلماء الذين لهم شغف بالتنقيب عما فى تخوم الارض بأن الارض حية زيادة على انها متحركة وكل منا يعلم ان الارض تدور حول نفسها وانها تدور حول الشمس حسب قواعد كيبلر المنجه المشهور « فكل فى فلك يسبحون » « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار » .

اما حياتها فهي حية لانه مرارا نرى اراضي قد يخسف بها وتغطيها البحار ونرى جزرا تخرج من قعر البحار ونرى جبالا تنزلق ومعلوم ان هذه العمليات وهذا التغير يكون على ءالاف السنوات ولكن هذا يدل على حياة الارض وحركاتها.

فاذا كان الانسان حيا وهذه المخلوقات الاخرى حية وكان الانسان متحركا وهذه المخلوقات الاخرى متحركة فما هو السبب فى كون الله سبحانه وتعالى قبل من السماوات والارض والجبال رفضهن للامانة والحالة هذه اننا سمعنا فى درس البارحة انه اذا لم يوجد الا انسان ليوظف فى وظيف معين ولو ابى ان يوظف ويجلد ويسجن ولكن لان الله سبحانه وتعالى عنده احسن من هذه الجمادات عنده الانسان .

الانسان الذى اهله لذلك .
الانسان الذى رباه على ذلك
الانسان الذى باهى به بين ملائكته
الانسان الذى اراد ان يستخلفه فى الارض

الانسان الذى قال له سوف نعلمك الاسماء كلها، وسوف نعلمك كيف تكون هذه ، وكيف تكون تلك وسوف نعطيك من السلاح وسوف نعطيك من العلوم ما يمكنك على الاقل فى القرون الاولى ان تعيش حياة ممكنة على سطح الارض

قال تعالى فى سورة البقرة : « وعلم ءادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين، قالوا: «سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم، قال يا ءادم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »

فكان الله سبحانه وتعالى حينما اناط بآدم المسؤولية اراد ان يظهر لملائكته ان ءادم قادر على تحملها وذلك حينما تحداهم ءادم واجتاز ذلك الامتحان ونجح

فعندما يكون بالطبع ءادم مؤهلا لخوض المعركة لحمل الامانة وفى نظري ان الامانة هنا هي المسؤولية وسوف اتطرق الى هذا الباب من بعد .

من الطبيعي ان يمر عليه قول الله تعالى مر الكرام ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا .

الآن وقد حاولنا باختصار ان نشرح الفرق بين اباء السماوات والارض والجبال واشفاقهن وبين قبول بل تهافت بني الانسان الى تحمل المسؤولية وقد شرحنا الاسباب التى ـ فى نظرنا ـ دعت بني ءادم ان يتحمل المسؤولية ذلك لان الله اهله بما لقنه من علوم ومعلومات ، لنتطرق الى الكنه والمغزى الحقيقي لهذه الآية الا وهو لفظ الامانة .

الامانة فى الاسلام

الامانة فى الاسلام لا الامانة الفقهية ، لا الوديعة ولكن الامانة المنوط بها الاحسان وهو الضمير المهني والمنوط بها الايمان والمنوط بها المواطنة الصادقة والمنوط بها مسؤولية الراعي كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته .

وما هي مرتبة الامانة من الواجبات الاخرى فى الدين الاسلامي .

الامانة هي من باب المعاملات سواء كانت خاصة او كانت عامة ولا نرى ذكرا لمعاملة كيفما كانت لتكون من علامات قيام الساعة الا فيما يخص ضياع الامانة نعم نراها فى ضياع العبادات او اركان الاسلام الخمس اما فى المعاملات لا نرى معاملة غير الامانة يضرب بها موعد لقيام الساعة والصحيح فى ذلك هو حديث مسلم الذى يحفظه كل واحد منا عندما يكون فى المدرسة الثانوية ستة او سنتين بعد الشهادة الابتدائية والذى يقول فيه : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبته الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد : اخبرني عن الاسلام .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الاسلام ان تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا .



جانب من السادة الوزراء في انتظار استئناف الدروس ...

قال : صدقت، هذا جبريل يقول للنبي صلى الله عليه وسلم صدقت. قال سيدنا عمر فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال سيدنا جبريل فأخبرني عن الايمان قال :

أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره ويزاد حلوه ومره والله اعلم

قال صدقت قال :

فأخبرني عن الاحسان قال أن تعبد الله كانك

تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . قال :

فأخبرني عن الساعة :

قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .

قال :

فأخبرني عن اماراتها قال أن تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبث مليا ثم قال لي يا عمر اتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله اعلم ، قال فانه جبريل اتاكم ليعلمكم دينكم »

نكتة

هنا نكتة من ناحية صناعة الحديث اريد ان الفت نظر المحدثين اليها . اننا تعلمنا أن هناك صنفين من الحديث :

الحديث القدسي

والحديث العادي

فالحديث القدسي هو الذي يتكلم فيه النبي صلى الله عليه وسلم باسم الله ..» ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته حراما بينكم فلا تظلموا

والحديث العادي: انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى .

ولم يبوب اي محدث بهذا النوع من الحديث الذي يأتي فيه جبريل فيخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فلا هو بالحديث العادي

ولا هو بالحديث القدسي فانني اضع هذا السؤال واطرحه امامكم لعله يجد قريبا الجواب عنه .

طيب، يمكن للقائل ان يقول قلت ان الامانة هي القاعدة الوحيدة فى المعاملات التى جاءت كامارة اذا هي ضاعت لوقوع الساعة ولم ار هنا لفظ الامانة او اسمعه بكيفية جلية .

هناك حديث ءاخر رواه البخاري فى صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة ، قيل يا رسول الله وما اضاعتها ! قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« اذا وسد الامر لغير اهله او اذا اسند الامر الى غير اهله » فهذه هي الخلاصة التى تفسر لنا ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون فى البنيان ، الامانة قيام الساعة .

معنى الساعة

للساعة معنيان : المعنى الميتافيزيقي حينما تقوم الساعة الساعة معروفة ومع الاسف العامة فى بلاد الاسلام والشعوب فى بلادنا السائرة نحو النمو الساعة عندهم هي ان تفنى الارض ومن عليها والحالة هذه انها هي ساعة وساعات لكل بلد ساعة لكل نظام ساعة لكل قارة ساعة لكل حضارة ساعة متى اذا اسند الامر الى غير اهله .

واذا اسند الامر فى بلد ما او فى قارة ما او فى مجموعة بشرية ما الى غير اهله فانتظر الساعة ، وما هي هذه الساعة.

ان التاريخ قد علمنا ان الشعوب يمكنها ان تتغلب على عدة مصاعب ومتاعب ، يمكنها بالاخص ان تتغلب على الصعاب والعراقيل المادية حيث ان الانسان خلق فى هذه الارض ليكافح كفاحا مستمرا وجهادا غير منقطع ولكن حينما ترى هاته الدول وهاته النظم نفسها امام مشاكل عقائدية او مشاكل مذهبية او مشاكل خلقية . وحينما ترى الاعوجاج فى سلوكها والبدع فى معتقداتها والفسوق فى اخلاقها ولا تريد ان تحارب هذا الاعوجاج ولا تريد ان تقوم تلك الاخلاق هناك تقرم ساعتها لماذ ؟ لان الفساد لا يقاومه الا الطهر ولا يقاوم الفاسقين الا ذوو الاخلاق ولا يقاوم الخائنين الا المخلصون ولا يقاوم المبتدعين الا السنيون القائمون بالقسط .

فمتى اعطى الله لبلد قادة كانوا غير صالحين دينا ودنيا الا وواكبهم او واكب عصرهم بفتن فى اموال رعيتهم وفى اعراض رعيتهم وفى معتقدات رعيتهم فتصير اذ ذاك الرعية دون راع ف :

اذا كان الرب للطبل ضاربا
فلا تلم الصبيان فى حالة الرقص

فاذا كان الراعي فى حالة انحلال او كان لا يعطي اي وزن للفضيلة الاسلامية او للاخلاق الاسلامية فكيف تريدون ان يقاوم باسم الله وباسم كتابه وقول نبيه صلى الله عليه وسلم فتكون اذن المتناقضات .

اما اذا وهب الله لامة ما او مجموعة ما رؤساء مهذبين بآداب الاسلام حافظين لعقودهم ولضمائرهم محافظين على لغتهم ودينهم وشعائرهم اذ ذاك ولو تاتي زوبعة من حيثما اتت ، ولو تاتي جرائيم وكيفما كان نوعها لا يمكنها ابدا باي حال من الاحوال ان تنخر جسد تلك الامة او تصيره غير قابل للاصلاح والتلقيح .

الامانة هي المسؤولية

فالامانة اذن هي المسؤولية التى يتحملها كل واحد منا ، والمسؤولية تنقسم الى قسمين :

المسؤولية المطلوبة

والمسؤولية المفروضة

كل منا يجد نفسه امام نوع من المسؤوليات امام النوع الاول المسؤولية المفروضة ازاء ربه حينما يبلغ سن الرشد ، المسؤولية البيتية حينما يتزوج ويكون له عيال ، المسؤولية المهنية حينما يحترف حرفة خاصة لائقة به من الحرف الغير العمومية هذه هي المسؤولية المفروضة احببنا ام كرهنا . عندما تبلغ سن الرشد يجب علينا ان نتحمل مسؤولياتنا الدينية بمعنى أن ننهض بالامانة الدينية وان نقيم الشعائر الدينية وحينما نتزوج وحينما نقرر ان نتزوج يجب علينا ان نقوم بمسؤولية بيتنا وبالاخص مسؤولية ابنائنا من تربية وتغذية وكساء وايواء .

وحينما نمتهن مهنة من المهن ونحترف حرفة من الحرف لا بد لنا من ان نتحمل المسؤولية والا قضت علينا المزاحمة وصرنا بعد شهرين او ثلاثة اشهر

غير محترفين ولا ممتهنين بل صرنا مساكين فقراء نمد اليد

هذه هي المسؤوليات المفروضة وهناك المسؤوليات المطلوبة وهي المسؤوليات التي يطلب من فلان وفلان او جماعة لما عرف فيها من كفاءة ودراية ان تتحمل مسؤولية معينة في الزمن وفي المكان

تحمل هذه المسؤولية في نظري اخطر من تحمل الاولى لان الاولى :

اذا لم تكن الا الاسنة مركبا
فما حيلة المضطر الا ركوبها

فهي المسؤولية المفروضة فاذا اخل الانسان مسؤوليته ولم يتوفق في حفظ الامانة في النوع الاول صار اثمه عليه ، ومن معه ولم يواخذه المجتمع ويصير ذنبه ذنبا خاصا به وبمن يعوله .

اما المسؤولية الاخرى وهي المسؤولية المطلوبة تلك التي لا نجبر احدا على ان ياخذ بيدها تلك التي لا تتطلب من الشخص لا جسدا قويا ولا اعضاء قوية ولا عضلات للجهاد انما تتطلب منه قلبا صافيا وذهنا مرتبا وضميرا مهنيا اذا هي حملت فحملت فلم يقم بها احسن قيام فهي المسؤولية المصيبة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم اذا اسند الامر الى غير اهله فانتظر الساعة

فلينتظر ذلك النظام او تلك الدولة او تلك القارة او تلك المجموعة ساعتا لماذا ؟ لانه حينما يفقد الضمير المهني وحينما يفقد معنى الاحسان ، والاحسان هو ان تعبد الله كأنك تراه والاحسان وهو ما يصير بذلك الفتى الذى يظله الله بظله يوم لا ظل الا ظله الذى قلبه معلق بالمساجد اي معلق باخلاق الله وباوامر الله تلك الاوامر التي ينصت اليها في المسجد والتي يتلقاها في المسجد والتي تتلى عليه في المسجد

فاذا هو ضيع الاحسان وضيع الضمير المهني وصار يتلاعب بالمسؤولية ويتلاعب بالامانة لم ينحصر تلاعبه في شخصه لان المصيبة هي ان ذلك التلاعب يجري مجرى الدم ، والشيطان يجري من ابن ءادم مجرى الدم فحينما يتلاعب بالنسبة لضميره لا يذهب الى المكتب والحالة انه يجب عليه ان يذهب اليه، الا وتسامح مع نفسه صار من الطبيعي اذا هو لم يخف ان يوشي به او ان يشتكي به ان يتسامح مع من هو دونه فاذا هو تسامح مع من هو دونه ، تسامح هو الآخر تسامح مع من هو دونه فصار السلم من الاعلى الى الاسفل بضياع الامانة ، واذا هو تسامح المرة الاولى وكما يقول فقهاء الاجتماع لا اخطر من الكاس الاولى فاذا هو شرب الكاس الاولى من خيانة الضمير الا وتسرب اليه جميع انواع الانهيار والانحطاط وفقدان حاسة المسؤولية من محاباة ومحسوبيات ورشوة وما الى ذلك مما يشين، بالطبع اذا فسد جهاز اداري هذا الفساد ولم ينته عنه ولم يعزل او يوقف اصحابه تسرب ذلك الى الاجهزة الاخرى حتى يصير ذلك الاخلال بالامانة ليس استثناء ولكن قاعدة فيصير الرجل ذو الضمير كانه غريب في قومه وعن قومه على جزيرة فيها جنس ءاخر من البشر لا يتكلمون لغة واحدة ولا يستعملون مفردات واحدة ولا يطمحون الى مطمح واحد .

وبالعكس اذا قاوم الانسان نفسه وقاوم شيطانه . والحقيقة ان الله سبحانه وتعالى كرمنا اي تكريم حينما اعطانا وسائل الاختيار وحينما كتب في خاتمة ذلك الاختيار اما التضحية وهو الربح واما عدم التضحية والتقهقر وهو الخسران واشرح قولي : لا خير في تضحية اذا لم تكن منطلقا لمعترك في نفس الانسان ما الشيء الذى تركه والاتيان به لا تعطيه نفس البشر اية قيمة لا يمكن ان يكون محل او موضوع اختيار ، اما الاختيار الحقيقي فهو الذى ينهك الذات وهو الذي يكون عراكا مستمرا في ذهن الانسان بين ما هو حلو وبين ما هو احلى منه ، وبين ما هو حسن وما هو احسن منه ، وبين ما هو سهل وما هو وعر وبين ما هو في طريق الجد وبين ما هو في طريق غير الجد .

ولكن اعطانا الله سبحانه وتعالى وسائل الاختيار اعطانا ضميرا نقيس به الاعمال ، واعطى لكل واحد منا درجة في الادارة فمنا من يحارب نفسه ومنهم من يسالمها ومنهم من يجهلها تمام الجهل حتى لا تضع عليه اي مشكل او ا ي اختيار وحتى لا يترتب عن ذلك الاختيار اية تضحية.

وهنا يجب التنبيه الى ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل من المجتمع الاسلامي مجتمعا فرديا وجماعيا في ءان واحد جعل من المجتمع الاسلامي مجتمعا جماعيا حيث قال: « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » حيث انه نهى صلى الله عليه وسلم عن الخروج عن الجماعة حيث انه صلى الله عليه وسلم ءاخى بين المهاجرين والانصار حيث انه صلى الله عليه وسلم نصح ولا زال ينصح اصحابه بالاتحاد والوحدة ، ولكن في ءان واحد جعل من

المجتمع الاسلامي مجتمعا فرديا بمعنى انه جعل من كل واحد منا مرشدا يجب عليه الارشاد وتجب عليه النصيحة لذا لم تضع امانة الاسلام .

الديـن النصيحـة

فقد قال الاستاذ سيدي محمد الفاسي ان من معجزات الاسلام ان هناك حضارات وحضارات وصلت الى قمتها ثم انهارت اما الحضارة الاسلامية فلم تنهر ففكرت الليلة كلها في الاسباب التي جعلت ان الجماعة الاسلامية بقيت كما بقيت عليـه فوجـدت ان الله سبحانه وتعالى أعطى لكل واحد منا الفرصة في ان يكون قاموس العرب بحفظ لغة واحدة في ان يكـون مرشد المسلمين لان هناك دينا واحدا ومعتقدا واحدا وفي ان يكون قائما بالوعظ والارشاد كلكم راع وكـل راع مسؤول عن رعيته واهل كل واحد منا لان يقوم بل اوجب عليه ان يقوم بالنصيحة « الدين النصيحة » قالوا لمن يا رسول الله قال لائمة المسلمين وعامتهم وهذا أعتقد هو السبب الاول الرئيسي في بقـاء الدولة الاسلامية كما هي عليه لانه بمثابة ثعبـان يعض على مؤخره ولا اول له ولا ءاخر سلسلة بدون انقطاع كلما طلعت عجلة تقول بان عجلة التاريخ تكون تارة فوق وتارة تحت اما هذه فعجلة متقطعة الاطراف اي عجلة واحدة كلها مسلمة من اولها الى ءاخرهـا بلغة واحدة بمعتقدات واحدة باخلاق واحدة بامانـة واحدة برعاية واحدة بتقدير واحد للمسؤوليـة وللرعاية تلك عجلة التاريخ فعلا ولكن كل ما انحـدر طرف منها تعلى الطرف الآخر فقام بالواجب وادى لامانة ريثما يصل به الركب ويلتحق بالركب . وما تمكن الاسلام من هذا الا لانه جعل منا قيمين علـى الدين والدنيا . فلو انه جعل منا رهبانا عليهم وحدهم امانة مسؤولية رعاية المسلمين لكان الفساد ولكـان الخراب والعياذ بالله .

ولكن الاسلام اناط بكل واحد منا ان يقـوم بواجبه داخل بيته وان يقوم بواجبه في مجتمعه وان يقوم بواجبه ازاء السلطة وذلك اذا راى منكـرا ان يغيره اما بان يقوله واما بان يسند نفسه كمثل يحتذى واما بان ينصح اولى الامر ويقول لهم ان المنكر قـد رايته بام راسي فلم اسمع به ولكن رايتـه ولمستـه بيدي فغيروه .

هذه هي الامانة في الاسلام مسؤولية خارجـة عن نطاق التعامل الموجود في الفقه وفي المعامـلات

الامانة ليست هي المال الذي اتركه لك حتى تـرده لـي ؛ لا .

الامانة هي الوديعة التي حملها الله ايانا عندمـا استخلفنا في الارض فمنـا من احسن الاستخـلاف ومنا من اساء ومن الدول التي سبقتنا من احسنت الاستخلاف ومنهـا من أساءت . ونحمـد الله على كوننا وجدنا في الاسلام وفي الدول الاسلاميـة ولا اقول العربية فحسب بـل الـدول الاسلاميـة دولا استخلفها الله بكيفية دورية حتى لم تضع وحتى لـن تضيع الشعلة الاسلامية والحضارة الاسلامية .

المغاربـة سواسيـة

فمسؤوليتنا اذن هي ليست المسؤولية بمعنـى جنس المسؤولية .

ليست المسؤولية الميتافيزيقية التي نسمع عنها ولا نراها . بل هي مسؤولية مجسمة لا يمكن ان يتهرب منها اي احد اللهم الا اذا كان مجنونا . امـا اذا كان الانسان عاقلا ويستطيع التفكير الا وبامكانه بل ومن واجبه ان يحتفظ في الحين بمسؤوليته الخاصة ثم بمسؤوليته العامة .

والله سبحانه وتعالى اسأل ان يزيد من الهامـه لنا حتى يمكننا ان نأتي بمثل ما آتينا به وذلـك في توجيهاتنا التي كنا اصدرناها سنة 1965 حيث نقول على الجهاز الاداري . كثر القيل والقال حول جهازنا الاداري الذي لصقت به اتهامات مسيئة الى سمعته وبالتالي الى سمعة البلاد .

واذا كان الواجب يفرض علينا أن نعتـرف بأن لهذه الاتهامات نصيبـا من الصحـة فان الانصـاف يفرض علينا من جهة اخرى ان لا نصم جهازنا الاداري كله بالضعف وننسب اليه كل ما يتحدث به الناس من فساد. ونحن مصممون العزم على تتبع الـداء واستئصال الفساد وقد احدثنا لهذا الغرض محكمة خاصة للعدل الضرب على ايدي من تسول له نفسـه التلاعب باموال الدولة وتعاطي الرشوة واستـغلال النفـــوذ

وبالاضافة الى ما هو منصوص عليه في قانـون الوظيفة العمومية من حقوق الموظف ومن واجباته فقد وطدنا العزم على ان يسير جهازنا الاداري وفـق المبادىء الآتية ، ويتخذ التدابير المعروضة فيما يلي :

1 ـ المباراة فيما يتعلق بالشروط المطلوبة لنيل الوظائف والمناصب العمومية ، وهذا المبدا الصالح قد اكتسى صبغة دستورية ، واجتنابا لكل حيف أو محاباة يجب ان يباشر التوظيف بطريق المباراة طبق ما ينص عليه القانون ، ويستتبع احترام المبدا السالف الذكر ان يكون الموظفون سواء فيما يرجع الى الاجور اذا كان مستواهم واحدا وعملهم متشابه .

ولا اريد ان اطيل عليكم قراءة هذا النص فهو موجود وراثع المهم هو ان نتشبع كلنا بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا ، والمهم هو ان نصل الى درجة الوعي ، والمهم هو ان نصل الى الهدف ، فطرق الله مختلفة منا من يتغلب عليه الوازع الديني طيب ! فليتقبل المسؤولية وليأخذها من باب الاحسان ومن باب الوازع الوطني. ولي اليقين بأن محبة الوطن ستؤدي به الى محبة دينه .

ومنا من يحب حرفته لانه يحب حرفته ، واذا احب حرفته وارضى ضميره وارضى بذلك احسانه، ولي اليقين ان نهاية المطاف سوف تصل به الى امتزاج الدين والدنيا والوطن ، فاذا نحن اتينا لنصل الى الامانة والى ادراك الامانة والقيام بأمانة ، من اين اخذنا الطريقة واي طريقة اخذنا طريق الضمير المهني طريق الوطن طريق الاخلاص الى الله ، كل هؤلاء الثلاث يجتمعون فى مجتمع يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعت امتي على ضلال .

والله سبحانه وتعالى اسأل ان يلهمنا جميعا المقاييس الرشيدة والسليمة حتى يمكننا بتلك المقاييس ان نزن المسؤوليات بوزنها الحقيقي ، وان نعطيها مدلولها الحقيقي وان نفوض منا ما نفوض الى من هم جديرون به .

دعـوات خالصـة للـه

اللهم انك قررت ان تحمل ابن ءادم ولو هو حملها لم يكن ليحملها لولا ان اردت ان يحملها ، فقد حملت ابن ءادم المسؤولية والامانة واعطيته من التجهيز الفكري والجهاز البدني ما هو كفيل بأن يجعله يقوم بمسؤولياته احسن قيام .

اللهم اجعلنا من الذين استخلفتهم فى الارض فكانوا لك خلفاء .

اللهم اخلف امتك الاسلامية كلها .

اللهم قلت وقولك الحق « ادعوني استجب لكم »

اللهم انك تعلم الحالة التى تعيش فيها الدول الاسلامية ، وتعلم النكبة التى تقاسيها ، وتعلم المحنة التى يعيشها اخواننا المشردون .

اللهم انك جعلت من بيتك الحرام أولى القبلتين وثالث الحرمين ، فهو بيتك ودارك وحرمك وحماك، فلا شك لي ولا شك لنا انك ستدافع عن حماك ، ولكن اللهم عجل بالدفاع وذلك بهدايتنا وباستقامتنا.

انني سمعت بالله تحليلات كثيرة للحالة التي يعيش عليها المسلمون ، وكانت مع الاسف تلك التحليلات سواء فى هذه السنة او فى السنوات الماضية تحليلات غير شافية ، وغير كافية ، حيث اننا كلما ذكرنا الحالة الا وعللنا الحالة بعوامل خارجية واجنبية عنا والحالة هذه ان داءنا فينا ، فاللهم داونا .

اللهم رغم نكبتنا لم نرجع الى الاخوة الصادقة ، فآخ بيننا .

اللهم انك قلت ولا تنابزوا بالالقاب ، ورغم النكبة والنكسة التى نعيشها لا زلنا نتنابز بالالقاب فطهر قلوبنا .

اللهم انك علقت آمال الملايين والملايين ومآت الملايين من قلوب المسلمين ، وآمالهم على الذين وليتهم امر عبادك .

اللهم عاقب منا من لا ايمان له ولا نية صالحة له ، وجاز من يعتبر منا انك ان تعلم فى قلبه خيرا فآته خيرا .

اللهم فابدأ بنا نحن الاولين اذا كان على هذا المنوال ، فانت تعلم ما فى قلبنا نحو شعبنا ونحو الامة الاسلامية ، اللهم ان كنت تعلم انه طاهر ، فزده طهارة، اللهم انك ان كنت تعلم انه صاف فزده صفاء ، واذا كنت تعلم العكس ، فاللهم زده من مصائبك التى تعلم انها فيه .

اللهم ببركة هذا الشهر ، وببركة هذا الضريح الذى من كرامته انه ضم ثلاثة من اعظم ملوك العلويين سيدي محمد ابن عبد الله ، والحسن الاول ، ومحمد الخامس .

اللهم انك لم تجمع جثتهم عبثـا ولم تكن مـن صدف التاريخ بل انها ارادة الهية ارادت أن تجمـع بينهم لما بينهم من القرابة ، والقربى ، اللهم فبحرمتهم وببركتهم أمطر شآبيب رحمتك على والدنا ومحـرر بـلادنـا .

اللهم انك تعلم ما كان عليه من التقوى والزهد فانه من فضلك وكرمك .

اللهم انك تعلم انه كان يحب كتابك فاعـطه من الفضل والثواب على قدر محبته لكتابك .

اللهم انك تعلم وتعلم بحق انه كان ان اقتضى الحال يضحي بأولاده وبنيه في سبيل شعبك المسلم، فأثبه يا الله على قدر التضحية التى كان من الممكن أن يقوم بها لو اضطر الى ذلك .

اللهم بيض وجهه كما بيض وجه هذه الامة

اللهم انه رفع شأننا وحرر بلادنا فجرره يا الله من مشاق يوم القيامة وارفع رأسه يوم القيامة واظله تحت ظلك يوم لا ظل الا ظلك ، لانه كان اماما عادلا ، وحب في الله واجتمع على ذلك مع شعبه وتفـرق معه على ذلك

اللهم اني اعلم ان قلبه كان معلقا بالمساجد

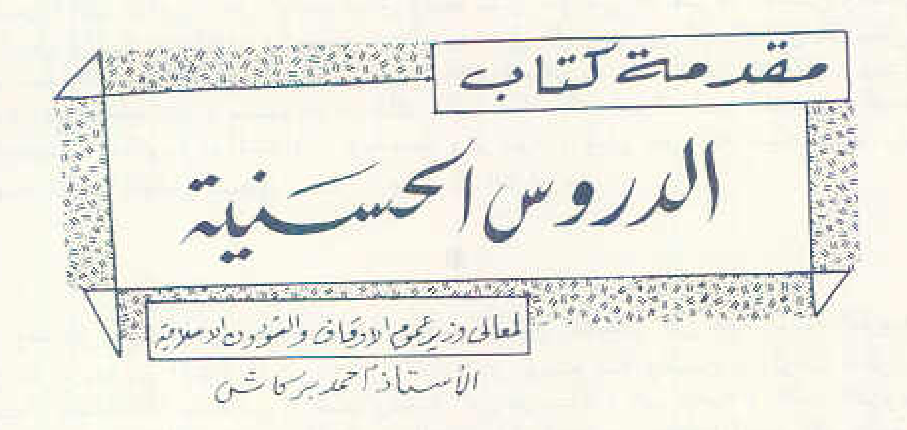
اللهم انه كان اذا ذكـرك خشـي ومن خشيتـه يبكي وتفيض عيناه .

اللهم اني اعلم انه كان يتصدق صدقة فكانت شماله لا تعلم ما تنفق يمينه .

اللهم انه راودته اكثر من جميلـة حسنـاء ذات جاه ، راودته الدنيا وراوده الاستعمار بالجـاه والمـال فرفض ، وقال اني اخاف الله .

اللهم بهذا كله فاظله تحت ظلك يوم لا ظـل الا ظلك وامطر علينا شآبيب رحمتك ، واجعلنا دائما على سـيره ونهجه ، وخذ الله بيد شعبنا ، وثبت اقدامنا، وتب علينا انك انت التواب الرحيم

ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم، واهدنا الى الصراط المستقيم واجعلنا من الذين تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .



... اصدرت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية فى شهر رمضان المعظم نص المحاضرات الدينية التي القيت فى شهر رمضان من السنة الماضية بالضريح الحسنى أمام حضرة صاحب الجلالة والمهابة امير المومنين مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده مجموعة فى كتاب يشتمل على 340 صفحة ، ويضم عدة صور جميلة ...

وعنوان هذا الكتاب « الدروس الحسنية » وقد توج بنص المحاضرة الدينية الجامعة التي القاها سيد البلاد مولانا الحسن الثاني نصره الله وايده أمام نخبة من علماء الاسلام من المشرق والمغرب حيث تناول حفظه الله في درسه القيم الجامع المانع شرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه : « كم من رجل لو اقسم على الله لأبره » وقدم للكتاب معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ السيد احمد بركاش بكلمة تناول فيها مظاهر التجديد الذي ادخله صاحب الجلالة على هذه السنة الكريمة ...

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

وبعد ، فلقد كان من المآثر الخالدة ، التي تذكر فتشكر لمولانا امير المؤمنين ، وناصر الملة والدين ، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيد ملكه ، وخلد فى الصالحات ذكره ، أن جدد حفظه الله ، تلك السنة الكريمة ، التي كان يسير عليها اسلافه المقدسون ، ملوك الدولة العلوية الشريفة ، من عقد مجالس علمية بالقصر الملكي العامر ، فى ليالي شهر رمضان المعظم من كل سنة تلقى فيها بحضرة الملك نفسه ، وبرئاسته وتوجيهه فى تفسير القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

نعم ، لقد كان هذا هو داب ملوك الدولة العلوية العظام ، اسلاف مولانا امير المومنين الحسن الثاني نصره الله وقد سار على تلك الخطة جلالة والده المنعم ، مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ، ورضي عنه ، واسكنه فسيح جناته ، بما اخلص للاسلام والمسلمين ، وبما تحمل من تضحيات جسيمة فى سبيل نصرة الدين والذود عن كيانه .

*

وقد تمسك مولانا أمير المومنين ، الحسن الثاني نصره الله ، بهذه السنة الكريمة ، وحافظ عليها ، وبلغ الغاية فى الاهتمام بها ، وجدد فى شكلها واطارها وتوجيهها ، وبث فيها قبسا جديدا من روحه ، وجند لها الامكانيات اللازمة حتى أصبح الانتفاع بها

ميسورا لكل الناس ، على اوسع نطاق وابعد مدى ، وحتى عم خيرها القاصي والداني والرجل والمراة ، والكبير والصغير ، واصبحت في كل بيت وفي كل ناد وفي كل مكان، هي مادة السمر في ليالي شهر رمضان المعظم ، وهي شغل الناس الشاغل ، ومدار احاديثهم وتعليقاتهم ، مشفوعا كل ذلك بالدعاء الصالح لمولانا امير المومنين بالنصر والتأييد ، وبالتوفيق والسداد ، وبالحفظ والرعاية ، وبأن يقر الله عينه بسمو ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد ، واخوته الكرام .

*

وقد كان من مظاهر التجديد الذي ادخله مولانا امير المؤمنين على هذه السنة الكريمة، ان خرج بها من الاطار المحلي ، الى اطار آخر أوسع منه واشمل ، وأرحب دائرة ، فجعل حفظه الله يستدعي في شهر رمضان من كل سنة ، للمساهمة في القاء الدروس الدينية بحضرته الشريفة ، طائفة من العلماء المسلمين من مختلف البلاد الاسلامية ، من مشرق الاسلام ومغربه ، الى جانب طائفة من علماء بلادنا الاعلام ، فتطورت بذلك هذه السنة الكريمة تطورا عظيما ، واصبحت عبارة عن ندوة اسلامية واسعة ، تعقد ببلادنا في شهر رمضان من كل سنة ، فتكون فرصة لتلاقح الافكار وتبادل المعلومات، والتعاون المثمر ، كما تكون فرصة لتمتين الروابط ، وتأكيد الاخوة ، وابراز معالم الوحدة التي تجمع بين قلوب المسلمين في كل مكان ، مهما تناءت بهم الديار ، أو تباعدت بينهم المسافات .

كما كان من مظاهر التجديد الذي ادخله مولانا امير المؤمنين على هذه السنة الكريمة ، ان اصبحت تلك المجالس العلمية التي تعقد بحضرته الشريفة ، وتحت رئاسته وتوجيهه ، تنقل مباشرة بواسطة الاذاعة والتلفزة ، فكان من نتائج كل ذلك ، ان اصبح الانتفاع بها والاستفادة منها والاسترشاد بهديها ميسورا للجميع ، رجالا ونساء ، كبارا وصغارا ، فعمت الفائدة ، واتسع مجال الاهتمام ، وفتح الناس عيونهم من جديد ليتعرفوا على حقيقة دينهم في جملته وتفاصيله ، في كلياته وجزئياته ، وفي عباداته ومعاملاته فيما يتعلق منه بشؤون الآخرة ، فتح الناس عيونهم من جديد ليروا ان الدين ليس مقصورا على العبادات وحدها ، وانما هو الى جانب ذلك دين علم ومعاملة وتنظيم للحياة ، وعدل بين الناس ، ودعوة الى المحبة والخير والسلام .

*

وقد توج مولانا امير المؤمنين كل ذلك ، بأن عمد حفظه الله في السنتين السالفتين ، الى المساهمة الفعلية من جنابه الشريف في القاء هذه الدروس والاحاديث، وبذلك لم يقف جلالته عند حدود التوجيه فقط ، كما كان الامر من قبل ، وانما تعدى ذلك الى المساهمة الفعلية من جنابه الشريف متحملا بذلك حفظه الله مسؤولياته كاملة ، بوصفه أمير المومنين ، ورائدا اول في طريق الخير والهدى والصلاح وفي طرق ابواب الاجتهاد من جديد ، عملا بتعاليم الدين الاسلامي الحنيف ، ذلك الدين العظيم المشرق المتفتح الذي يحل العقل مكانة سامية ، ويدعو الى اعماله باستمرار لاستكناه اسرار الكون وادراك مغازي التشريع .

وقد ابان جلالة الملك حفظه الله في كل ذلك ، عن علم غزير ، وعن مشاركة تدعو الى الاعجاب مما اطلق الالسنة كلها بالثناء على جلالته ، والاشادة بعلمه وفضله، والدعاء له بالتوفيق والسداد وبالنصر من عند الله .

*

واخيرا ، فان هذا الكتاب الذي تتشرف اليوم وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، برفعه الى السدة المولوية الشريفة ، وبتقديمه الى كافة المسلمين ، والى

جمهور القراء في كل مكان ، انما هو عبارة عن تسجيل للدروس التي القيت في شهر رمضان المعظم من السنة المنصرمة ، بالقصر الملكي العامر بحضرة مولانا صاحب الجلالة وتحت رئاسته وتوجيهاته .

وعلى راس هذه الدروس ، وفي طليعتها ، وفي المقدمة منها ، ذلك الدرس العظيم الجامع الذي القاه سيدنا المنصور بالله ، في ذلك الحفل الحافل ، وفي ذلك المجمع العلمي الاسلامي الكبير .

(وفيما عدا الدرس الملكي ، درس صاحب الجلالة فقد رتبنا بقية الدروس الاخرى بحسب تواريخ القائها ، وسجلنا مع كل درس تاريخه ، حتى يستطيع القارىء أن يسير معها من بدايتها الى نهايتها ، بنفس ترتيبها الزمني الذي جاءت عليه عند القائها .

وغني عن البيان ان هذه الدروس لم تكن من قبيل المحاضرات المكتوبة ، التي يتقيد فيها صاحبها بما هو مسجل امامه على الورق ، وانما كانت محاضرات ودروسا علمية بالمعنى الصحيح للكلمتين ، يتصرف فيها العالم بالتقديم والتأخير ، وبالايجاز والاطناب ، وبالتكرار عندما يقتضي الحال ، لزيادة توضيح معنى من المعاني ، او للتأكيد على فكرة او لربط الافكار بعضها ببعض كل ذلك بحسب ما يمليه المقام ، وما ترسمه طبيعة هذه الدروس والمحاضرات وما يرى العالم انه ابلغ في الوصول الى القصد ، وادراك الغاية ، وتحصيل الفائدة المرجوة .

وان وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، لترجو ، وهي تقدم هذا الكتاب ، ان تكون قد قامت ببعض الواجب عليها ، وان تكون قد ساهمت بحظها في تبليغ الدعوة التي هي مدار هذه الدروس والمحاضرات ، وان تنال بذلك رضى الله . وتكون دائما وابدا عند حسن ظن مولانا أمير المؤمنين ، وأداء من أدوات جلالته في خدمة الاسلام والمسلمين .

احمد بركاش

وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية

بالمملكة المغربية

الانسان .. فلسفة الوجود .. والاجزيستانسياليزم أو الوجودية

للدكتور سيد حسين نصر - تعريب الأستاذ صلاح الصاوي

عقدت مجلة «تلاش» الايرانية، جلسة علمية مع الدكتور سيد حسين نصر، استاذ الفلسفة بجامعة طهران، واستاذ كرسي آغاخان للدراسات الاسلامية بالجامعة الامريكية فى بيروت سابقا ، دار الحديث فيها حول المشكلة الفكرية الراهنة ، مشكلة : اين يقف الانسان اليوم ، من نفسه .. من الكون .. من الله ؟ ، مشكلة المذاهب الفلسفية الحديثة ودورها فى المجتمع البشري .

ونحن بدورنا ، نقتطف ما ننشره على الصفحات التالية ، مما أجاب به سيادته ، ومما نشرته المجلة الموقرة ، بعددها التاسع لسنة 1347 شمسية

تلاش : سيدي الدكتور ، نرجوك ان توضح لنا ، كيف وجدت المدرسة الاجزيستانسيالية فى اوربا ، والاسباب التى ادت الى ظهورها!! ونعني بسؤالنا هذا ، العوامل التى توفرت فى الثقافة الاوربية ، والتى ادت فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخصوصا القرن الحالي ، الى هذا النوع من الفلسفات ، التي يعرفونها بانها مضادة للفلسفة الاستدلالية. هذا ، على حين اننا لا نرى هذه الظاهرة فى الحضارات الاخرى !

ـ : فى نظري، ان لكل مدرسة او مكتب فلسفي، او مشرب فكري ، بصورة عامة فى كل حضارة ادت الى هذه الفلسفات او المشارب، جذورا تاريخية عميقة. وعلينا ، حتى ندرك العلل الحقيقية لظهور المدرسة الاجزيستانسيالية ، بمعنى ان نعرف العوامل الباعثة على وجود هذه المدرسة ؛ بالصورة الخاصة التى نشاهدها ، ان نرجع الى تاريخ الفلسفة والدين فى اوربا .

فالمسيحية التى تعتبر فى الواقع صانعة الحضارة الغربية ، منذ القرن الثالث والرابع الميلادي فما بعد ، تصور الانسان بصورة ارادة . بمعنى ، ان الانسان فى المسيحية ، ارادة ، اضيف العقل اليها . وهذه الارادة، عن طريق الايمان بالمسيح ، تحدث ـ حسب اعتقاد المسيحيين ـ ، نوعا من الالتئام ، لنوع من التصدع والجرح ، الموجود فى روح الانسان بسبب الخطيئة الاولى . وهناك فقط ، بعد الارتباط بالمسيح والحظوة ببركته ، يستطيع عقل الانسان ان يزاول فعاليته الصحيحة . ولهذا ، قال كبار الفلاسفة المسيحيين منذ بدء التاريخ المسيحي : يجب على الانسان ، ان يؤمن اولا ثم يتعقل بعد ذلك . وعلى حد قول « سن آنسلم » فيلسوف القرن الحادي عشر المعروف : آمن اولا وتعقل ثانيا . هذا التصور للانسان ، او هذه

(الانثروبولوجية) ، الكائنة فى المسيحية ، كانت اعمق من ان تزول نهائيا بمجرد النهضة ، والحركات المضادة للدين والفلسفة فى اوربا . فالواقع ان تصور الاوربيين للبشر والانسان ، لا يزال حتى الآن هو نفس التصور المسيحي له، ولكن مع تجرده عن التصور الديني والبعد المتعالى الموجود فيه . بمعنى، ان الانسان فى بداية الامر ، موجود صاحب ارادة ، ومن ثم صاحب عقل وقوى استدلالية فى المرحلة الثانية . وعليه ، فالنجاة أو الخلاص بالنسبة للانسان طبقا لوجهة النظر المسيحية ، يكون عن طريق ارادته . ومن هنا ايضا اطلق الغربيون على مدارس الحكمة والعرفان ، التى تحاول الوصول الى الحقيقة عن طريق العقل ، انها نوع من « العرفان او التصوف الطبيعي » وهذا فى مقابل ما يعرفونه هم « يعرفون ما وراء الطبيعة او العرفان الديني » .

على هذا المسرح حدثت النهضة ! وقد حدث هذا الانقلاب فى الخطة التى ظهرت فيها نقطة الضعف فى قلب حكمة القرون الوسطى وعرفانها المسيحيين . يعني ، انه حدث فى القرن الرابع عشر ، حيث لم نزل فى بحبوحة التمدن المسيحي فى الغرب ، اذ بدا الكلام المسيحي ينكر قدرة العقل على ادراك الكليات . وتدل بحوث « آكم » و « نيكلادوتركور » و « ارهم » المشهورة ، وبقية المتكلمين والالهيين المسيحيين فى القرن الرابع عشر، على نوع من التصدع داخل الكيان الفلسفي والفكري المسيحي ، فقد حدث بالتدريج من نشاط العقل نهائيا فى العلم . كما اوجدت خللا فى ذلك الامتزاج ، الذى احدثه «القديس اوجستين» والقديس «توماس» من بعده ، بقصد التوفيق والتأليف بين الايمان والعقل . فقد قام عصر النهضة على عصر من الشك الفلسفي . يعني ، انه لم يكن هناك وجود للشك الديني فى آخر القرن الرابع عشر، اما الفلسفة، فقد كانت مبتلاة . لقد كانت فترة يشير اليها العالم الفرنسي المعروف «جيلسن» باسم فترة «ثئولوجيزم» أي فترة تلاشت فيها اصالة الفلسفة امام «الثئولوجية» او الالهيات المسيحية . ولهذا ، عندما اعلنت النهضة انقلابها على التمدن المسيحي كله، وعلى مسيحية القرن الرابع عشر المتحدة الشكل ، لازم تلك الحركة نوع من تلاشي الشك الفلسفي

لقد حاولت النهضة، ان تجعل الانسان المسيحي، الذى، كان نصفه ملاكا ، ونصفه حيوانا ، وكانت احدى رجليه فى السماء ، والاخرى فى الارض : تجعله ارضيا كاملا . بمعنى ان الانسان ، الى تلك اللحظة ، لم يكن يعتقد ان الارض وطن اصلي بالنسبة له . وكان دائما يحس حالة من الغربة امام هذا العالم . ويمكن القول بأن هذا النوع من التفكير ، هو احد العقائد الاساسية فى العرفان المختلف فى انحاء العالم اجمع ، وذلك انه يجب على الانسان دائما ، ان يشعر بالغربة ازاء هذا العالم . وقد تكرر التنويه بهذا الموضوع مرات عديدة فى العرفان الاسلامي .

لقد كان وطن الانسان دائما مكانا غير هذه الارض . ولكن انسان النهضة ، سعى فى ان يجعل وطنه هو هذا العالم الترابي نفسه. يعني انه اوجد احساسا بالراحة فى ذهن الانسان ، باسم الانسان الطبيعي الصرف ، لا ذلك الانسان الذى كان ظلا لله. وكان هذا الامر بطبيعة الحال مؤثرا للغاية ، حتى لقد هيأ انسان ذلك الوقت الاوربي ، وحفزه على ان يغزو الكرة الارضية ، وان يخول لنفسه الحق فى التسلط على القارات جميعا ، وحتى على المدنيات الاخرى . وهذه الفتوحات بدورها ، عززت هذا النظر فى اوربا. وهناك بين 1450 ـ 1600، اي فى عصر النهضة ، حطمت المعرفة بالقارات الاخرى والنباتات الاخرى والحيوانات الاخرى والناس الآخرين ، وحدة العالم الطبيعية المسيحية . وساعد هذا الامر ، الاوربي رويدا رويدا على ان يحس فى ذاته بأنه «طبيعي» . وهذا الاحساس « بأنه طبيعي » ، فى حد ذاته اوجد نوعا من اصالة الاستدلال (الراسيونالزم) . ومن الجدير توجيه العناية البالغة ، الى كون العلوم الطبيعية والرياضية والفيزياء ، بالذات ، كانت فى عصر النهضة لا تزال فى قالب القرون الوسطى . وان الاشخاص الذين كانوا يتتبعون هذه العلوم ، لم يكونوا « راسيوناليزميين » او استدلاليين . وعلى العكس مما تصور الناس ، فان اغلب العلماء الكبار فى عصر النهضة ، كانوا اما على جانب عرفاني ، او كانوا كيميائيين ، او كانت لهم علاقة بالعلوم الغريبة . ولكن هذا ، الذى حدث ، اوجد بالتدريج تصور نوع من القوى الاستدلالية فى الانسان ، يعني (Raison) التى تترجم فى اللغات الاسلامية بمعنى العقل. هذا، لان العقل فى هذه اللغات يعني « Raison » و « Intellect » والقوى الاستدلالية البشرية ، وكذلك قوى العقل الالهي . وقد نشأ هذا التصور من ان للانسان فى داخله قوة استدلالية صرفة مستقلة . وبهذه القوة يستطيع ان يجد الطريق الى العلم بكل شيء . ولكن ، لما كان علم الانسان او (الانثروبولوجية) المسيحية ، قد حددت طريق الوصول الى الحقيقة بالارادة والايمان

دون العقل ، فان ضعف الايمان ، ومحدودية العقل بالاستدلال قد ضيعا طريق الوصول الى الحقيقة المطلقة ، او على الاقل قد حدداه .

تم حدث في القرن السابع عشر ، في اعقاب قرن الشك ، نوع نسبي جديد من اليقين الفلسفي على يد « ديكارت » . ولكن هذا اليقين الفلسفي الجديد هو الآخر ، لم يكن مبنيا على نظر كلي بالنسبة للانسان ، وانما حدده ديكارت بالاستدلال او (Raison) وعلى حد قوله ، الحقيقة قائمة على اساس تعقل الشخص من نفسه . يعني ، انه جعل « انا افكر » اساس « انا موجود » التي تاتي بعدها في الدرجة الثانية . وعليه ، فهو في الواقع قد الغى «الوجود» كواقعية كلية ، ما نحن الا التماعة ومرتبة منها . وجعل الوجود الفردي والبشري ، معيارا لمعرفة العالم العيني والواقع الخارجي. والحقيقة انه لم يستطع ان يحدث تحولا كليا في جميع شؤون الفلسفة ، الا انه قد بدا طريقا ، يبدو في نظري مثارا للاسف الشديد . فقد افضى الى الوصيد الذي يعانيه الفكر الاوربي اليوم . لقد جعل ديكارت الاستدلال معيار المعرفة . وهذا هو ما وجد (الراسيوناليزم) او الاستدلال الاوربي بمعناه الواقعي . صحيح ما يقولونه ، من ان ارسطو كان استدلاليا كذلك . ولكن الوجود في الفلسفة الارسطية ، يعني واقعية واسعة فيما وراء الفرد وافكاره ، يشاهدها الفرد من نفسه ، على حين ياتي ديكارت ويجعل « الاستدلال » الواقعي اساسا . اي انه يجعل العقل Raison او الاستدلال ، اساسا لادراك الواقعية بل اساسا للحقيقة .

وبعد ديكارت ، حتى القرن الثامن عشر ، اعلن سير الفلسفة الاوربية عن هذا الاستدلال وعن حدوده. والواقع انه ولو ان « لايبنيتز » قد سعى الى حد ما لتغيير هذه المسيرة ، الا ان الفلسفة الاوربية قد استمرت في مسيرتها . وهناك بعد « سبينوزا » و « ولف » حيث نصل الى الفلاسفة التجريبيين الانجليز في القرن الثامن عشر مثل « لاك » و« هيوم » تبحث الفلسفة الاوربية وتتفحص هذه الحدود ، التي كان ديكارت قد بناها على الانسان ، وتعثر على حدودها . والدليل على ما قيل هو ، فيلسوف كبير مثل «كانت» ، فقد شخص هذه الحدود بدوره ، وقال : « ان قوى الاستدلال لا تعلو على هذا » .

ولم يكن هناك شك ، وقد تحدد الراسيوناليزم او الاستدلال، من ضرورة العثور على مقر من اي طريق.

فالفكر الانساني لا يستطيع مطلقا ان يظل اسيرا في محدودية واحدة. فالانسان موجود، يسمى دائما وراء اللا نهاية . ذلك لان فيه بارقة الهية . والله لا يتناهى . وعليه ، فالانسان في بحث دائم عن اللا متناهي . وهذا هو السر في عدم رضاه بأي شيء محدود ، متدرجا من الطعام الى المقام . ان الانسان دائما في بحث عن شيء ، حتى اذا تحدد هذا الشيء ، فانه يتجاوزه . وحتى الفلسفة نفسها فانها في الواقع قد وصلت احيانا الى ان وضعت حدودا لاستدلال الانسان . فقد دللت فلسفة «كانت» من ناحية ، ومن الاخرى فلسفة «هيوم» والفلاسفة الانجليز ، على محدوديات الاستدلال . فكان من البديهي ان يحدث في الفلسفة الاوربية نوع من رد الفعل ضد الاستدلال . هذا علاوة على ظهور جانب جاف في الفلسفة ، لا بمعنى الجفاف الادبي ، وانما بالمعنى الفلسفي ، اي نوع من البعد عن واقعية الحياة ، والصيرورة ، ومقتضيات الجانب غير الفكري او الاستدلالي في الانسان ، والمسائل ، التي يرتبط بها الانسان مباشرة ، لا بعنوان المفاهيم ، ولكن بعنوان الاحساس او التجربة .

لقد كانت فلسفة القرن الثامن عشر مرتبطة بالمفاهيم الذهنية ، بشكل تجاوز الحدود الى المغالاة في الانتزاعية . كما انها لم تتعامل مع العواطف ، والاحساسات ، والتجريبيات ، والخوف ، والوهم ، والعشق ، (من الامور) التي لا تقتصر على كونها مجرد احساسات فحسب ، وانما لها ايضا مراتب فوق الفلسفة .

وفي نظري ، ان هذين العاملين : الاول : المحدودية الموجودة في داخل الفلسفة الاوربية بالذات، كنتيجة لتحديد العقل بمعنى « Intellecte » والتي اوجدها ديكارت ، والثاني : ابتعاد الفلسفة الاوربية تدريجيا عن الحياة والاحساس والمعيشة ، وعن الخوف ، وعن الوهم ، وعن ذلك التلاقي بالواقعيات الحياتية ، التي تسبب جميع هذه الامور ، كانا توامين باعثين على ايجاد رد فعل شديد بالنسبة للفلسفة الاستدلالية . وكان لرد الفعل هذا عدة جوانب . مثل احد هذه الجوانب، هجل، الذي ولو انه يعتبر نفسه استدلاليا مطلقا ، الا انه قد نقل الاستدلال من مرحلة الثبات وعدم قبول التغير ، الى الصيرورة والتاريخ والزمان . يعني انه جعل كل شيء ، حتى المطلق ، نتيجة للتاريخ . وعليه فقد ازال اصلا ، امكان الوصول الى الحقيقة عن طريق منطق ثابت لا يقبل التغير .

والجانب الآخر تمثله فلسفة ماركس ، التي تعتبر اصلا ، نوعا من مسيحية معكوسة خالية من الرب . بمعنى انها فلسفة لا تقوم على عقل محض ، وانما تنبني على مبدا اصالة الوقائع التاريخية ، وحلول الحقيقة في الزمان والتاريخ ، ونوع من احساس حب الانسان ، هو في ذاته نفس « Charité » المسيحية ، لكنه بدون قيم دينية . كما ان فيها نوعا من « المعاد » ، بمعني الاعتقاد بمستقبل ذهبي ، ولكنه بدون البعد المتعالي الملكوتي السماوي ، الذي اعطت المسيحية تعاليمه . فالماركسية في الواقع نوع كاريكاتوري للمسيحية . ولا يمكن لمثل هذه الفلسفة ان تنشأ الا في تمدن يعتقد ان القيمة المطلقة للتاريخ . فليس قابلا للتصور مطلقا ، ان تظهر في التمدن الاسلامي او الهندوكي او البوذائي ، على اثر تحول في داخل هذه المدنيات ، فلسفة تجعل التاريخ او الديالكتيكية التاريخية اصلا للواقعية والحقيقة . ومهما يكن ، فقد كان هذا بدوره ، نوعا آخر من رد الفعل ضد استدلال القرن الثامن عشر المتطرف .

اما النوع الثالث ، موضوع بحثنا في الواقع ، فهو الاجزيستانسياليزم . وقد نشأت هذه المدرسة باديء ذي بدء بمعرفة شخص لم تكن له اهمية كبرى من حيث الفلسفة ، وانما كانت اهميته باعتباره كان مبلغا مذهبيا ، وهو « كيركجارد » : كنتيجة لرد الفعل ، الذي اتى من جانب كير كجارد الفيلسوف او المبلغ المسيحي الدانمركي ، في مقابل الجانب الانتزاعي العقلي ، والواقع انه دائما ما يظهر في مقابل العمل الشديد ، رد فعل شديد ايضا ، ومقابل الافراط يظهر التفريط . وهذا ، هو ما حدث في القرن الثامن عشر . فكلما غالت النزعة العقلية في جعل المسائل انتزاعية ، حتى انفصلت عن حياة الانسان واحتياجاتها الواقعية ، فقد جاء كير كجارد ، والتزم الجانب الآخر للموضوع بالتأييد . وقال : اننا لا علاقة لنا اصلا بما هو انتزاعي وذهني صرف ، وانما ارتباطنا كائن بالامور ، التي تواجهنا في نفس اللحظة ، والتي هي جزء من حياتنا الفعلية . والواقع ان احد الطرق الرئيسية بالنسبة للاجزيستانسيالية قد شرع في كتابات كيركجارد . . .
ومن هنا اعتبر هو في الفلسفة ، كما اعتبر دستايوفسكي في الادب ، من «آلهة» القرن العشرين ، حتى لقد قيل ، ان هذين الشخصين قد تنبآ بحركة ظهرت في القرن العشرين . وكذلك الفيلسوف الالماني نيتشه ، الذي كان هو الآخر شاعرا اكثر منه فيلسوفا ، الا انه في الواقع كان لديه نوع من الشهود والارهاص بالنسبة لمستقبل الفلسفة في الغرب .

فعند ما قال نيتشه : ان «الله قد مات» كانت هذه العبارة ، الشاعرية اكثر منها فلسفية ، اشارة الى فراغ الحياة الفكرية للانسان الاوروبي من المعنى ، المعنى بمنزلة المطلق ، بمعنى البعد المتعالي . فهؤلاء جميعا ، من دستايوفسكي في الاداب الروسي ، او نيتشه في الفلسفة الالمانية ، اوكير كجارد المبلغ المسيحي ، قد ابرزوا في الواقع رد الفعل ضد الفلسفة الاستدلالية (الراسيوناليزم) ، التي بدأت «بديكارت» واغلقت طريقها «بهيوم» و«كانت» .

فاذا ما وصلنا الى القرن العشرين ، نشاهد مرحلة جاءت ، اولا : على اعقاب حربين عظيمتين جدا ، وثانيا على اثر ظهور نوع من النزاع والهرج والمرج المتاصل للغاية في حياة الاوربيين وافكارهم ، كنتيجة لتبدد احلام القرن التاسع عشر وآلامه ، وحتى اصنامه . فلقد كان الاوربيون واثقين كل الثقة في تمدنهم قبل الحرب العالمية الاولى ، وقيمهم في القرن التاسع عشر . وكانت كلمة « ترقي » على الخصوص ، تمثل في الواقع بالنسبة للاوربي صنما معبودا او مذهبا معتنقا . فكان مستعدا باسم الترقي ، لان يقتل مئات الالاف من البشر في الهند او الصين ، او ان يغير عليهما ، او ان يغير كل المؤسسات والافكار التاريخية والفلسفية والمذهبية ، لان اعتقاده كان راسخا بان كلمة الترقي ، وان لم يكن لها مفهوم مشخص ، فان لها وجودا . ولكن ترق الى ماذا ؟! وفي اي اتجاه ؟! . . لم يكن جواب هذا السؤال معلوما ، ولكن الاعتقاد الجازم الثابت ، كان ان الترقي موجود . ان هؤلاء قد تلاشوا في القرن العشرين . وعندما راوا أن حربا قد افنت عدة ملايين من البشر ، في بلاد تعتبر في نظرهم من اكثر اقطار الدنيا ترقيا ومدنية ، وشاهدوا قتل الاخ لاخيه ، سحقوا تحت اقدامهم كل ما كان يعتبر من اكثر القيم الاخلاقية بداهة . وشك عدد كبير في تاريخ التمدن الاوربي واهدافه شكا اساسيا . وهنا ، ابرز الماركسيون دلائلهم الديالكتيكية (الجدلية) حتى يثبتوا وجود الترقي وهدفه المشخص . ولكن عدة كبيرة كانت ترى ان المسالة ليست مسالة اقتصادية فحسب ، وانما هي نوع من التغير في القيم الفلسفية والمذهبية قد طرا على أوربا . وكان في اوربا فيما بين الحربين الكثيرون جدا من المفكرين ، من قبيل الكتاب والادباء ، ممن واجهوا هذه التطورات . ثم تفاقمت هذه الحالة وبلغت ذروتها بعد الحرب العالمية الثانية . فكانت الناحية العامية او في الواقع الناحية الاجتماعية للاجزيستانسيالية ، التي ظهرت بعد الحرب ، واقصد ظهور اشخاص اهملوا كل المعايير الاجتماعية ، وحتى

النظم والثقافة ، وكل ما كان من ابرز مظاهر المجتمع الاوربي : كانت هذه الناحية قائمة في اغلبها على رد الفعل ، لا الفلسفي، وانما الاخلاقي والاجتماعي . فعندما رأى شبان الجيل الصاعد ، ان كثيرا من الآباء والامهات ، يعملون على العكس تماما من القيم التي علموهم اياها ، ظهر نوع من الاحساس بالرياء والنفاق في المجتمع . هذا الامر الذي يعيد نفسه اليوم في حركات « هي بي » وغيرها في امريكا وانجلترا . مما ظهر كنتيجة لفقدان جيل الشباب الثقة في آبائهم وامهاتهم ومجتمعهم ، وانتهى بوضع هذه القيم تحت الاقدام . ولهذا السبب ، نرى انه على الرغم من ان الفقر الناجم عن الحرب العالمية قد عوض بسرعة فان هذه الانواع من الحركات ، قد ظلت باقية . بمعنى انه وجد اناس لم يعودوا قادرين ابدا على قبول القيم الاخلاقية المسيحية ، او القيم الاجتماعية التي يقضي بها العرف .

اما من الناحية الفلسفية ، فان الامر كان اكثر تعقيد بالنسبة لما نسميه « الاجزيستانسياليزم » الفلسفي » ، الذي اصطبغ بلونين مختلفين في كل من المانيا وفرنسا . ولقد سعى « هوسرل » مؤسس مذهب « الفنومنولوجي » اولا ، كما سعى تلامذته « هايدجر » و«ياسبرز» اكثر منه، في ان تؤتي الناحية الفلسفية للاجزيستانسيالية ثمرتها . والواقع ان قول « هايدجر » المعروف « بدات الفلسفة بافلاطون واختتمت بي» ليس بعيدا عن الحقيقة، على اعتبار اننا اذا تصورنا مفهوم « الوجود » ، ضل على نحو من المحدودية ، التي وجدها منذ القرون الوسطى ثم اصبح يتحدد تدريجيا ، حتى انحصر في مفهوم ذهني صرف ، نرى اننا لا يمكن ان تتجاوز «هايدجر»، وان الفلسفة قد ختمت به . وعلى العموم فان الفلاسفة الاجزيستانسياليين الالمان ، ولو انهم لم يتوجهوا الى معنى الوجود كما هو في الحكمة والعرفان الشرقيين ، فقد حاولوا الاحتفاظ بشيء من البعد المتعالي ضمن نطاق المحدوديات التي وضعها تاريخ الفلسفة الاوربية امام اقدامهم . وقد قالوا على التوالي بقيمة هذا البعد ، بالنسبة للانسان والمجتمع الانساني . اما في فرنسا، فان لدينا نوعين من الاجزيستانسيالية: الدينية ، واللا دينية . ولربما كان « كابريل مارسل » الكاتب الفرنسي المعروف ، ممثل الاجزيستانسيالية الدينية قبل الجميع . كما ان ممثل اللا دينية ، هو « سارتر » واتباعه . ومما يجدر بالذكر ، ان احدى خصائص الكتاب الاجزيستانسيالية ، انهم ادباء ونقاد اجتماعيون اكثر منهم اي شيء آخر . وكتاباتهم الادبية ، على قيمة فنية وادبية . ومن هنا سعوا في كل ما الفوا من المسرحيات ، وما انتجوا من الاشعار ، وما كتبوا من القصص والمقالات النقدية والروايات ، ان يمنحوا الفلسفة جانبا ادبيا فنيا . يعني ناحية تتعامل مع حياة كل يوم ، ومع الجمال واحساسات الانسان وعواطفه . هذا ، الا ان الفرق الاساسي بينهم، هو ان « مارسل » وامثاله يقولون : الانسان وحيد ، وقد انقطعت روابطه بالعالم والاخرين والله ، و«الوجود» الذي نقول به ، هو وجود الانسان الفردي. ولكنهم مع هذا يضيفون ان بين هذا الانسان والوجود المتعالي ، اي الله ، خندق وهوة يجب على الانسان ان يقفزها . وبطولة الانسان او قيمته كموجود بطل حي ، في طيرانه من ناحية الى اخرى . على حين يعتقد سارتر واتباعه ان قيمة الانسان في تحمل هذا « العدم » . وان على الانسان ان يتحمل كونه موجود وحيد ، لن يتصل ابدا باحد آخر . لذا فان الشيء الوحيد ذو القيمة ، هو الاحتفاظ بالقيم الانسانية من حيث القضاء على الظلم الاجتماعي ، وما الى ذلك . ومن هنا ايضا كان كثيرون من الاجزيستانسياليين السارتريين ، على جانب يساري ماركسي . وكثيرون منهم ايضا ممن ازدوجت فيهم الماركسية السياسية والاجزيستانسيالية الفلسفية .

تلاش : سيدي الدكتور نصر ، مع العلم بان اجابتكم العالية بصدد تاريخ الفلسفة، جامعة مانعة، الا ان لي سؤالا آخر اود ان اوجهه اليكم . وذلك ان البعض قد ترجم كلمة الاجزيستانسياليزم ، باصالة الوجود . ولدينا في الفلسفة الاسلامية، بحث طويل في صدد الوجود واصالته . فهل هناك ارتباط بين الاثنين ؟

ـ اعتقد ان ترجمة اجزيستانسياليزم باصالة الوجود ، غلط تماما ، وضلال مائة بالمائة . وعندما نقول نحن في الفلسفة الاسلامية « وجود » فان قصدنا ليس مفهوما ذهنيا فقط ، وانما نقصد واقعية عينية واسعة تشمل كل شيء بما في ذلك نحن شخصيا . والفلاسفة الاسلاميون عن بكرة ابيهم ، بما في ذلك المشائيون ، والاشراقيون ، او ملا صدرا واتباعه ، قد قالوا جميعا ، بمصداق عيني لمفهوم الوجود. يعني انهم يطلقون اسم الوجود المطلق ، على حقيقة خارجة عن ذهن الانسان . غير ان ملاصدرا واتباعه معتقدون باصالة ووحدة الوجود ، ويقولون « بوجود » واحد لا اكثر ، وانما له مراتب مختلفة على حين اعتقد

الحكماء الاشراقيون بالاصالة لماهية الاشياء ، ويقولون ان وجود كل شيء عارض عليه ، وان الوجود اصيل ومستقل فقط في ذات الباري تعالى. اما اجماعهم جميعا على القول بمصداق عيني خارجي لمفهوم الوجود ، فهذا مما لا شك فيه . ونحن المسلمين فلاسفة او علماء ، عندما تقول اصالة الوجود ، يكون المقصود ، علاوة على القول بمصداق خارجي لمفهوم الوجود ، ان كل ما يعطي للشيء واقعية ، يقول عنه وجود ذلك الشيء . لا ماهيته . وقد وضعت اسس اصالة الوجود في ايران على يد صدر الدين الشيرازي واتباعه وهي فلسفة تبتني على القول بأمر واقعي وسيع يسمى الوجود .

بحيث ان كل شيء ، مظهر له ، ومرتبة منه ، ودرجة فيه . وان كل شيء مستغرق في ذلك ، ولا يوجد شيء ما خارج عنه . وهكذا يتضح لنا الفرق ، واي فرق ، بين هذا التعريف وهذا المعنى ، وبين الاجزيستانسياليزم !! فالاجزيستانسياليزم كما قلت ، قد ظهرت في الفلسفة الاوربية ، عندما كان الوجود – كما عرضنا سابقا في فلسفة « سن توماس » وحتى « لا يبنيتز » – لا يمثل مبحثا فلسفيا على الاطلاق ، وكان قد تلاشى من الفلسفة الاوربية . بمعنى ، انه لم يكن هناك من يعتقد بالوجود كأمر عيني مطلق خارج عن ذهن الانسان ، اللهم الا الالهيون المسيحيون في الكنائس الكاثوليكية . اما الفلاسفة الاوربيون المعروفون ، فكانوا قد ابتعدوا عن هذا الطريق . ونحن نرى في الواقع، اذ تقول اجزيستانسياليزم ، ان كلمة « اجزيستانس » تعني ، اما المعيشة والحياة ، واما وجود الفرد وهذا على اكثر تقدير ، لا تعني اصالة الوجود ذات السعة الشاملة لوجودنا نحن ايضا. وحتى الاجزيستانسياليين المذهبيين امثال « مارسل » وغيره ، ممن يعتقدون بوجود الله ايضا ، فانهم يقبلون نوعا من الصدع والانفصال بين وجود الانسان ووجود الله . وعندما يقولون اجزيستانسياليزم ، فانهم يقصدون في الغالب اجزيستانس (وجود) الانسان .

اما فيما يرجع الى المدرسة الاجزيستانسيالية الفرنسية ، فكم يروق في نظري ان تترجم الاجزيستانساليزم ، باصالة الحياة ، فتكون ، اصح منها باصالة الوجود، هذا على اقل تقدير، فاجزيستانس اساسا بهذا المعنى كما قلنا . وقد اوجدوا هذه الكلمة في مقابل الفلسفات الاوربية في القرن الثامن والتاسع عشر، التي كانت قد انقطعت كل ارتباطاتها بالحياة . هذا ، على حين ان اصالة الوجود الاسلامية ، فلسفة لا ينفصل الانسان فيها عن الله مطلقا . يعني انها جعلت الانسان في مرتبة من الواقعية بحيث ، سواء عرف بنفسه او لم يعرف ، فهو متصل بالمراتب الاعلى من الواقعية . ووجود الانسان في هذه الفلسفة ، وجود من اجل الحياة الابدية والوصول الى المراتب الاعلى للوجود ، وهو عين الحضور والشهود . بينما «وجود» سارتر وامثاله ، وجود ينتهي بالعدم دون اي اتصال بمراتب عالية . ومن هنا كان للانسان في الفلسفة الاسلامية نوع من القيمة ، وكان له معنى آخر ، لا يعدمه الفناء .

ومما تجدر اضافته هنا، ان تاريخ الوجود يختلف اساسا في الفلسفة الاوربية عنه في الفلسفة الاسلامية، اختلافا اساسيا . ولعله من محاسن الصدف ان قام العالم الفرنسي المعروف بروفسور هانري كوربن ، Henry Corbin بتحقيق قيم في هذا الصدد ، ورد في مقدمة كتاب الشاعر لملا صدرا . ان احد الاختلافات الاساسية ، هو ان كلمة « وجود » قد استعملت في الفلسفة الاوربية ، بصورة المصدر ، ثم تقلص معناها تدريجيا حتى اصبحت بصورة المفهوم الذهني. كما انهم في الفلسفات الجديدة التحليلية والثبوتية المنطقية ، يقولون ان كلمة « وجود » ليس لها معنى اصلا . فهي كلمة يمكننا بها أن نعبر عن وجود هذا الشيء او ذاك ، ليس الا . ولا يقولون بأي معنى للوجود الواسع مطلقا ، لكن هذه المسألة ، على جانب عظيم من الاهمية في الفلسفة الاسلامية. فكلمة وجود، تحت التأثير المباشر للاسلام بالذات ، قد استعملت دائما **بصورة الفعل الأمر ، فعل «كن» ، انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » . فهي كما بين القرآن الكريم ، تدل على ان الوجود امر الله ، وليس اسما ولا مصدرا .** وكان هذا باعثا على ان يكون تصور مفهوم الوجود ومعناه ومصداقه في الفلسفة الاسلامية ، متباينا معه في الفلسفة الغربية . ولهذا ايضا كان من الخطا ان تترجم اجزيستانسياليزم باصالة الوجود .

تلاش : كان العرفان والحكمة الاسلامية دائما ، ينشدان وصال الحقيقة واقتطاف جناها ، دون التغاضي عن اهمية العقل . على حين نرى ان الفلسفة الاجزيستانسيالية ، وهي المعنية بالبحث عن الارتباط المباشر بالواقعية ، قد اغمضت عينها عن قيمة العقل في اكتشاف الحقيقة الى حد ما ! فهلا

تفضلتم ببيان العلة في اختلاف وجهتي النظر ؟

ــ الموضوع في نظري حساس ومهم للغاية . ان قمة بناء الفلسفة الاسلامية ، والفرق بينها وبين الفلسفة الاوربية ، هو ان المسيحية ، كما اشرت قبلاً، ترى ان الانسان ارادة اضيف العقل اليها . فالعقل ، كطريق لنجاة الانسان وخلاصه بالمعنى المذهبي والفلسفي ، لم يكن موجوداً . والعكس بالعكس في الاسلام . يعني ، ان الانسان عقل ، والارادة مضافة اليه . هذا فيما لو امكنت المقابلة . فالعقل بهذا المعنى ، وديعة الهية ، ونوع من الآلة في الانسان للادراك الالهي . ولهذا كانت القاعدة الاساسية للدين ، في الاسلام ، يعني التوحيد « لا اله الا الله » يتوصل اليها عن طريق العقل السليم . ولهذا ايضا يصف القرآن من ينحرف عن وجهة النظر المذهبية والدينية ، عن الصراط المستقيم، يعني الطريق الصحيح، بأنه لا يستطيع ان يعقل . اما في المسيحية ، فان وصف المنحرف عن الدين بانه غير قادر على التعقل ، امر غير قابل للتصور . وعليه ، فهناك من وجهة النظر الانثروبولوجية ، فرق بين تصور كل من الاسلام والمسيحية للانسان ، وان كانا يلتقيان اخيراً ، في ان الانسانين محتاجان للدين . اما الاختلاف فموجود اساسيا ، في ان المسيحية ترى ان الانسان ارادة ، وان الخلل والانحراف قد ظهر في هذه الارادة بعلة الهبوط الاولى ، وان هذا الخلل والانحراف لا يزولان الا بغسل التعميد والايمان بالمسيح . وهناك ، بعد ان يتلاشى هذا الخلل يستطيع الانسان ان يستعمل العقل . اما في الاسلام ، فالانسان عقل قبل كل شيء . فان كان هذا العقل سليما ، يمكنه ان يصل بذاته الى الحقيقة . وعليه ، يكون معنى العقل متفاوتا اساسا بين الاسلام والمسيحية . والواقع ، ان العقل في الاسلام ، هو ذلك الشيء الذي يربطنا بالله . بمعنى انه هو ذلك الشيء الذي يعين ذات المطلق ويحددها في مراتب الوجود النزولية . فلو جعلنا هذا الموضوع نصب اعيننا ، لوصلنا الى هذه النتيجة من ان الفلسفة الاسلامية أو العرفان الاسلامي ، لا يختلفان مع العقل مطلقاً .

وعندما يقول مولانا جلال الدين « ان قدم الاستدلاليين خشبية » او يقول « اجعل عقلك فداء للمصطفى » ، فهو يوضح ذلك في مكان آخر بقوله « ان العقل الجزئي قد اساء الى سمعة العقل ، فان القدم الخشبية اشارة الى العقل الجزئي ؛ هذا العقل الجزئي ، هو ما اطلق عليه ديكارت « Raison » وجعله اساساً للفلسفة . اما العرفاء والحكماء المسلمون ، فانهم يتفقون مع العقل بمعناه الكلي ، بما جاء في الفلسفة الاوربية واليونانية بمعنى « نوس » او Intellect ويختلفون معه بمعنى (Raison) والواقع ان القوى الاستدلالية في الانسان ، اشبه ما تكون بسلاح ذي حدين . فاما ان تكون قادرة على اطلاق الانسان من محدوديته وتوصيله الى الله ، واما ان تكون حجابا يحول دون الانسان وربه ، ويستبقيه مهجوراً غائباً .

لقد اختار بعض الحكماء والعرفاء الاسلاميين امثال ابن عربي واسهروردي وملا صدرا ، الاستدلال طريقا للوصول بالانسان الى مراتب العقل العليا ، ومن ثم الى العقل القدسي، فوصال الحق . ووضع آخرون مثل مولانا جلال الدين والغزالي ، ناحية المحدودية في الاستدلال ، وعمدوا الى كشف ناحية الحجاب فيه ، او انهم عمدوا في الواقع الى الطفرة بالانسان ، الى ما وراء هذا الحجاب من القوى الاستدلالية ، الى حمى الكبرياء الالهي . وعلى كلا الحالتين ، لما كان العقل في حكمة الاسلام وعرفانه ، ينشر اجنحته دائما فوق الاستدلال ، وكان هذا العقل غير قاصر على الاستدلال فقط ، وانما هو واقعية يحقق بها الانسان الاتحاد العيني، والاتحاد الوجودي ، فان الفلسفة والعرفان الاسلاميين لم يتعديا حدود الذوق وتذوق الحقيقة، او الادراك المباشر للواقعية . يعني ، انه حتى الفلسفات المنطقية الاستدلالية المغالية في الانتزاعية الشبيهة بفلسفات أواخر القرون الوسطى والفلسفات الاوربية في القرن السابع عشر ، تترك باب العودة مفتوحا يهدي الانسان لمشاهدة الحقيقة مباشرة . وافضل مثال على هذا ، هو مؤلفات السهروردي فانه خص في الفصل الاول بالمنطق في كتابه المعروف بحكمة الاشراق وخص الفصل الاخير منه «بالوجد والسرور»، اي الفرح المعنوي والوصول الى الحق .

هذا ، بينما لا نرى في الفلسفة الاوربية شيئا من ذلك . يعني ان الراسيوناليزم الاوربي ، اصطنع الاستدلال طريقا وحيدا للحقيقة ، هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى ، فان الاجزيستانسياليزم ، في رد الفعل بالنسبة لهذا النوع من الفلسفة الجافة البعيدة عن تجربة الانسان واحساساته ، قد اوجد فلسفة ، لا تعتبر فلسفة بالمعنى الواقعي . يعني على سبيل المثال ، ان اساسها هو الاضطراب والتشويش والرهبة من الموت وما الى ذلك . فهي محقة في تصديها لهذه الامور بالبحث ، ذلك ان الانسان يلمس

هذه الاضطرابات في نفسه ، الانسان يخاف من الموت، والفلسفة التي لا تقدم الحلول لهذه المسائل ، ليست فلسفة، الاانها باعتبارها ولكن حيث رد الفعل هذا في مقابل الاستدلال ، فانها اكتسبت صبغة ضد الاستدلال. على حين ان الفلسفة الاسلامية ، قد قدمت فيما قدمت ، الحلول للمسائل ، التي كانت الاجزيستانسيالية تسعى لحلها ولم توفق اطلاقا ، دون اي اختلاف مع الاستدلال . وما كان هذا ، الا نتيجة للتصور الاسلامي للانسان والتصور المسيحي له . وهذا اقوم درس يحملنا على ان نفهم ان الميراث المعنوي والديني لاي تمدن او حضارة ، لا يزال بهذه السهولة . وما مثله الا كمثل جبل ثلجي في البحر يكون عشره طافيا وتسعة اعشاره مغمورة في الماء .

ان تصور الانسان عن الانسان بالذات ، من صنع القرون التي مرت عليه من التمدن الفلسفي والديني والمعنوي . اما اذا تكلم فيلسوف اجزيستانسيالي عن الناس او البشر او الانسان ، فهو لا يتكلم عن الانسان المطلق ، وان كان يتخيل ذلك . نعم ، ربما يستطيع القول بالسواسية ، بين الصيني والهندي والايراني والفرنسي ، ولكن ذلك يمكن اطلاقه على المستوى الاقتصادي . واما اذا بحث فيلسوف اوربي فلسفيا الانسان فانسانه هو ذلك الذي تكلم عنه من قبل القديس اوجستين سنة 1600 ، واشرنا اليه سابقا . غير انه يعتقد ان له غاية معنوية وروحا خالدة وحتى اذا استبعدنا هذا الهدف المعنوي عنه ، فان هذا الانسان ، هو ايضا نفس ذلك الانسان من حيث العقل والارادة والارتباط بالواقعية ، ولو انه من المحتمل ان يكون هذا التصوير محرفا . بينما يفترق مفهوم الانسان نفسه في الفلسفة الاسلامية . يعني ان دور العقل في وجود الانسان ، والعمل الذي يستطيع العقل ان يؤديه بصفته منبع الاستدلال ومنشأ الدين والمعنويات، وذلك الشيء الذي يوصل الانسان الى الواقعية في نفس الوقت : هذا الدور الذي لا وجود له في الفلسفة الاوربية باختلاف بينها وبين الفلسفة ، هاتين الفلسفتين اللتين ربط الاخاء بينهما قرونا ، هو ان ذلك العرفان ذا الجانب العلمي قد تلاشى من المسيحية مع « اكهارت » والعرفاء الالمان الكبار ، في اواخر القرون الوسطى واوائل عصر النهضة . وبزوال هؤلاء ، زال نوع من العرفان جمع الايمان والعقل معا في وقت واحد . وبقي في اوربا ما يقولون عنه « المستيسيزم » ، الذي يقتصر على جانب الاحساسات والعواطف فقط . ولهذا ، لم يكن هناك بد امام الانسان من الاختيار بين شيئين : فاما الراسيونالية الفلسفية الاستدلالية الصرفة ، واما نوع من المستيسيزم او الشعور الديني . حتى اذا ما ضعف الدين ، كان الشيء الذي احتل مكانه في الواقع ، هو هذا النوع من مدارس الاجزيستانسيالية .

وعليه ، فالحقيقة ، انه يوجد في الفلسفة الاسلامية نوع من الوحدة بين جانب التلاقي مع الواقعية والشهود والعرفان من ناحية، والعقل من الناحية الاخرى . هذه الوحدة التي كانت ضئيلة حتى في القديم ايضا حتى في مسيحية الغرب ، ثم اختفى اثرها نهائيا في القرون المتاخرة . والاجزيستانسيالية، كنوع من تلمس الجواب على مقتضيات الانسان للبحث في المسائل المرتبطة بالواقعية ، كالحياة والممات والعشق والخوف ، قد اعطت اجابات خارجة عن دائرة الاستدلال . على حين ان الاجوبة قد قدمت من جانب الحكمة والعرفان الاسلامي ، دون ان تنقض قدرة الاستدلال والبرهان .

تلاش : والآن ، كيف تستطيع الفلسفة او الحكمة والعرفان الاسلامي ، تقديم الحلول لمشكلات اليوم الفلسفية ؟

ــ يجب علينا ان ناخذ نوعين من الفرد بنظر الاعتبار : احدهما المسلم الذي يرث هذه الفلسفة او الحكمة والعرفان . والاخر غير المسلم بصورة عامة ، سيان في ذلك الغربي او الشرقي ، فاما بالنسبة للنوع الاول ، فالفرد مرغم ازاء اي عمل يريد ان يؤديه، على البدء من القاعدة الفكرية والفلسفية التي يقف عليها . يعني في نظري ، انه لا يمكن لاي حركة فكرية اصيلة ايا كان نوعها ، فلسفية كانت ام علمية ام اجتماعية ، ان تقوم في اي مكان من العالم الاسلامي كله ، ما لم تكن نموا للشجرة الموجودة ، او تطعيما ناجحا لها . يعني ، مجرد ان يذهب ايراني او عربي او باكستاني الى المانيا او فرنسا او امريكا ، ثم يصير اجزيستانسياليا او فنومنولوجيا او ماركسيا مثلا ، فهذا شيء فردي ، ولا مانع منه ، وكثيرا ما حدث ، وما اكثر ما يحدث حتى الآن . ولكن ، لن تكون هذه على الاطلاق خطوة في المسيرة الفكرية لهذه المجتمعات في المستقبل ، ما لم يكن نابتا من المحيط الفلسفي لهذا التمدن الموجود . يعني انه لا عذر هناك للجهل بالسنة الفكرية الاسلامية علمية كانت او فلسفية او عرفانية . ومن الجائز ان يكون هذا الفرد غير متفق مع هذه السنة ، ولكن هذا شيء آخر وليس معذورا في جهله كذلك وكما يقول المثل الصيني المعروف : ان سفر عشرة آلاف فرسخ ، يبدأ بخطوة واحدة ، لا مندوحة للانسان : اينما كانت الناحية التي يريد ان يذهب

منها ، ومهما نات المسافة التى عليه ان يقطعها ، وكيفما كان الفكر الذي يميل الى تقبله : من ان يبدا من حيث يكون .

واذا اردت ان اجري كلمة « اجزيستانسيل » الرائجة الاستعمال اليوم على لساني ، من حيث الاجزيستانسيل ، بمعنى الوضع الذى نحن فيه الآن، فأقول انه يجب على كل مفكر اسلامي ، يريد التحدث عن المسائل الفلسفية المختلفة ، ان تكون له معرفة بالسير الفلسفي ، وبتراثه الفلسفي والعرفاني والعلمي .

واما بالنسبة للنوع الثاني ، اي الاشخاص ، الذين ، لا هم يتعلقون بهذا الدين ، ولا هم يرنون هذه الفلسفة والحكمة ، فان الحكمة والفلسفة الاسلامية ، تقدم لهم ، لانسان اليوم ، كثيرا من الرسالات الحياتية القردية للغاية . اولها : ما اشرنا اليه قبلا من حل مسألة الرابطة بين العقل والايمان ، او بين المطالب الفكرية والاستدلالية لذهن الانسان ، وبين المطالب العاطفية والوجودية ، فى وحدة متكاملة وكيان موحد . وذلك ما لم يتات تقديم حلوله الفلاسفة الاوربيين ، مع الاسف ، وكان اداؤه فى وسع الفلسفة الاسلامية . ان لدينا فى الفلسفة الاوربية اليوم ، المدرسة التحصيلية الثبوتية الامريكية الانجليزية ، او حلقة فينا ، وهؤلاء يجهلون حتى كلمة الحقيقة ، لانهم لا يجدون لها تعريفا منطقيا او تعريفات مختبرية . ويقولون انه يجب على الفلسفة الا تبحث اصلا عن الحقيقة والواقعية ، وما هذه التعريفات كلها الا خطأ واشكالات لغوية ، هذا من جهة . ومن الاخرى ، هناك مدارس الاجزيستانسيالية المتطرفة ، التى لا تتفق اصلا مع اي تفكير منطقي او فلسفي ، ينبني على الاستدلال والبرهان . هذا هو المسرح الفلسفي الذى نقف عليه : ايمان مطلق بالاستدلال والمنطق فى طرف ، ونفي مطلق للبرهان والمنطق ونقضهما فى الطرف الآخر. كما ان هناك المسائل الاخرى الحياتية الهامة ، يتطلبها علم اليوم من الانسان ، من جانب ، والمقتضيات التى تتطلبها الفلسفة والدين ، او الاحتياجات التى تنبعث فى داخل الانسان بالذات ، بوصفه موجودا فانيا ، يفهم ان للحياة ابتداء وانتهاء ، من الجانب الآخر . والاجوبة التى تقدمها الفلسفات العلمية الحالية ، لا تحل هذه المسائل باي وجه كان . ان اول خدمة عظيمة تستطيع الحكمة والعرفان الاسلامي تقديمها الى عالم اليوم ، هي حل هذه المسائل بالذات .

لقد استطاع الاسلام داخل نطاق هذا العرفان والحكمة بالذات ، ان يكون المركز العلمي الكبير للعالم لمدة 800 او 900 سنة . فربى الرياضيين والفيزيائيين والاطباء والكيمائيين ، الذين لم يشعروا باي نوع من الغربة ازاء هذا التمدن او هذه الفلسفة . ان تقدير اشخاص كخواجه نصير الدين الطوسي ، او الفارابي فى عقيدتي ، لا يقتصر على المسلمين فحسب ، وانما هم شخصيات عالمية ، بهذا المعنى : من انهم كانوا اتباعا لنوع واحد من الفلسفة والحكمة والعرفان، معتقدين به . هذا النوع من الفلسفة قد مكنهم من الاجابة على نفس المطالب التى ينشدها كثيرون من الاجزيستانسياليين فى الحقيقة ولا يصلون اليها . فأجابوا على معنى الحياة ومعنى الموت ومعنى العشق ومعنى الخوف . كما استطاعوا فى نفس الوقت ان يؤلفوا الرسائل الرياضية ، التى تقارن باحسن الكتب فى تاريخ الرياضيات ، من حيث دقة النظر والمنطقية والاستدلال . ان هذا يعني فى الواقع ، أن فلسفة واحدة توائم بين نوعين مختلفين من التفكير ، ربما كان الفصل بينهما اكبر مسائل الغرب اليوم . او كما قال الفيلسوف الانجليزي الكبير « وايتهد » : هذا الفصل بين العلوم والدين والفلسفة ، مثل مرض « اسكلروز » (تصلب الانسجة) ، الذى يبتلي به الانسان فى الشيخوخة وعادة ما يهلك بسببه . فاذا لم يستطع التمدن الاوربي ان يوائم بينها ، فسيموت كما يموت المريض بتصلب الانسجة .

واما المسألة الثانية : فهي ، ان الشيء الذى جعل الموضوع مشكلا على الاوربيين فى هذه الايام ، هو غض النظر عن موضوع العالم المكون من سلسلة مراتب. وهذا ايضا يرجع اساسا الى ديكارت. لقد افقر ديكارت الواقعية . بمعني ، انه قال : ان لدينا واقعيتين لا اكثر . احداهما واقعية مفكرة، والاخرى واقعية ذات بعد . احداهما روح او فكر، والاخرى مادة. وعليه، فقد اصيبت الواقعية بنوع من الفقر . ثم ظهرت بعد ذلك جماعة قالت : ان للفكر اصالة ، وقد عرفوا بالمثاليين . وقالت جماعة اخرى : ان المادة او البعد له اصالة ، وقد عرفوا بالماديين او المثاليين . هذا ، على حين ان المسألة لم تطرح فى الفلسفة الاسلامية على هذا النحو . فالفلاسفة الاسلاميون ، لا هم بمثاليين ، ولا هم بماديين. فاذا امكن القول بانهم مثاليون ، فان ذلك يكون بالمعنى الافلاطوني ، لا بالمعنى المعروف اليوم ، من ان كل مثالي مخالف للمثالية . فالفلسفة الاسلامية تملك « تصميما » لدار الوجود من شأنها ان تعين « اين » يكون الانسان ، لا باعتبار الأينية فى الابعاد الجسمانية الثلاثة ، سواء أكان فى منطقة الجاذبية او فى نجم ما او على وجه الارض ، اي انه لا يزال فى هذا البعد الجسماني ، بل اين هو بالنسبة للمبدا ، بالنسبة

للمعاد ، بالنسبة للبداية والنهاية . اننا مهما تقدمنا في المرتبة الجسمانية لا نزال في مرحلة الوجود ايضا . والاكتشافات العلمية الجديدة ، لا يفيدنا اي منها شيء في فهم : « من اين جئنا ؟ » . . ولا الى اين نذهب ؟ . ان كل ما اتتجه وينتجه علم الحياة والعلوم الفيزيائية لن يكون لديه جواب على هذا السؤال . وهذا هو ما فهمه الاجزيستانسياليون . يعني ، انهم يدركون انهم لن يجدوا في كتاب « بيولوجي الانسان » جوابا للكيفية التي سنكون عليها بعد الموت ، والكيفية التي سنصير اليها بعد ذلك . وكذلك لا يستطيع الانسان ان يفهم (اين كانت يقظة وجداني) قبل الميلاد . والتحليل الدقيق للنفس وعلم النفس الحديث ايضا ، لا يعينان على فهم هذه المسائل بما يستحق الذكر . لان نشاطها جميعا محدود في نطاق معين . فهذه الفروع من العلوم تبحث في النفس ، ونفس الانسان ، لا في روحه .

وعليه فان للفلسفة الاسلامية « تصميم » عن دار الوجود اي العالم الذي مصدره الله تعالى باعتباره الوجود المطلق .

ويأتي بعده عالم الملائكة او عالم العقول وما الى ذلك من الاسماء الاخرى . وبعده عالم فيما بين ، وهو منشأ أصوات هذا العالم واشكاله والوانه وكيفياته .

والواقع ان تلاشي هذا العالم من الفلسفة الاوربية — مع ما له من الاهمية البالغة بالنسبة لنا ، من حيث الفن وفلسفته — بعد افلاطونيي كمبرج في القرن السادس عشر ، قد حمل الفلسفة الاوربية مصيبة فادحة . هذا «التصميم» عن دار الوجود ، كم يبدو في نظري على غاية من الاهمية بالنسبة لانسان اليوم . فالانسان اصلا بحاث عن الواقعية مفتش عن المعنى . ولا يمكن صرف الانسان عن البحث عنها فالبحث عن المعنى امر كتناول الطعام ، غريزي حيوي . ومهما كان الانسان غنيا من حيث الغذاء والمسكن والمسائل الاقتصادية، فانه لا يستغني او يكف عن هذا الامر . فان لم يستطع ان يحصل على «المعنى» ، وان يحدد احياته هدفا ، فانه يقضي على نفسه ، مرجحا « العدم » على حياة بلا معنى . وتدلل نسبة كبيرة من الانقلابات ، التي يحدثها شباب اليوم في المجتمعات الصناعية ، على هذا الامر . انهم شبان يتوفر لهم كل شيء . وبحسب ما جاء في الكتب التي قرأناها قديما، من ان جميع الانقلابات الاجتماعية كانت نتيجة للفقر ، فيجب الا يشتركوا في اي انقلاب اجتماعي . ولكن الواقع ، انهم في حالة طغيان مطلق . حتى انهم ليتهافتون على العقاقير الخطرة مثل L.S.D. وغير ذلك من المخدرات ، لينطلقوا بطريقة ما ، من سجن محدوديتهم . وحتى هذه الغاية في حد ذاتها ، هي احدى تعاليم الحكمة والعرفان الاسلامي ، في ان على الانسان ان ينسى — بنحو ما — وجوده المحدود . ولهذا فالانسان يريد هدفا واصولا عقائدية ، الانسان يريد املا ، ويجب ان يسعى دائما حتى يحصل على شيء اكبر منه . فلو ان هذا الشيء مثلا ، كان مجتمع الغد المثالي ، الذي يعتقد به الشيوعيون ، فان هذا الامل والمثال قد يرضي الانسان مدة من الوقت . اما اذا كان، الوصول الى الله ، فان الرضاء سيكون دائما تمام العمر ومدى القرون . اما الا يجد الانسان معنى في اي شيء ، فانه في هذه الحالة ، لا يستطيع الحياة فاقد المعنى والامل . وسينقض اذ ذاك عزل مجتمعه . واليوم، يوجد ظما عجيب غريب بين شباب الغرب للعرفان والتصوف ، للدين . الا انه توأم لعدم الانضباط ، الامر الذي روج لبضاعة عرفانية صفراء في هذه الاوساط ، كما هي العادة دائما . فانتشر المراؤون والمنافقون ، ممن خطوا بضع خطوات في الاديان الشرقية ، وتعلموا النزر اليسير ، واصبحوا يعرضون عرفانا بوذيا زائفا ، وجوكية كاذبة ، وتصوفا هرئا ، على انها اغلى البضائع . وما اروج اسواقهم !! كما انتشت المراكز العرفانية ، بمثابة الصيدليات في بعض المدن الامريكية . ولكن اكثرها للاسف عار عن القيمة الحقيقية . وعلة ذلك ، هي نفس هذا الظما للمعنى ، الذي ينتاب اكثر المجتمعات ترقيا (بالمعنى الاقتصادي للكلمة) في امريكا ومن بعدها انجلترا . فالشباب ينشد المعنى .

على ان الفلسفة الاسلامية والعرفان الاسلامي ، يقدمان للشباب والافراد رسالة على غاية من الاهمية . لانهما اولا : اقرب الى الغرب من العرفان الهندوكي والبودي . والاسلام والمسيحية اكثر تشابها في البناء واقرب تاريخيا الى بعض وثانيا : ان هذا النوع من العرفان والحكمة ، متضمن في نطاق واحد من حيث التربية والنظم المعنوي . وكما قلت انه لا يمكن مطلقا ، ان يضرب باحتياجات العقل واستدلال عرض الحائط . ولو ان هذه الحكمة وهذا العرفان، عرضا عرضا جيدا، او اخرجت جميع الخزائن الفلسفية والحكمية وحتى العلمية الموجودة داخل النطاق الاسلامي ، بلغة اليوم ، بما يمكن الشباب من فهمها ، فان اثر هذه الحكمة لا تقف عند الاجابة على مطالب الجيل الجديد المعنوية فحسب، وانما يكون في سورة الامكان ايجاد فلسفة طبيعية وعلمية واحدة . وهذا ، هو ما تحتاج اليه علوم العصر الجديدة كالفيزياء احتياجا مبرما . يعني ان تدغم

العلوم في نطاق نظر اوسع ، حتى لا تنحرف هـذه العلوم الى الناحية التخريبية . وبدلا من ان تكـون معطياتها ، عوامل تصالح بين الانسان ونفسه والطبيعة وخالقها ، تكون باعثا للنزاع والحرب والتعاسة والفقر الكبير الذي نراه . وهذا الامر لا يحتـاج الا لهـمة الافراد المتضلعين في علوم اليـوم وفلسفتـه ، وفي الحكمة والمعارف الاسلامية . وما اعظمها خدمة ، تلك التي يقدمونها بتعبيرهم عن تلك الحكمـة والمعـارف للجيل الشاب !!

وان كان هنا ما ارجو ان اختتم به قولي، فذلك انه يجب على المسلمين بصورة عامة ، اذا ما ارادوا ان ينتهجوا طريقا ، ان تكون مسيرتهم مقترنة بالعلـم ، وبسننهم الفكرية والفلسفية والمعنوية ، وحتى لو انهم ارادوا رد هذه السنن ، وسلوك مسيرة اخرى ، فان عليهم اولا ، ان يتهموا ان اغماض العين عن سنة مـن اقيم واغنى السنن الفكرية في تاريخ البشر ، لن تكون له ثمرة بأية حال من الاحوال ، بل انه امر لا يقبل العفو . وفي اعتقادي ، وخاصة بالنسبة الى ايران ، ذات السهم الوافر في هذا الموضوع ، فقد كانت ولا زالت مركز الفلسفة والعرفان ، انه لو ادرك الايرانيون بالذات قيمة هذا التراث، لاستطاعوا من هذه الناحية، ان يظفروا بالقدح المعلى في حفظ التـراث الاسلامي وتجديده ، وتقديم رسالتهم الخالـدة الى الانسان والحيـاة .

تـلاش : كم انا شاكر لك . وارجـوك ما دمت قـد اشرت في الاخير من حديثك الى اهميـة الفلسفة الاسلامية ، ان تذكر لنا اسمـاء بعض كتبك التي في متناول اليد حتى يرجع اليها الراغبون في مزيد من المطالعة عن هذا الموضوع .

ــ اما باللغة الفارسية والعربية، فالكتب القديمة كثيرة . واما بالنسبة للطلاب الذين ليسوا على درجة كافية من الالمام باللغة العربية او الفارسية القديمـة ونصوصها ، فالكتب على العكس من ذلـك ، ليست كثيرة. واما ما اقدمه انا شخصيا للقاريء ، فبعض كتب ، مثل كتاب « نظر المتفكرين الاسلاميين في الطبيعة » ، وقد كتب لاحياء الفلسفة العلومية ، التي كانت اساسا للعلوم الطبيعية الاسلاميـة . وكتاب « ثلاثة حكماء مسلمين » ، وقد ترجم من الانجليزيةالى الفارسية . كما ان لي عدة كتب اخرى بالانجليزية ايضا ، مثل « Ideals and Realities of Islam » و « Science and Civilization in Islam » و « Islamic Studies » و « The Encounter of manand Nature »

وهو مجموعة من سلسلة محاضرات القيتها في جامعة شيكاغو قبل عامين ، طبعت في صورة كتاب ، عن الازمة العلمية والفلسفية اليوم دور الحكمة الشرقية في حلها . وهناك كتاب كتبته بالفرنسية بالاشتراك مع البروفسور كوربن باسم « تاريخ الفلسفة الاسلامية »، وقد طبع جزؤه الاول ، الذي ينهي بـ « ابن رشد » ، ونرجو ان تطبع الاجزاء الاخرى بسرعة . هذا ، وقد اشار البروفسور كوربن الى هذه الموضوعات في آثاره الاخرى ، وخصوصا في مقدمة كتاب « المشاعر » لصدر الدين الشيرازي (ملا صدرا) ، حيث يوجد بحث مفصل مهم عن الفرق بين سير التفكير في الشـرق والممالك الاسلامية وبالذات ايـران وبين الغـرب . ويمكننا كذلك بخصوص العرفان الاسلامي ، ان نشير الى هذه الآثار الفريدة باللغات الاوربية T. Burckhardt و F. Schuon وخاصة « Comprendre l'Islam » للاستاذ شوان ، الذي ترجم الى الانجليزية ايضـا وهذا الكتاب في نظري افضل مدخل الى الحكمـة للوحي الاسلامي . هذا الى جانب ما له من كتب اخرى والعرفان الاسلامي والتعرف على الجوانب الاساسيـة لا تقل اهمية عن هذا بالنسبة للعرفان والاديان ومسألة التقاء الدين بالتمدن الجديد .

لقد كتبت ستة كتب بالانجليزية حتى اليـوم ، قامت مطبعة جامعة هارفارد بطبع ثلاثة منها والحصول عليها في غاية السهولة في امريكا وفي كل مكـان مـن الدنيا. وطبعت آلن وآنوين بانجلترا كتابين آخرين واما الكتاب السادس « Islamic Studies » حيث توجد مقالات كثيرة عن تاريخ العلوم في الاسلام ، فقد طبع في بيروت ومثلها اربعة كتب بالفارسية . وعلاوة على هذا ، فقد كتبت حوالي 40 الى 50 مقالة بلغات اوربية : وخصوصا في كتاب :

« A History of Islamic Philosophy »

الذي طبع تحت اشراف الباكستان تحت اشراف المرحوم «محمد شريف» . ولي فيه ستة فصول ، عن تاريخ الفلسفة في ايران . ولربما لم يسبق ان كتب بالانجليزية شيء كهذا في اي مكان آخر حتى الآن . وما لا يقل عن هذا القدر من المقالات الفارسية والعربية

ونحمد الله ان القلم لم يجف وان الصحف لـم تطو بعد . واعتقد ان هذا القدر من الكتب والمقـالات كاف لمن يريد مزيدا من الاطلاع .

طهران ــ الدكتور سيد حسين نصر



الموسوعة القرآنية
من المفهوم الى التخطيط

للأستاذ محمد عبد الملك الكتاني

من المعلوم ان صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله كان قد عهد الى وزيره في التربية والتعليم خلال السنة المدرسية الماضية بالعمل في الميدانين العلمي والتربوي على تخليد ذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن وذلك بالقيام بعدد من المشاريع العظيمة خدمة للقرآن . وقد جرى اجتماع لهذه الغاية بمدرج كلية الآداب بالرباط بتاريخ 26 ـ 4 ـ 68 ضم عددا كبيرا من رجال العلم والفكر والتربية لتشكيل لجان العمل الذى رسمه السيد الوزير وعن هذا الاجتماع انبثقت اللجنة الرابعة التى عرفت باللجنة الملكية للموسوعة القرآنية . وما زال الجميع يتطلع الى ما ستحققه هذه اللجنة ، وبما ان عملها في مستوى رسالة هذا العصر من علماء الاسلام فالامل معقود عليها ، وهذا المقال تحية منا اليها .

1 ـ مفهوم الموسوعة

يقصد بكلمة الموسوعة في المصطلح العصري مدلولها اللغوي الذى ينتهي جذره الى دلالات السعة والغنى والاحاطة والاقتدار . والصيغة في هذا المصطلح تطلق على المؤلف الذى يجمع بين دفتيه مجموعة من المعارف متكاملة مستوفاة في علم من العلوم تنهض به الموسوعة ان كانت خاصة او في جميع العلوم ان كانت عامة .

ويرادفها في المصطلح العصري دائرة المعارف ، ومن المعلوم ان الدائرة هنا يقصد بها ما يحيط بالمعارف احاطة كاملة فلا يند عنها او يخرج منها شيء مما يعد من جملة المعارف الانسانية المتعاملة بين ذويها . وهناك كلمة اخرى تشترك مع الموسوعة في الدلالة في بعض اعتباراتها وهي كلمة القاموس وكلمة المعجم . فالقاموس معجم لغوي يعنى بتحديد معاني الالفاظ وسوقها مرتبة منظمة حسب النظام الالفبائي المعروف ، ولفظ المعجم ايضا له نفس المدلول ، الا انه اطلق ايضا على كل ما يمكن ان يرتب من المعلومات ترتيبا الفبائيا كاسماء الاعلام ، والاحاديث النبوية (1) .

ويطلق لفظ المعجم في هذا العصر ايضا على المرجع الموجز الذى يرجع اليه الباحث للتحقق من

(1) من معاجم الاعلام انظر معاجم الشيوخ المختلفة في كشف الظنون 2 / 494 .
وهناك مثلا معجم البلدان لياقوت ومعجم الشعراء للمرزباني ، ومعجم ما استعجم للبكري . ومن معاجم الحديث المعجم الكبير والاوسط والصغير لابي القاسم الطبراني .

المفهومات المرادة من الالفاظ المتداولة سواء كانت معاني لغوية او معاني سطحية في علم من العلوم او فن من الفنون (1)

وتظل كلمة الموسوعة ذات دلالة فريدة بين هذه الدلالات او الكلمات في عرفنا العصري، وهذه الدلالة تعني الشمول والاستقصاء مع التركيز المعارف والمعلومات في كتاب يعرضها بنظام الفبائي خاص يرتب ابوابها وموادها حتى يسهل على الباحث الرجوع الى ما يريده منها في الوقت الذي يريد ، ويمكن اعتبار الدلالة الموسوعية مشروطة بما يأتي :

ـ الشمول والاستقصاء للمعرفة التي تتناولها من تاريخ او فلسفة او طب او زراعة او فقه وما الى ذلك مما هو موجود في الموسوعات العلمية الرائجة في هذا العصر .

ـ كونها تعرض تلك المعارف والعلوم مرتبة ترتيبا خاصا ، موزعة حسب المواد اللغوية ، ومنظمة موادها تلك حسب الترتيب الالفبائي المعمول به في المعاجم اللغوية .

ـ انها تستقطب في كل مادة او بحث المضمون العلمي بكامله ، والمتعلق بموضوع تلك المادة ابتداء من نشأته الى منتهى تطوره ، في الوقت الذي يحرر فيه ذلك البحث ، وهذا هو الشرط الذي يعطي للموسوعة قيمتها الحضارية والزمنية ، بحيث يجعل ظهورها في امة من الامم دليلا على تمثل المحصول العلمي في فكر ابنائها مع ربط ماضيه بحاضره في تاريخها ، وبالتالي تعتبر الموسوعة دليلا على النضج وعلى التصميم بأن يكون منطلق ثقافة الامة من حيث انتهت انطلاقات من سبقوها في هذا المضمار ، لاسيما وعالمنا المعاصر قد تقاربت ابعاده وأهدافه ومشاغله واهتماماته ، واصبح التطور العلمي لا يخص امة دون اخرى ، فكل ما تصل اليه العقول والجهود يصبح ملكا للانسانية جمعاء . والموسوعات العلمية تحقق هذا التقارب الى حد بعيد .

ـ كونها تتصف بالتركيز للبحث الى درجة انها تحدد للباحث احيانا عدد سطوره او عدد كلماته .

هذه الصفات من مقتضيات العمل الموسوعي ، ولا يتصور قيام موسوعة خاصة او عامة بدونها .

والذي يدعو في العادة الى النهوض بالتأليف الموسوعي في علم من العلوم او عصر من العصور هو تشعب فنون المعرفة واستبحار القول في ضروبها المختلفة بحيث يصبح من العسير على المثقف ان يتخصص او يتعمق في اكثر من علم او عدد من العلوم متصلة فيما بينها ، كما يصبح من العسير على المتخصص ان يوسع وقته وجهده لغير فنه واختصاصه، ويصبح من المستحيل على المثقف ان يحقق الاستفادة الكاملة والاطلاع الواسع في غير دائرة اختصاصه . فالفقيه مثلا لا يستطيع ان يستفيد من اختصاص علوم الطب والاقتصاد والاجتماع والنفس وان كان مدعوا بحكم اختصاصه الى الاستفادة من هذه الميادين ليكون قادرا على الاجتهاد والنظر في الاحكام فضلا عما يلزمه من اطلاع في دروب من الثقافة الاسلامية واللغوية .

وقد اصبحت الموسوعات الحديثة تسعى بجهد حثيث نحو تقريب ثمرات الاختصاصات المتعددة من يد كل المثقفين بأقلام المختصين انفسهم ، فيطلع المربي على خلاصة مركزة لاعمال عالم النفس ، والمؤرخ على فروع علم الاقتصاد ومسائله، ورجل الطب على خلاصة اتعاب رجل الفيزياء ، وهذا قليل من كثير مما تتيحه الموسوعات من لقاءات بين المختصين والمثقفين عامة ، وهو ما يلقح الافكار والنزعات المختلفة ويقرب بين المناهج المتباينة ، فيكمل نقصها ويحقق لها الشمول والوحدة والموضوعية .

ومن غريب الامر ان الثقافة العربية ممثلة في علمائنا القدماء كانت على هذا النحو من الشمول والتكامل بين شتى علومها وفنونها ، فكونت في اذهان اهل العلم منهاجا متكاملا وعلما غزيرا ومشاركة واسعة ، وكان من نتائج هذا الشمول في المعرفة والمشاركة في مختلف العلوم والتكامل الحاصل بين مناهج فروعها في اذهانهم انها انجبت علماء يعز على الانسانية اليوم ان تنجب امثالهم بالرغم من وسائلنا التعليمية والتربوية المتفوقة . امثال الغزالي والرازي والطبري وابن رشد وابن خلدون .

ان من بيننا اليوم من يستطيع ان يستوعب كل آثار واحد من هؤلاء الاعلام او اكثر ولكن هذا الاستيعاب لن يؤدي حتما الى ذلك التفتح الفكري

(1) لا تخلو المكتبة العربية القديمة من مختلف انواع المعاجم المسهلة للبحث ، ومن جملتها معاجم الاصطلاحات الفنية واهمها التعريفات للجرجاني ،وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، وانظر كتاب : مرشد المتعلم للسيد جون ادمز القاهرة 1934 ص 271 ـ 309 .

والخصب الذهني والعمق الوجداني مما كان يتوفرعليه اولئك الاعلام ، وكان من نتيجة افتراق العلوم الاسلامية وعلوم الآداب العربية فى اذهان المختصين فيها انهـا انجبت مختصين فى الفقه والحديث وفقه اللغة والادب والنقد والبلاغة يجتـرون معارفهـم ولا ينتجــون ، ويستوعبون اختصاصهم ولا يضيفون الى البناء القديم لبنــة واحــدة . .

وانما اشرنا الى هذا لكون التاليف الموســوعي يعتبر عملا ايجابيا فى علاج هذا الانفصال والانعزال بين ميادين العلم المختلفة باسم الاختصاص ، وفى تقريـب الابعاد فيما بينهم وتحويل مجرى الاختصاصيين الى ان يصب فى الحقل الثقافي العام الذى ينهض بالتطور الحضاري للامة على اساس من التكامل والتوازن بيـن حاجات الجسم والروح .

وهذا الاعتبار هو الذى يفـرض فـى العمـل الموسوعي آخر شروطه وهو : انه عمل جماعي تنهض به هيأة من العلماء مختلفي الاختصــاص . هـذا فى الموسوعات العامة ، اما فى الموسوعات الخاصة فانـه يؤتي ثمرته على نحـو أوفى من الشمـول والتركيز والانطلاق بالبحث العلمي من حيث وقف به السابقون.

2 ـ الموسوعة القرآنيـــة

هل يمكن تاليف موسوعة قرآنية ؟ يظهـر لاول وهلة ، وعلى ضوء المفهوم السابق للموسوعة ان تحقيق ذلك عسير ، ولكن مجرد النظر فى مجموع التفاسير الموجودة اليوم للقرآن يجعلنا نعتقد ان علماء الاسلام قد الفوا موسوعات قرآنية على مر العصور ، وانهم لم يبخلوا على خدمة القرآن بالجهود المضنية والعمـل الدائب المرهق ـ احسن الله جزاءهم ـ ولكن هــذه التفاسير على جلال قدرها وعظيم نفعها ينقصهـا بالنسبة الينا الشيء الكثير لكي تكـون فى مستــوى العمل الموسوعي ، اذا رجعنا الى الشروط المذكـورة آنفا ، وهذا النقص فيها لا يرجع البتة الى تقصيـر العلماء المفسرين ، ولكنه يرجع بعضه الى التنظيم ، وجله الى ارتفاع مستوى حاجاتنا العلمية فى العصر الحاضر ، فنحن لا نشك فى ان الائمة: الطبري والرازي والقرطبـي والطبرسـي والزمخشـري والالـوسي وامثالهم لم يتركوا ، كل فى جـانب اختصاصـه ، موضوعا ولا مسالة ولا معضلة فى القرآن الا وقفـوا عندها واوسعوها تعليقا وايرادا للاقوال ، ولكــن تفاسيرهم جميعا وغيرها من تفاسير غيـرهم مـن العلماء كلها متكاملة فى بعض الجوانب ، مكررة لبعضها فى بعض الجوانب ، وهي لا تسد الحاجة الى قيــام موسوعة قرآنية للاسبـاب التالية :

ـ لانها لا تشمـل كـل المعـارف والنظريـات والتحليلات التى الفت عن القرآن .

ـ لان هذه المعلمات والمعارف الموجودة فى هذه التفاسير موزعة خلال التفسير ، تخضع للاستطـراد تارة والمناسبات المتكررة تارة اخرى ، بحيث لا يمكن للباحث فيها ان يجد ما يشفي غليله كما يتاتى ذلك فى الموسوعة .

ـ لانها تقدم لنا معارف ونظريات موجهة الينـا تحت تاثير المذهب الذى ياخذ به المفسر نفسه مـن تشيع او اعتزال او سنة ، او الاختصاص الذى يتاثر به من تشريع او بلاغة او فلسفة .

ـ انها غير مركزة ولا مبوبة ولا مفهرسة ، ولعله من الجور مطالبتها بهذه الشروط التى لا تقتضيهـا طبيعة عمل المفسر .

ـ انها من تاليف آحــاد .

ـ انها لاتعطينا وجهة نظر شاملـة متقصيـة فى كثير من وجوه المسائل التى تعرض لها القرآن فى علوم الطبيعة والنفس والحيــاة .

ـ انها لا تعكس لنا الحلول الاسلامية الملائمة على ضوء القرآن وفى ظل روحه الصافية لمشاكل المسلـم اليوم ، وهو يخوض حياة معقدة تدعوه فيها ضرورات التطور الى الانطلاق ، وضرورات التدين الى التقيـد بمبادىء الاسلام ، وكيف ينبغي ان ينظر الى الحفاظ على توازن نفسـه بين هذا التجاذب القوي العتيف .

ان التفاسير القرآنية على جلالها لا تسد الحاجة الى قيام موسوعة قرآنية ، لان هذه الاخيرة تاليـف انتقائي يستوعب خير ما فى تلك التفاسير مصوغا فى قوالب تلائم مقتضيات الشروط المشار اليها من قبل ، بالاضافة الى انهـا يجب ان تستـوعب خيـر ما فى الدراسات القرآنية المختلفة التى عرضت للجوانب التى لم يعرض لها المفسرون ولاسيمـا بحـوث العلمـاء المتخصصين فى باب من ابواب الدراسات القرآنيــة سواء ما كتب منها باللغة العربية او ما كتب منها بغير هذه اللغة وهو كثير .

اما الضرورة التى تدعو الى النهـوض بتاليـف الموسوعة القرآنية فهي نفسـها التى تدعو الى العمـل الموسوعي بالنسبة لعلم من العلوم او عصر مــن

العصور . فقد استفاض التأليف في القرآن وفي علومه منذ فجر الاسلام الى اليوم ، وبشكل لا نبالغ اذا قلنا ان الثقافة الاسلامية التي استغرقت امم نصف الارض من حيث المكان ، واستغرقت دورتين حضاريتين من حيث التاريخ العام البشري ، ان هذه الثقافة كلهـا تنبع من القرآن وتتفرع عن علومه ، وتخدم مقاصده . ويستحيل على المتخصص الذي يروم اليوم الاحاطة او ما يقرب من الاحاطة بالعلوم القرآنية ان يقرا بعض ما كتب في القرآن خلال عمر كامل من تفاسير ودراسات باللغات المختلفة ، كما ان مثقف هذا العصر من الاستاذ الجامعي الى الطالب الى الباحث الى المثقف العادي لا يمكنه الرجوع الى موضوع قرآني ليخرج وهو يحمل عنه فكرة موضوعية شاملة الا اذا لقي مصاعب كثيرة ، وقد لا يخرج منها بنتيجة ايجابية . واولى تلك المصاعب انعدام المكتبة القرآنية الكاملة القريبة من متناول يده ، وتعدد اللغات التي كتبت بها البحوث القرآنية ، ومنها انطلاق تلك المباحث في الاعم الاغلب من توجيهات مذهبية مغلقة او متفتحة او متطرفة او متهجمة مفرضة . ومنها جهله احيانا بمظان تلك المباحث من كتبنا القديمة او الحديثة .

3 ـ التخطيط للموسوعة

لا داعي هنا للتأكيد ـ ونحن نخاطب خاصة العلماء والمفكرين ممن يهتمون بالعمل الموسوعي ـ على اهمية التخطيط للموسوعة القرآنية ، لان التخطيط وهو احصاء الامكانيات وتقدير الحاجات وتنسيق الجهود هو الذي يقدم بين يدي كل مشروع اقوى ضمان على نجاحه . ونحن في غنى عن التطويل في هذا الباب، وبحسبنا ان نشير الى اهم خطوات العمل لتحقيق هذه الموسوعة .

يجب قبل كل شيء وضع فهرس يستقصي الموادالتي تتناولها الموسوعة القرآنية وذلك عن طريق تجريد القرآن الى مواد ، ونعني بذلك وضع فهرس للالفاظ القرآنية تلك التي يمكن ان تكون موضوع بحث في اي فن من الفنون او علم من العلوم المتصلة بالقرآن ، ثم يرتب ذلك ترتيبا معجميا ، وتحدد ابعاد كل لفظ من تلك الالفاظ ، ثم يعرض هذا الفهرس على العلماء والمختصين الذين يتوجه اليهم بطلب المشاركة في هذه الموسوعة ليختار كل منهم المادة او المواد التي تدخل في مجال اختصاصه . وهذا عمل اساسي وقيم ويقتضي لجنة خاصة .

يجب القيام باحصاء كل الدراسات القرآنية والبحوث المختلفة المتفرقة في مكتبات الدنيا وجمعها وترتيبها في دليل عام للدراسات القرآنية، يتيح للباحث المشارك في اعمال الموسوعة ان يطلع على كل ما قيل او كتب في المادة التي سيكتب فيها . وسيمكننا هذا العمل من الاستغناء عن القيام بعدد من الدراسات اذا ما وجدناها مستوفاة هنا او هناك ، وهذا العمل بالغ الاهمية بالنسبة للموسوعة وغير الموسوعة ، ولا تنهض به الا فئة من المتخصصين والمحافظين على المكاتب في العالم الاسلامي والمستشرقين والمتخصصين في فن الفهرسة .

يجب تحديد الشروط التي تكتب في ضوئها مواد الموسوعة ، وتحديد اسلوب مراجعتها والتنسيق بينها ، وتوزيع مهام القيام بذلك على عدد من اللجان تتفرغ للسهر على سير العمل وفق المسطرة المحددة .

ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا العمل العظيم من اعباء وجهود علمية واسعة المدى متشعبة المطالب تنوء بها العصبة اولوا القوة ، كما لا يخفى من وراء تحقيقها من خدمة عظيمة للقرآن وللاسلام وللثقافة القرآنية من اجل افراغها في هذا القالب العصري البالغ الاهمية . ولكن ضمان النجاح في هذا العمل كامن في ارادة جلالة ملكنا المؤمن بوجوب تخليد ذكرى نزول القرآن ، وارادة علمائنا المؤمنين بشرف هذا العمل ومثوبته العظمى .

محمد عبد الملك الكتاني



من كلمات نبي الاسلام ، محمد عليه السلام ، والتى كان يرددها كلما عاد من احدى غزواته : « عدنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » .

ويعني هذا الجهاد الاكبر ، طبعا ، مجاهدة النفس ، ومجالدة نزواتها الامارة بالسوء ، ومحاولة توطينها على الصبر على المكاره ، وتحمل تبعات الحياة واعبائها والعمل على ابعادها عن مواطن الزلل والعثرات وتجنيبها دركات الارتكاس فى حمأة الشهوات .

ومضمون كلمة سيدنا تلك ، هو خلاصة الفلسفة الاسلامية ، فى ميدان التربية ، او معركة الحياة التى على الانسان — وهو يباشر معطيات معنى وجوده ، ويحدد ابعاده — ان يخوضها .

وتعني هذه الفلسفة اولا ، ان الانسان الذى خلق فى كبد ، وفى نفس الوقت ، خلق فى احسن تقويم ، مدعو فى حرارة والحاح — وعلى الدوام — للتحرك واليقظة اللتين تعنيان الايجابية فى الحياة ، بوجهيها : وجه الدعوة والهدوء ، او السلم . ووجه الجيشان والتوثب والتحفز ، او الحرب . وعلى اساس الايمان بكل معنى من معاني الشعور بثقل العبء وضخامة المسؤوليات .

وتعني هذه الفلسفة ثانيا — بوجهيها المتقابلين المتجانفين — تقييم هذا الوجود، واعطاءه الروافد الفوارة التى تمده بالحيوية الخلاقة ، وتضمن له الديمومة والاستمرار .

ومن هذه الفلسفة الحركية ، ان صح التعبير ، تنطلق اصول العقائد ، واصول السلوك فى الاسلام ، العقائد التى تؤكد وثيق صلات الانسان بالله ، عن طريق الاعتراف بعبودية الانسان لواهبه الحياة ، وجاعله شاعرا بها ، وعن طريقه خضوعه للارادة العليا لواهبه هذه الحياة . والسلوك الذى يجب ان يهدف — فى نظر الاسلام — الى ابراز شخصيتك وكيانك كمخلوق يتالف من مادة وروح ، وذلك عن طريق تمشي الانسان طبق الاسباب والمسببات ، ووفق سنن الله الذى اتقن كل شيء ، والذى احسن كل شيء خلقه. وهذا السلوك الاسلامي يتحقق بواسطة العمل اليومي الذى يجب فيه التقيد بالاحسان الذى يعني مراقبة الله فى السر والعلن، وبالدرجة التى يعبر عنها سيدنا محمد فى حواره مع جبريل بقوله : ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . اي ان نتوفر على طاقات حية وهائلة من الادراك الحقيقي لواقعنا . ومن يقظة ضمير تجعلنا لا نغفل طرفة عين — ونحن فى غمرة اعمالنا اليومية ، وحتى الروتينية منها — عن الاعتقاد باننا محط عناية الرب ، واننا فى نفس الوقت المنفذون لارادته والمبلغون رسالاته . ويجب ان نومن فى نفس الوقت بان هذه الارادة ، وتلك الرسالات ، تعنيان — بالدرجة الاولى — الاخلاص لكل اولئك الذين يرتبطون معنا باقوى الوشائج واوثق الصلات ، والذين يكونون معنا هذه المجموعة الانسانية ، التى يكون كل فرد منا احدى خلاياها الحية . ثم علينا بعد ذلك ان نربط مصيرنا كمجموعة بكل شيء يحيط بنا ، وعلى اساس ان له بنا شديد الاتصال وبالغ الارتباط انطلاقا من مبدا الاخلاص له .

والاخلاص يعنى استنفاذ جميع قوانا العقلية والادراكية والجسمية ، لوضع الاشياء فى محالها ، وجعلها تتسارق وما تتطلبه المصلحة العليا لمجموعتنا الانسانية ، وللحياة نفسها .

واذا كنا ندعو – ونحن في غمرة التيارات المتماكسة طبعيا ، والمتضاربة ظاهريا ، وتبعا للمجاهر التي نشاهد بها المد الحضاري لانسان العصر الحديث، عصر المادة المتعجرفة – ندعو الى انتهاج السلوك الاسلامي في تقييم الحياة وموازينها ، وفي تقعيد علاقات بعضنا بالبعض ، بل والى اعتبار هذا السلوك هو وحده المعيار والطريق الموصل لتحقيق اهداف الانسان وغاياته على هذه الارض وفي السماء ، او في تلك الحياة الاخرى ، فلان كل الدلائل الواقعية والمحسوسة اثبتت ، وتثبت اننا بغير هذا السلوك لن نكون شيئا مذكورا او ذا قيمة .

واذا كان لكل مجموعة بشرية ما، ميزتها الخاصة ، تلك التي تبلورها البيئة والمناخ والمواقع الجغرافية ، وكل العوامل الاقليمية ، وكل الرسوبات المتخلفة عن التفاعلات والانفعالات التي تعاقبت على النفس الانسانية وعوالمها المتنوعة والعديدة ، فان من الملاحظ تاريخيا، من بين الدول العالمية – وربما على الخصوص – قد اقترنت ابدا طفراته الحاسمة ، في مضمار الحضارة والعمران ، وقيام ما نشاهده او شاهدناه من ممالك ودول وامبراطوريات التي تعاقبت عليه عبر عهوده التاريخية : من عهد البربر والفينيقيين الى العهد الذي انتهى باستعماره من فرنسا ، وعهد انعتاقه من استعمار فرنسا السياسي . اقترنت وجودا وعدما بالحماس الديني او فتوره .

وهكذا نلاحظ انه كلما قوي الحماس الديني في هذا البلد ، اتجهت النفوس للخلق والابتكار واليقظة والتوثب ، والانطلاق لبناء الامجاد ، وتشييد جلائل الاعمال . وكلما خبت الروح الدينية او اعتورها فتور، او حاقت بها انتكاسات ما ، ضعفت العزائم ، وخارت القوى ، وادلهمت الامور وتفاقمت سواى الاوضاع ، واصاب هذه الامة كل انواع الفوضى الاجتماعية ، من تفسخ وميع في الاخلاق ، وتهاون في المسؤولية ، وانعتاق من التبعات ،وفي كل المرافق والمبادين والمجالات .

ولمن شاء التثبت من هذه الحقيقة البسيطة ، ان يراجع الاطوار التاريخية التي مرت بها هذه البلاد ، والمواقف الحاسمة فيه بالخصوص ، تلك التي واكبت نشوء كل الدول التي تعاقبت تباعا على هذه الارض الطيبة المباركة المعطاء . وخاصة مراحل انتقال الحكم من يد دولة فيه الى يد اخرى .

ولنا في طريقة ارساء دولة ادريس بزرهون ، وطريقة ظهور المرابطين ، وبقيادة عبد الله بن ياسين الزعيم الروحي والديني لهذه الدولة ، وفي قيام قواعد دولة الموحدين ، بل ومن اسمهم على يد المهدي بن تومرت ، وفي طريقة وصول الدولة الحاكمة حاليا الى الحكم : دولة العلويين اقول : لنا في كل هذه الدول وغيرها مما شاهدته ارضنا الطيبة هذه ، اعظم برهان على ان الدين وحده هو الذي به يحقق ابناء هذه الارض المعجزات ، ويكونون الامبراطوريات ، ويشيدون الحضارات .

والملاحظ ان الدولة العلوية بالخصوص ، لا في بداية منطلقها فحسب، وانما في عنفوان اوجها وعزتها، كانت تضع قضية الظاهرة الدينية هذه ، ضمن مهامها الاولى ومشاغلها الكبرى ، وكانت لذلك توليها عظيم العناية ، وشديد الاهتمام ، وحتى كانت تصدر في خصوص شأنها المراسيم الحكومية ، والظهائر الملكية ، وتوجهها الى عمالها على الاقاليم ، منبهة اياهم الى ضرورة تطبيقها ، وبدون تلكؤ او هوادة ، فقد جاء في ظهير عام للمولى عبد الرحمن ، كان وجهه لسائر عماله، هذه العبارات الملزمة التأكيد على ضرورة الاحتفاظ بمراسم الدين وطقوسه وشعائره ، قال : « ويلزم العامل كل دوار او جماعة ، مشارطة طالب علم ، يرجعون اليه في امر دينهم، وتعليم صبيانهم وجهالهم ، ويقوم بالاذان والاقامة والصلوات الخمس في أوقاتها، ومن لم يفعل زجره وعاقبه » .

بل ويرى ابن خلدون – وهو من ارومة هذه البلاد واحد ابنائها – ان هذه الظاهرة ، ظاهرة ارتباط مصير الامة بمدى تشبثها بالدين ، ظاهرة عامة في كل الجنس العربي ، ويعللها ، في الفصل الذي عقده للحديث عن كيف ان العرب لا يحصل لهم ملك الا بصبغة دينية ، من نبوة او ولاية ، او اثر عظيم من الدين على الجملة – كما هو تعبير في مقدمته – يعللها « بأن العرب اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض، للغلظة والانفة ، وبعد الهمة ، والمنافسة في الرئاسة ، فقلما تجتمع اهواؤهم ، فاذا كان الدين بالنبوة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم ، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فهل انقيادهم واجتماعهم » .

ونرى قبل المضي في عرض مبسط الى حد ما لنوعية هذه التربية التي يراها الاسلام بل ويفرضها على منتقيه ، ولسعادة الانسان وحريته وكرامته ، نرى ونحب ان ندرس ثلاث قضايا اساسية في مثل هذا البحث .

والاولى تتعلق بالدين كفكرة مجردة ، وهل هو ضروري للبشر ، ولتحقيق سعادته التي يجب ان تظل وتبقى هي الهدف من وجوده على هذه الارض، حسبما ترشد اليه الفطرة ، وتقرره الطبيعة البشرية نفسها ، ام ليس ضروريا ويمكن للبشر الاستغناء عنه بالكلية ؟ .

والثانية هي التساؤل عن هل لا يمكن ان يترك الناس بدون دين سماوي الهي ؟ اي ان يتركوا لما انشاوه هم انفسهم مثلا من فلسفات وقوانين وآراء غيبية عن الحياة ومرافقها ومجالاتها .

لقد عرف الانسان عبر تطوراته المتعاقبة ، منه وعليه ، عديدا من الاهواء وكثيرا من النزعات (1). لقد اثبت علم الانسان ايضا ــ وبما لا يدع شكا او ريبا ، وبما اكتشفه من صور الامم الحاملة لاقدم الحضارات الانسانية الاولى ــ كيف ان تلك الجماعات الانسانية « كانت لا متدينة فحسب بفكرة غيبية ما ، وانما كانت على عقيدة التوحيد ، بريئة كل البراءة من آثار الشرك ومراسيمه (2) ».

بل ودلت تلك الابحاث ايضا على ان هذا الانسان العريق القدم « بذل ما فى وسعه من الجهد فى البحث لنفسه عن الله وانتهاج طريقة ما لعبادته . وتوجد امم الى اليوم لا تزال تمثل فى حياتها لعصر الابتدائي للنوع البشري . ومع ذلك قلما وجدت خالية من تصور العبادة والمعبود ، مما يدل دلالة واضحة على ان كل ما اجتازه الانسان من الادوار والتطورات فى تاريخه منذ اقدم الهمجية الى احدث المدنية ، ما زال تصور العبادة ملازما له فيه ولو على صور مختلفة ومظاهر متنوعة عديدة (3) » .

وهذه الظاهرة ، ظاهرة العبادة او التدين ، فطرية كالجوع والعطش والاحساس بالبرودة والحرارة والرطوبة واليبوسة ، وليست ارادية ، لانه ــ كما قال الدكتور بيرن ــ « لو كان الامر كذلك اي ارادية ، لما ساد هذا التصور ابناء البشر على مثل هذا الوجه ، اذ من المستحيل عقلا ان ينعقد الاجماع او الاتفاق بينهم ، اي بني البشر ، على شيء ما ، اذا كان اوجده الاختراع والارادة ، وتشترك فيه الجماعات الانسانية كلها على صفة واحدة ، وفى كل دور من ادوار تاريخها . كما انه لا يكاد يتصور البتة ان يكون الناس فى كل زمان عقدوا مؤتمرا عالميا ليتفقوا فيه على العبادة ، مهما كانت آلهتهم مختلفة ، وطرقهم لعبادتها متنوعة (4) » .

ولانسان منذ كان يتمذهب بمنطق الغابة ، حيث الغلبة والفوز والانتصار للاقوى جسمانيا او عقليا ، او عصبية ومالا ، وهو يعاني تجارب مختلفة لاختيار المناسب لمداركه وميوله .

ومن الانصاف الاعتراف بان محاولات عديدة ، من هذا الانسان نفسه ، قد بذلت ــ بحثا عن سعادته وطمانينته وان تكون هذه الطمانينة ، وتلك السعادة نسبية ، تختلف باختلاف العصور ، والمدارك والوجادات ، الا ان الملاحظ والمؤكد هو ان هذه الحركات واكبت الانسان فى تطوافه عبر مجاهل مسيرته الطويلة والشاقة ، والتى ما تزال تواصل بكد وايمان وصبر واناة .

واذا كان الدين الوضعي والفلسفة والقوانين الوضعيتان ايضا يتوخي من حركتها نفس الغايات ونفس الاهداف المتوخاة من الدين الاسلامي اي جعل البشر يحس طعما للحياة ، ويجد لها مستساغا ، يجعله بدوره شديد الرغبة فيها ، قوي الشوق لها ، ومن ثمة يجد المحافظة عليها وعلى اصولها ، او على الجانب الافضل والاجمل والابرك فيها ، واعتبار هذا الجانب رسالته على هذه الارض ، اقول : اذا كان هدف الفلسفة والدين والقوانين الارضية هو تقريبا هدف الديانات السماوية ، فان منطلق الدين هو الله خالق البشر والفلسفة ، وباريء واضعي القوانين ، بينما منطلق الفلسفة والقوانين هو الارض والبشر .

والبشر ــ كما يقول الدكتور محمد البهي ــ « محدود بالبيئة ، ومحدود بالوراثة ، ومحدود بنوع الثقافة ، ونوع المعرفة ... واذا كان محدودا بهذه المصادر فهو منفعل بها ، وتنعكس بالتالي فى سلوكه، وفى تفكيره ، وفى تحديده للحياة واهدافها » .

---

(1) مما جمع وصنف على اساس كونه تراثا وفلسفة وقوانينا وربما دينا ايضا واتخذ فيما بعد التراث ما له علاقة بالدين ؟ ام انه اتخذ من الدين اسم « علم الانسان » فهل لم يكن من بين ذلك احدى مقوماته ورواقد حياته ؟ .

(2) و (3) : علم الانسان للدكتور : بيرن اميرالفايهرن فلس ، تعريب محمد عاصم الحداد

(4) المرجع المتقدم

اي وكل ذلك مدعاة لقيام خلافات واختلافات جوهرية جذرية في الاتجاهات ، وتقييم المفاهيم ، وتحديد الغايات .

واذا كنا حقا ننشد ـ وهذا ما لا يمكن لعاقل ان ينكره ـ قيام امية عالمية ، ومجتمع متكامل في الاخلاق والواجبات ، متكافل في الحقوق والالتزامات، فان قيام وحدة فكرية وعقائدية يصبح راهناوضروريا ومؤكدا .

وحيث ان كل عقيدة من العقائد ، تلك التي يكون مصدرها الانسان ، هذا الانسان الذي مهما بدا انه قد حقق تقدما ملحوظا في مضمار الرقي والحضارة والعمران ، فهو يكشف بنفسه ، وعن طريق اعماله وسلوكه ، انه ناقص وغير كامل ، وان فروقا عقلية عظيمة ما تزال يثيرها الاختلاف في العقائد ، والمستويات العقلية ، والادراكية مما يكون ـ لكل ذلك وبسببه ـ مدعاة لعدم تحقيقه غرضه ، وعدم الاستجابة لمتطلباته المتجددة بتجدد دم الحياة، والمتغيرة بتغير الظروف والاحداث . هي متأثرة بما يحسه هذا الانسان ويحده من نقص .

ثم اذا كان من الممكن ان يتحول كل الى الآخر ، عن طريق فلسفة الدين ، ثم اخضاعه مع احكامه للعلل العقلية ، ومباحث المنطق . او عن طريق تقنينه باتخاذ احكامه ومبادئه قانونا عاما للعقائد والسلوك ، او عكسيا عن طريق اعتبار كل من الفلسفة والقانون دينا ، فان الفارق بين الدين الذي هو فطري وضروري، كما ابنا سابقا ، وبين القوانين والفلسفة، أن الدين بعد ان يستمد وجوده من الله ، ويصدر احكامه باسم الله ، يعتبر كل الاعمال والحركات التي يأتيها الانسان او يقوم بها ، هي مندرجة ، او يجب ان يراعى فيها الاندراج تحت مفهوم هذه الآية القرآنية (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما) . والاشارة في الآية الى النجوى في الامر بالصدقة او المعروف ، او الاصلاح بين الناس . وهذه الامور الثلاثة ، كما يدرك كل ذي عقل سليم ، من اهم دعائم قيام مجتمع متكامل ومتكافل .

اما غير الدين فينطلق مما اشرنا اليه سابقا ، من الحدود ، وما ينشأ عنها من اختلافات المدارك والمفاهيم . ومن ثمة فاصحابه لا يمكن ان يتجاوزوا في حركاتهم واعمالهم ، او أن يصدروا عن غير ما تشير اليه الآية القرآنية : (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس) ومثل هذا يصفه القرآن ، ويحق ، بانه (وان الظن لا يغني من الحق شيئا)

فالدين الغير محدود والغير مظنون ، تكون معطياته ذاتية ، بينما الفلسفة والقانون عرضيا المنطلق والهدف . ولهذا الاعتبار اجمع العقلاء على اعتبار الدين ضروريا للانسان ، ولابقاء وجوده في آفاقه العليا ، حيث خالقه الذي لم يخلقه سدى .

والعقل وحده ـ كما يقول محمد عبده ـ « في القانون لا يستقل بالوصول الى ما فيه سعادة الامم بدون مرشد الهي ، كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها ، بل لا بد معها من السمع لادراك المسموعات مثلا ، كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتبه على العقل من وسائل السعادات ، والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة ، وتصريفها فيما منحت لاجله ، والاذعان لما تكشف له من معتقدات وحدوث أعمال (1) » .

ثم اذا كانت تلك الحركات ، التي انبثقت عنها الفلسفة والقوانين ، في القديم ، لم تعرف اصطداما ما او عنيفا على الاقل ، وانما كانت احداها تترك الميدان للاخرى عن طريق الطواعية ، او العجز عن المجاراة ، فان الحركات التي من هذا النوع ـ في عصرنا الحديث الذي نحياه ونعيش فيه ـ قدامتشقت السلاح في وجه بعضها ، واخذت كل حركة تتحدى الاخرى ، وتنازعها النفوذ ومناطقه. واذا كان من السابق لاوانه التنبؤ لمن تكون الغلبة في هذه الحلبة، ولمن يكون السبق ، فان من المؤكد ان عجز الفلسفة اليونانية ، والرومانية ، ربيبتها ، والزرادوشتية ، والمزدكية قديما ، عجزها عن تحقيق احلام البشر وسعادته ، لن يوحي للانسان الحديث بانتظار ابهر النتائج واروعها من الفلسفات الآنية القائمة . وفي هذا العصر المادي البحث ، والذي توشك فيه التقنية والآلة ان تستحوذ ، لا على افكار الناس فحسب ، وانما ايضا ـ والله لطيف بعباده ـ على ارواحهم وافئدتهم ، وذلك بما تتكشف عنه من عوالم ، كانت ـ لو عرف مخترعوها منطقة الايمان ـ تكون حافزا للايمان بخالقها ، وخالق خالقها رب العالمين رب العرش العظيم .

(والقوانين هي بدورها ـ من صنع البشر ـ ما اظنها بقادرة على تحقيق ما عجزت عنه الفلسفة ،

---

(1) رسالة التوحيد صفحة 82

ذلك لان نقص واضعيها ما كان ينجيها هي الاخرى من النقص ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فما دام الكمال ليس من صفات البشر ، ولا حتى من لوازم الافذاذ من البشر ، فمن المقطوع به والمؤكد ، ان نتاجه لن يكون بدوره بالغا حد الكمال .

اما النقطة الثالثة التى نرى ونحب تحديدها قبل المضي فى تقصي جوانب هذه الدراسات ، فهي مفهوم الاسلام . وفي هذه النقطة بالذات نحب أن نذكر ونقرر ، بان هذا الاسلام الذى يتحدث عنه القرآن – وكانت مهمة النبي محمد مبلغ ذلك القرآن عن لله هي تثبيت مبادئه ، وتقعيد اسسه واعتباره الدين الوحيد الذى يتمتع برضا الله ، ورضا كل المعتدلي المزاج ، الواعين لدور الانسان على هذه الارض – اقول ان هذا الاسلام ، او لفظة « الاسلام » بتعبير ادق ، مشتقة من : اسلم ، الذى يأتي بمعنى خضع ، واستسلم . ويستعمل بمعنى: ادى؛ وبمعنى: دخل فى السلم بالفتح والكسر مع سكون اللام أي السلام ، وبفتحتين بمعنى الخالص من الشيء ، وعلى هذا المعنى وردت الآية القرآنية (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل)

والدين الذى جاء به سيدنا محمد بشيرا ونذيرا ، تصلح له كل الاستعمالات التى ترد لها لفظة « اسلم » واشتق من مادتها « الاسلام » . واستعمالها الاخير أي الخالص اوضحها فى الموضوع ، وانسبها له ، والصقها به ، للآية القرآنية التى تصف افضلية الاسلام ، وكونه من احسن الاديان ؛ (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا)

وعلى الاستعمال الاخير ، يكون الاسلام هو التوحيد الخالص لله رب العالمين . ويتضمن الاخلاص فى العمل ، وتنقية الارواح والعقول وتصفيتها من كل شوائب الشرك بالله ، او الاعتقاد لغيره بالتصرف . ويتضمن بالتالي اصلاح النفوس والقلوب حتى تتوجه خالصة مخلصة لخير الاعمال ، والخلوص فى نيتها للواجب الوجود مبدىء الخلق ومعيده .

واذا قلنا ان الاسلام يتضمن مضمونه كل تلك المعاني ، فلسنا نقصد ان هذا الدين الذى جاء به محمد خاتم النبيئين ، بجميع طقوسه وشعائره ، هو وحده دون غيره الذى يصدق عليه انه « اسلام » وان يكن هذا المفهوم هو المقصود بعد بعثة محمد عليه السلام ، وانما يشمله ، اي دين الاميين ، ويشمل غيره من الديانات السماوية التى جاءت قبله ، وكانت تمهيدا له وارهاصات لمقدمه .

ومن هنا كان معنى كلمة القرآن (ان الدين عند الله الاسلام) ان المصدر الوحيد لكل الديانات السماوية الصحيحة ، وان الهدف والمصير لها ، واحد متحد .. اي ان هذه المعاني التى ترمز اليها لفظة « اسلام » هي وحدها المعاني التى دعا اليها واستهدفها كل الرسل والانبياء قبل محمد وهي التى يدعو اليها دين محمد الذى جاء خاتمة المطاف لكل الديانات التى تعاقبت على الانسان عبر تطوافه الطويل بين دروب هذه الارض ، منذ بدء الخليقة وآدم، الى عهد ظهورسيدنا محمد عليه السلام .. وهذا الدين الذى استهدفه كل اولئك ؛ كان الاخلاص لله ؛ والرجوع عن الهوى المتبع الى الصراط السوي ؛ صراط الله الذى له ملك السماوات والارض ، والذى تصير اليه كل الامور .

والمتتبع لمناطق الايمان والاسلام : الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، ينتهي الى غايتين اثنتين ، وهما المقصد من كل دين سماوي :

الاولى : وحدة ذات الانسان ، عن طريق حصر معتقداته وعبادته فى ذات الله .

والثانية : وحدة العلاقات بين مختلف القطاعات البشرية، عن طريق مطالبتها دينيا بتوحيد سلوك البشر العام .

فاس : عبد الكريم التواتي

الحركة السلفية الاصلاحية بالمغرب ونزول الشيخ أبي شعيب الدكالي بالرباط

للمرحوم العلامة الاستاذ محمد السائح

الم بالمغرب في عهوده المتاخرة ما الم بغيره من الركود الفكري ، واستحكمت فيه حركة التقليـــد ، وظهر فيه النظر الفقهي الصحيح ، واستخـدى اهلـه لابناء الزوايا والقوا عليهم الزمام وقوى اعتقادهم فى اصحاب القبور ، وقل المفسر الذى يرشد الناس الى روح الهداية القرآنية، والمحدث المتمكن من السنة الذى يقرر للناس حقيقة الاسلام ، ويبـرزه فى صورتـــه الصحيحة ، غضا طريـا ، وانمـا هي كتـب المقلديـن والمختصرات ذات الفقه الجاف التي لا تربي ملكـة ولا تبدي للتشريع حكمة فاصبح العلم عبارة عن معلومات معينة تحول من دماغ الى دماغ واغلق باب الاجتهـــاد وضلت مفاتيحه وحيل بين العقول وبين التفكير الحر فغدا لا يعرف الاسلام الا من وراء وبعد العهد عن روح الدين وهداية سيد المرسلين ، وتركت كتب السلف ذات الفقه الواضح والعلم الصحيح ، وحتى ان وجـد عالم صحيح العلم ضلت معـارفه فى هـذا الخضـم وتبخرت مواهبه في هذا الجو ، وان العالم الحـــر الصحيح العلم ليدرك بونا كبيرا وفرقا شاسعـا بيـن تلقي الاحكام من ينابيعها الاصلية وبين اخذها من وراء

ذلك ان تلقي الاحكام من الكتاب المنزل ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الاولى يصحبه من التاثر فى النفس والخشية فى القلب والخضوع الروحي ما لا يحصل للمتلقي لها من كتب الفروع ومصنفـــات العلماء المقلدين ، الا ترى ان كثيرا من الاحكام نتلقاها مخلدة بحكمتها الروحية وفائدتها الاجتماعية ، كقوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون» . «قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم» . وقوله فى تحـريم الخمـر والميسر « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العـداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكـر الله وعن الصلاة » . وكثيرا ما يحيط بذلك الحكـم مـن اساليب الوعظ والتحذير ما لا يسع المكلف معـه الا العمل ولا يمكنه ان ياوى الى لب او هـوادة ويوجـد ذلك بوجه خاص فى الاحكام المتعلقة بداخـل البيـت حيث يضعف النفوذ الخارجي : « واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن الآية » وكقوله : « ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا الآية » وكقوله « ولا يحـل لكـم ان تاخذوا مما ءاتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيمـا حدود الله » الآية فلا جرم ان العبد يتلقى تلك الاحكام من ربه وهو خاضع خاشع يسمع النداء من الملا الاعلى ويتلقى الخطاب من طرف رب السماوات فيكون ذلك ادعى لولوج ذلك الحكم فى قلبه وتغلغله مع المشـرع والمبين للتنزيل. « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » ، وكل ذلك بخلاف تلقيها من كتب الفـروع ولاسيما اذا كانت على ما هو الغالب فيها خالية من التوجيه والتعليل ، وبذلك لا يحصل للمتلقي من التاثير

ما يحصل له من الينابيع الاولى ، ولكن الناس اقبلوا على المختصرات التي يضيق فيها نطاق البيان والتي تشتت على المتعلم فكره وتمتص من عمره الزمن المديد والتي لا يصل الى المراد منها الا وقد انكسرت حدة ذهنه ولانت غزارة عزمه بما يعالج من شبك الالفاظ وتقويم العبارات وقد قرر المفكر الداهية ابن خلدون ان سبب نضوب ماء العلم بالمغرب ، هو الاقبال على المختصرات .. للعلة التي شرحنا . والبعد عن اسلوب التعليم المفيد لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد . هكذا كان الحال في العلم والعقيدة الى ان ظهر بالحجاز محمد بن عبد الوهاب ودعا لاصلاح العقيدة وحملت دعوته على السنة الحجاج الى المولى سليمان فحاول نشرها بايالته فالف بعض الرسائل الاصلاحية ، وانشا خطبة في الموضوع امر الخطباء بتعميمها بايالته ! وحديث هذه الحركة يعلم من تاريخ الزياني والناصري في الاستقصا وغيرهما ، ولكن ذلك يقلع الداء لاستشرائه الى ان اخترمته المنية وعادت هيف لاديانها ، ثم جاء السيد عبد الله السنوسي من المشرق بتلك الدعوة وكان اثريا سلفيا فاتصل بالمولى الحسن وحضر دروسه الحديثية بفاس والعلماء يومئذ متوافرون فصدع بوجوب اصلاح العقيدة وفتح باب الاجتهاد والاخذ بالسلفية فثار في وجهه علماء فاس ، ورشقوه بسهام الانتقاد عن يد واحدة ولولا اتصاله الوثيق بالسلطان لكان له معهم شأن وقد ادركته بطنجة وقد وهن عظمه وشابت مفارقه الى ان كانت ايام المولى عبد الحفيظ فوفد عليه الشيخ ابو شعيب الدكالي من المشرق يتوقد نشاطا وحدة ، وكان قد تأثر بمدرسة الشيخ محمد عبده الى حد كبير فقام بنشر مبادىء الاصلاح غير هياب ولا وجل ، واتصل بالسلطان ، وبرز للنضال ، وثبت في الميدان ، حتى استقرت مبادئه واستحكمت اركانها وضعضع ارباب الزوايا بل هدها فاستنارت بهديه العقول وسار في ضوء معارفه عدد غير قليل من الشباب وكان اول اتصالي به عند زيارته الاولى للرباط حيث اقترح عليه بعض اصحابنا املاء درس حديثي ، فسلمت عليه ، قبل ان يقوم للاملاء ، وفاوضته في العلم النبوي ، وما يذكرون من احاطته بكل معلوم ، فاجابني بقوله نحن لاندعي الاحاطة واورد حديث تابير النخل المخرج في مسلم وهو انه صلى الله عليه وسلم مر بقوم يأبرون النخل فقال اتركوها فتركوها فنقصت او قال فنقصت ، فمر بهم فقال ما لنخلكم قالوا قلت اتركوها فقال ما جئتكم به في الله فخذوه ، فاني لن اكذب الله ، وانتم ادرى بامر دنياكم . ثم قام للاملاء فاورد سنده لصحيح البخاري واجاد القول في حديث النية وحديث الحارث بن هشام في صفة الوحي بلهجة شرقية وكلام متناسق وحسن بيان واناة في الالقاء ، وبعد بضعة ايام زرت شيخنا القاضي ابا حامد البطاوري فدخل عليه احد العدول لاداء شهادة ولما اتم مهمته قبل يد القاضي وقال له : جواب عن سؤال مقـــدم

اما الخيام فانها كخيامكم
وارى نساء الحي غير نسائها

وكان هذاالعدل لبقا راويةللشعر ينتحل الطريقة التجانية ، فضحك القاضي من قوله ، ولما خرج قال لي اتدري ما قال؟، قلت لا . قال : ان الشيخ ابا شعيب نزل في هذه الزيارة عند بعض الاصحاب من المنتحلين لطريقته وضروري ان يحضر هذا العدل لضيافته وان يكون له معه حوار . وقد حاول اخباري بما عنده ، ولكن حضوري منعه من الكلام فاجمل القول ، ثم قال له القاضي هؤلاء التجانيون ليس معهم تسليم ، هذا تعبيره ، ثم ان الشيخ استمر قائما على نشر الحديث ومحاربة البدع بما يلقيه من الدروس الحديثية في فاس ومراكش لما استقضى به الى ان بويع المولى يوسف وتقرر ان يكون في الرباط كرسي الدولة فحضر الشيخ في ركابه وعينه وزير العدلية ، وثوى في الرباط حتى قضى نحبه ، واملى فيه من الدروس الممتعة في الحديث وغيره ما تشد اليه الرحال ..

(ماهية علم الشيخ واسلوبه في التدريس

هذا الشيخ لم يكن مهتما بالاستدعاءات والاستجازات متبجحا بكثرة اسماء الشيوخ والاطلاع على الفهارس والاثبات ، وانما كانت همته الدراية .. كان اولا يتقن العربية اتقانا ويحفظ كثيرا من الشواهد وبعض القصائد العربية ويجيد قراءة السبع ، اما حفظ السنة فهو ذلك الفحل الذي لا يجدع انفه يملي على الحديث الواحد الكثير الطيب مماله به ارتباط فني ويجمع اطرافه المتفرقة ثم ياخذ في استنباط الاحكام الفقهية منه ويعادل بينها وبين مختصر خليل الذي كان يحفظه في صباه ويحكي الخلاف العالي وكثيرا ما كان يقوم بدور مناظرة مفروضة بين المالكية وغيرهم يحتج فيها لكل فريق وتنتهي غالبا بانتصار المالكية ، واذا مر بحديث يشهد لمبادئه الاصلاحية تدفق كالسيل ، واذا مر بحديث لم ياخذ به المالكية اظهر امتعاضه من ذلك ، يكره الجمود وكثرة التكاليف الفرعية المتكلفة الاستنباط ، لا يتقيد بما كتب الناس

على الحديث . كما هي حال من يتعاطى الحديث ممن عاصرناه ، بل يملي املاء محدث متمكن حر يجمع بين اطراف السنة ويرشد الى الغاية منها ، وامامه خزانة حفظه التي يتناول منها ما شاء الى ذوق سليم واستعداد فطري قوي ، اخبرني شيخنا القاضي ابو حامد المذكور آنفا انه حضر دروسه لصحيح مسلم بالقصر السلطاني ، وذكر من اتقانه لمقدمة مسلم على صعوبتها ما بهره ، وقد حضرت عليه بعض صحيح مسلم ودرست عليه تلك المقدمة ورايت من اماليه عليها وقوة ملكته في اجادة شرحها ما يعز مناله ، وكان الشيخ لا يهتم بمناقضات الشروح ولا بمناقشات الحواشي ، ولا يرى بذلك قيمة ، وارى انه لو قضى شطرا من حياته في حل رموز تلك المختصرات وما عليها من كتابة متشعبة (الامر الذي يراه علماؤنا مقياس العلم والذكاء) لو كان حلته كذلك لضعفت ملكته وتضاءلت اشعة فكره الوهاج . هذا وان الشيخ وان خلف نشئا خلفه في الدعوة الاصلاحية فلم يخلف من يعتني بالحديث اعتناءه الا قليلا ، على ان علماء قطرنا لا يعتنون بالحديث الاعتناء الكافي ، ولا ارى فيهم متخصصا الا النادر ، وقد امليت بالقرويين من الدروس الحديثية وما يرتبط بها من فقه واصول وخلاف عال واسبابه مع التدريب على التطبيق بكل ما في الوسع الامر الذي يكفي لمن اراد ان يتخرج في الفن ، ولم يظهر لذلك اثر الا في القليل خصوصا في بعض الافاقيين في مكناسة الزيتون ، ومنذ سنين وانا في لجنة امتحان العالمية بالقرويين وقل ان اجد متخرجا يعتني بالحديث اعتناء يثلج له الصدر . ولا ارى الرغبة الا في فقه المعاملات بنتائجه المادية ولله الامر من قبل ومن بعد . وقد اتصل صدى حركة الاصلاح التي كان يقوم بها الشيخ بالقصر فصدرت بها ظهائر شريفة تؤيد تلك الحركة منها ظهير في منع ما يقوم به بعض ارباب الزوايا مما يعد قذى في عين الدين وبهقا في غرة محاسنه ومنها ظهير في منع الارشاد لمن لم يكن من اهله مع قرار وزيري في منع تجول هؤلاء الطرقيين الا برخص لماتفاقم من خطبهم واستطار من شرهم .

الرباط ــ المرحوم : محمد السائح





كان العلويون ، وهم يحاربون بني امية ، يحتجون بانهم انتزعوا الخلافة منم بغير حق ، وان سبيلهم اليها كان هو القوة لا غير ، اما الاستحقاق الشرعي بطريق السابقة والأفضلية في الاسلام ، فهو لآل النبي من بني هاشم ، حتى لو لم نقل بالارث والوصية . فلما قامت الدولة العباسية اعتبر العلويون ان بني عمهم خانوهم ، لان الدعوة انما كانت للرضى من آل محمد ، وفعلا فقد كان اهل البيت النبوي اجتمعوا بالمدينة عند اختلال امر مروان بن محمد ، ءاخر خليفة من بني أمية ، وبايعوا لمحمد الملقب بالنفس الزكية ، وهو ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب ، وحضر البيعة ابو جعفر بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس، وهو الذى تولى الخلافة بعد ذلك باسم ابي جعفر المنصور .

ولهذا لما خرج محمد النفس الزكية بالحجاز على المنصور ، احتج له الامامان مالك وابو حنيفة وقالا ان امامته اصح من امامة ابي جعفر ، حتى انهما اوذيا فى ذلك ، وكان الامام مالك يعني بأن طلاق المكره لا يجوز، موريا ببيعة الاكراه ، التى يأخذ العباسيون بها الناس ، وعلى ذلك تتابع خروج العلويين حتى كانت وقعة فخ بالقرب من مكة ، سنة تسع وستين ومائة فى ايام موسى الهادي العباسي ، وكانت الكرة فيها على العلويين ، فتفرقوا فى الامصار ، ومنهم ادريس بن عبد الله اخو محمد النفس الزكية ، الذى لجا الى المغرب.

وقصة لجوئه هذا طريفة ، ولعلها من ايحاء مولاه راشد المغربي الاصل ، الذى لم ير لسيده انجى من ان يبعد فى غرب البلاد الاسلامية حيث يأبى على نفسه ، ويحتمل ان يجد المنعة والنصرة .

وهكذا نرى ادريس قد لحق بمصر ومعه راشد مولاه ، فعلم صاحب البريد بأمره ، وهو يومئذ واضح المسكين مولى صالح بن المنصور ، ولما لم ير فيه خطرا وانه انما يطلب النجاة من الموت ، حمله على البريد الى المغرب الذى هو وجهته ، فلم ينته حتى حل بمدينة وليلي سنة 172 ونزل على اسحاق بن محمد بن عبد الحميد زعيم اوربة من قبائل المغرب التى يقال انها قبيلة راشد مولى ادريس ، فهذه خطة محكمة دبرها المولى المخلص لنجاة سيده والقيام بأمره ، ولذلك قلنا ان قصة لجوء ادريس الى المغرب ربما كانت من ايحاء مولاه .

ويروي ابن ابي زرع حكاية اخرى فى وصول ادريس الى مصر وكيفية خروجه منها ، وهي حكاية مؤثرة ، وان كان طابع الصنعة يلوح عليها واضحا ، وخلاصتها ان رجلا من اهل مصر ، من اهل اليسار استضاف ادريس بعد ان عرفه ، واقام عنده اياما هو ومولاه راشد، فنذر بهما الوالي، فبعث الى الرجل يحذره مغبة ايواء الخارجين على الدولة ولكنه يؤمنه هو وضيفه ، ويؤجل هذا الضيف ثلاثا ليغادر مصر ويتجه حيث شاء . فأعد الرجل راحلتين له ولادريس وصنع زادا يبلغهما الى افريقية ، وقال لراشد اخرج انت مع القافلة، واخرج انا وادريس على طريق لا تسلكه الرفاق وموعدنا مدينة برقة . وهناك ودعهما المصري ، وتوجه ادريس ومولاه الى القيروان فاقاما بها مدة ، ثم قصدا

المغرب الاقصى ، وعمد راشد الى ادريس فالبسه مدرعة صوف خشنة وعمامة كذلك وصيره كالخادم له يأمره وينهاه خوفا عليه واحتياطا في عدوه ، الامر الذي يدل على تجدد الطلب في اثره ، فوصلا الى مدينة تلمسان ، ومنها توجها الى طنجة وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب وام مدنه ، فاقاما بها اياما ، ولما لم يجد بها مراده خرج مع مولاه حتى انتهيا الى وليلي فنزل على كبيرها ابن عبد الحميد الاوربي كما قلنا ، فاقبل عليه وبالغ في اكرامه وبره ، وعرفه ادريس بشانه وافضى اليه بسره ، فوافقه على مراده ، وتولى خدمته والقيام بشؤونه .

ولم يلبث ابن عبد الحميد ان جمع عشيرته من اوربة وعرفهم بنسب ادريس وقرابته من النبي (ص) وقرر لهم فضله ودينه وعلمه ، واجتماع خصال الخير فيه ، ودعاهم الى بيعته ، فبايعوه بمدينة وليلي يوم الجمعة 4 رمضان المعظم سنة 172 وكانت اوربة يومئذ من اعظم قبائل المغرب واكثرها عددا ، فقامت بدعوة ادريس ودعت غيرها من القبائل المغربية الى نصرته والدخول في طاعته، فاستجاب له اكثر القبائل، وتواردت عليه الوفود معلنة بيعته مؤيدة له ، فقويت جموعه وتمكن سلطانه ، فجيش الجيوش وخرج غازيا يضرب في بلاد المغرب طولا وعرضا ، ويملك منها ما بقي غير خاضع له . وكانت دعوة الاسلام ما زالت لم تتمكن في كثير من القبائل وبعض القبائل قد فتنتها دعوات الخوارج واهل الابتداع ، فعمل ادريس على ابلاغ الدعوة الاسلامية خالصة من الزيغ والانحراف الى الجميع ، واستنقذ الذين استهوتهم البدع والاهواء من الضلال ، ووحد كلمة المغرب وقلوب اهله من يومئذ على مذهب السنة والجماعة ، فلم يمل عنه بعد ذلك حتى يوم الناس هذا .

ولعلنا في غير حاجة الى القول بأن ما زعمه بعض المؤرخين من ان ابن عبد الحميد كان معتزليا شيعيا ، وان اوربة قبيلته وجل قبائل المغرب كانت على مذهب الخوارج ، وان ادريس وفق بين نزعات القوم وقوى الشيعية واقام دولته على اساسها ، هو من الكلام الملقى على عواهنه والذي لا يثبت عند التحقيق . ونعتقد ان الذي حملهم على ذلك هو ما راوه من نجاح امر ادريس وانتشار دعوته وتمهيد سلطانه ، فجعلوا كل من مر به او لقيه ابتداء من دخوله الى مصر ، شيعيا ينتصر لآل البيت، حتى صاحب البريد بها ، وهو مولى للعباسيين، وحتى كبير قبيلة أوربة التي قامت بدعوته في المغرب كأنه لو لم يكن شيعيا لما قامت لادريس قائمة .

والحق ان قضية ادريس وتعني قضية العلويين بملابساتها المأساوية وقوة حجتها واهمية من يناصرونها من رجال العلم والدين كالامامين ابي حنيفة ومالك بن انس ، هي في غنية عن ان نلتمس لها الاسباب والعلل في شيعية كل من تطوع لخدمتها وتحمس لنصرتها .. اما خارجية القبائل المغربية فانها كانت فتنة كما عبرنا ، اكثر منها مذهبا ونزعة سياسية يأخذ بها المغاربة ، والا لما استطاع ادريس ان يحولهم في مدة قليلة من الخارجية الى الشيعية كما يزعم اولئك المؤرخون ، وهو الامر الذي لم يحققه جده الاعلى علي ابن ابي طالب والزعماء العلويون من بعده .

واذا ثبت التزيد في هذا القول وعدم صحته نظرا، فان الزعم بأن ادريس هو الذي تحول الى مذهب انصاره المغاربة كما ادعى البكري ، هو اكثر بطلانا وابعد من التحقيق . فان ادريس كان من ائمة آل البيت وصاحب دعوة، وعلما من اعلام الملة والدين، وقد تحمل في سبيل ايمانه بدعوته ودعوة اسلافه ونجاحها اعظم التضحيات ، فكيف يتحول عنها الى ضدها في المكان الذي يامل ان يبثها فيه ، وتنتشر منه . وكيف يكون تحوله على يد اناس سذج قليلي المعرفة ، حديثي عهد بالاسلام . لا جرم ان من زعم ذلك لم يقدر مهمة ادريس ، ولم يعرف ما كان عليه القوم من جاهلية جهلاء .

وباجماع المؤرخين وتواتر الرواية على السنة الجماهير الشعبية من اهل المغرب ، يعتبر ادريس احد الفاتحين الذين نشروا الاسلام في هذه البلاد، ووطدوا سلطانه ورفعوا رايته ، كعقبة بن نافع وموسى بن نصير بل انه في الرواية الشعبية يعتبر الفاتح الوحيد، وذلك قطعا لانه هو الذي تمم عمل سابقيه واخضع ما بقي من قبائل المغرب خارجا على الطاعة وادخلهم في حظيرة الاسلام ، وقطع دابر الكفر والضلال ، وجمع الشمل ورتق الفتق ، ودعم كيان الوطن فلم ينهر بعده ابدا .

وبعد ان فرغ ادريس من تمهيد المغرب الاقصى ، توجه نحو مدينة تلمسان ، وهي باب المغرب الاوسط ، فخرج اليه واليها محمد بن خرز المغراوي مستامنا ومبايعا له ، فدخلها ونظر في احوالها ، وبنى بها مسجدا كبيرا ، ثم عاد الى وليلي عاصمة مملكته حيث قدر له ان يموت مسموما بتدبير من هرون الرشيد فيما يقال ، لانه لما بلغه خبره وتمكنه وظهوره وغزوه للمغرب الاوسط ، خشي من استفحال

امره وتملكه لافريقيا وتهديده لدولته ، فلم ير وسيلة التخلص منه الا ان يبعث اليه من يحتال في الاتصال به واغتياله ، من غير أن يتورط معه في حرب لا يدري ما تكون نتيجتها .

وكانت وفاة ادريس بن عبد الله ، ويلقب بالاكبر، في مهل ربيع الثاني سنة 177 هـ ، فمدة امامته رحمه الله خمس سنوات وستة اشهر .

وقد نشأت عن وفاته أزمة حكم حادة ، لو لم يدبرها راشد بحكمة وحسن نظر لكانت نهاية الدولة الادريسية يومئذ ، فان ادريس لم يخلف عقبا غير حمل بجارية مغربية تسمى كنزة ، وهي في الشهر السابع من حملها ، فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس وقال لهم انكم قمتم بدعوة ءال البيت ونصرتهم فان رايتم ان تتربصوا بهذه الجارية حتى تضع حملها فان كان ذكرا احسنا تربيته ، فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه وفاء لوالده وتمسكا بدعوته ، وان كان انثى نظرتم لانفسكم ، فاقتنعوا بكلامه وقالوا له ما لنا محيد عن رايك وحسن تدبيرك .

وتولى راشد من يومئذ الوصاية على العرش ، ولم تلبث كنزة ان وضعت مولودا ذكرا اشبه الناس بأبيه، وذلك في يوم الاثنين 3 رجب 177 اي بعد شهرين من حدوث الازمة ، فاخرجه راشد الى الناس حتى نظروا اليه فقالوا هذا ادريس بعينه لم يمت ، فسماه راشد ادريس وسهر على تربيته وقام بامره احسن قيام .

وظهرت نجابة ادريس منذ الصغر ، فحفظ القرءان وهو ابن ثمان سنين وتعلم الفقه والعربية ، وروى الشعر وايام العرب وسير الملوك ، وتدرب على ركوب الخيل والرمي بالسهام وغير ذلك من مؤهلات الرياسة وخصال الملك ، وادركته نباهة اصله وكرم ابوته ، فسرعان ما يفع وترعرع واصبح مستعدا للاضطلاع بخلافة ابيه وتولى الامر بنفسه ، فاجتمع عليه القوم وبايعوه في مسجد وليلي يوم الجمعة غرة ربيع الاول عام ثمانية وثمانين ومائة وله من العمر احدى عشرة سنة .

وقيل ان ابراهيم بن الاغلب والي افريقية دس الى راشد من قتله فاسرع القوم الى مبايعة ادريس اتقاء للفتنة ، ومعاملة لابن الاغلب بنقيض قصده اذ كان يريد تفريق الكلمة وقطع دعوة الادارسة .

ولما تمت له البيعة صعد المنبر وخطب الناس فقال :

« الحمد لله احمده ، واستغفره واستعين به ، واتوكل عليه، واعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر . واشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين ، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . ايها الناس : انا قد ولينا هذا الامر ، الذى نضاعف للمحسن فيه الاجر ، وللمسيء الوزر ، ونحن والحمد لله على قصد جميل ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان الذى تطلبونه من اقامة الحق ، انما تجدونه عندنا » ، فعجب الناس من فصاحته وقوة جاشه وايقنوا انه احق بها واهلها .

والحقيقة ان هذه الخطبة على قصرها تبين مدى فعالية التربية الحسنة التى قام بها راشد لادريس ، اعدادا للمهمة الكبرى التى تنتظره ، وتدل على بعد نظر ادريس والمامه بالظروف التى بويع فيها وطبيعة الاحداث التى تواجهه ، فهو لم يغتر بنصرة القوم له ، والحماس الذى اظهروه في بيعته ، وانما اعتمد في ولايته الحسبة وتوخى العدل وطلب الثواب من الله عز وجل ، ثم المع الى خصومه وما يدبرونه له من المكائد ، فانذر من يصغى لهم وينخدع بكلامهم ان مرادهم هو التسلط والقهر ، واشاعة الفتنة ، وأما الحق والعدل وحكم الشرع فانهم بمعزل عنه ، ولا يقيمه الا اهل البيت الذين ثاروا من اجله واراقوا دماءهم الزكية في سبيله .

فما اشبه هذه الخطبة في اختصارها وجمعها بخطبة ابي بكر الصديق التى خطب بها عند مبايعته . . وهي ان تكن من كلامه في هذه السن المبكرة ، فذلك منتهى النبوغ، وان تكن مما خطبه به بعدتقدمه في السن واستتباب الامر له ، وانما المؤرخون هم الذين جعلوها خطبته الاولى فذلك منتهى التوفيق .

واظهر ادريس على مر الايام مقدرة تامة على تسيير الامور والنهوض باعباء الملك ، مستعينا بالرؤساء والاعيان من رجال القبائل وانصار ابيه الا من انحرف عنه ومال الى دعوة العباسيين وولاتهم بافريقية فانه كان يحذره وينزله منزلته ، وربما فتك به اخذا بالاحتياط وحسما لمادة الخلاف كما فعل بابن عبد الحميد الاوربي القائم بامر ابيه لما احس بانقلابه عليه، وعد ذلك من حزمه وصرامته .

وكان ابراهيم بن الاغلب والى العباسيين على افريقية لا يفتأ يثير الفتن ويدبر المكائد للدولة المغربية

الفتية ، فبعد قتله لراشد جعل وكده قتل ادريس او تشتيت شمل القبائل المغربية ، المجتمعة عليه وهو القائل في شعر له :

الم ترني بالكيد اردبت راشدا
وانى باخرى لابن ادريس راصد
تناوله عزمي على بعد داره
بمحتومة يحظى بها من يكابد

وكان بهلول بن عبد الواحد المضغري من الرؤساء الذين استمالهم ابن الاغلب واستهواهم بالمال حتى بايع هرون الرشيد واعتزل ادريس في قومه مضغرة فواراه ادريس حتى راجع طاعته وكان مما كتب به اليه هذه الابيات :

ابهلول قد حملت نفسك خطة
تبدلت فيها ضلة برشاد
اضلك ابراهيم عن بعد داره
فأصبحت منقادا بغير قياد
كانك لم تسمع بمكر ابن اغلب
وقدما رمى بالكيد كل بلاد

وفي الواقع ان المصاعب التي كان يخلقها ابن الاغلب لادريس بالتضريب بين رؤساء القبائل المغربية واثارة الفتن الداخلية ، كبدته مشاق عظيمة ومجهودات كبيرة للمحافظة على الاستقرار ودوام الدولة ، ودلت من جهة اخرى على حصافته السياسية وقوة عزيمته ، على ان التفاف المغاربة حوله وصدق محبتهم له وتفانيهم في نصرته مما كان له اعظم الاثر في احباط دسائس ابن الاغلب وعدم نجاح مساعيه .

وضبط ادريس امر المغرب وعدل في الرعية واحسن السياسة ، ووصل الوفود وعظم الرؤساء والاشياخ، فأحبه الناس وتعلقت القلوب به ، وتوطد ملكه وقوى سلطانه وكثرت جيوشه واتباعه ، وقصد حضرته الاكابر والاعيان من كل قبيل . وكان من جملة من وفد عليه جموع من عرب افريقية والاندلس نحو خمسمائة فارس من قيس والازد ومذحج ويحصب والصدف وغيرهم فسر بوفادتهم واجزل صلتهم وادنى منزلتهم ، فطعم بهم جهاز الدولة الذي كان في حاجة الى مثل هذه العناصر لتقويته واستكمال تعريبه ، فاستوزر منهم عمير بن مصعب الازدي المعروف بالملجوم لضربة اصيب بها في بعض الحروب على خرطومه ، وهو جد بني الملجوم الذين كان لهم بفاس فيما بعد شهرة عظيمة بالعلم والدين ، واستقضى منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي ، وكان من اهل الورع والفقه والدين سمع من مالك بن انس وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا . ومن هنا بدأ مذهب اهل الحجاز ينتشر في المغرب وفقه مالك بالخصوص ، لاسيما مع ما علم من انتصاره للعلويين ، وميل هؤلاء اليه وكذلك استكتب ادريس من وفود العرب ابا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ، فتم له بذلك تجهيز الدولة باطار عربي لا يقل كفاءة ومقدرة عن الذي يوجد في دولة الاغالبة بافريقية او المروانية بالاندلس .

وكان نزوع هذه الوفود العربية الى ادريس عاملا قويا في دعم دولته وترجيح كفته على خصومه ، ودليلا قاطعا على استقرار حكم العلويين بالمغرب ، واستتباب امره ، فلذلك مال ادريس اليهم وقدمهم لهذه المناصب السامية ، والمؤرخون يعدون ذلك منابذة للمغاربة اهل البلاد ، وافتياتا عليهم ، والامر لا يعدو ان يكون تدبيرا سياسيا يراد به صرف النظر الى اول دولة علوية تنشأ في العالم الاسلامي بعد خلافة علي كرم الله وجهه ، ويعلو شانها ويعظم سلطانها ، من غير ان ينكر احد ما كان للمغاربة من فضل في قيام هذه الدولة وحمايتها ، ولم يثبت عن ادريس انه ابعد العنصر المغربي عن سياسة الدولة وتولى اعمالها ، وتوظيف بضعة اشخاص من العرب الوافدين عليه لا يعني ابدا نفض يده من المغاربة الاصليين ، وانما هو في نظرتنا استعانة بكفاءتهم على تعريب الجهاز الحكومي واعلان في الوقت نفسه عن الدولة الفتية التي قامت بدعوة العلويين واستحقت ان تلفت اليها الانظار . ولهذا لم يحصل اي تمرد من المغاربة على هذه السياسة في ايام ادريس .

ولا يصح قطعا ان يميل ادريس عن المغاربة الذين ناصروه وايدوه وهم فوق ذلك اخواله وعشيرته الذين يجري دمهم في عروقه ، فهو في الحقيقة اول مغربي تبلورت فيه القومية العربية المغربية من وجهة النظر السلالية لامتزاج العنصرين فيه بالمصاهرة والولاء ، وهو لحمة كلحمة النسب ، كما في الحديث . فمراد ادريس من هذا التطعيم هو ان يلتحم العنصران، ويصيرا اسرة واحدة ، وهو ما كان بعد ذلك ، فلا تجد في المغرب بيتا لا يجري في عروق ابنائه الدم المغربي والعربي معا ، ولقد تعرب المغاربة دما وشعورا حتى ان اقوى قبائلهم واعظم ملوكهم ليضعون لانفسهم مشجرات تصل نسبهم بالاصول العربية، او بيت النبوة في بعض الاحيان ، وذلك انما هو نتيجة سياسة ادريس هذه.

وضاقت بادريس وجيوشه عاصمة ابيه وليلي ، ولم تعد ملائمة لتطور الدولة واتساع سلطانها ، ففكر فى انشاء مدينة جديدة يجعلها عاصمته وينتقل اليها بديوانه وجيشه ورجال حكومته ، فخرج فى جماعة من حاشيته برتاد البقاع ويتخير المواقع ، ولم يتوفق الى المكان الصالح لبناء هذه المدينة الا بعد عدة تجارب أخفقت كلها . وقيل ان الفضل فى اختيار هذا المكان يرجع الى وزيره عمير بن مصعب الذى ارسله ادريس بعد ما اعياه الامر ، فذهب يقص الجهات ويرود الاماكن والترب والمياه ، حتى وصل الى المكان المطلوب وهو غيضة بين جبلين ملتفة الاشجار مطردة العيون فى طرف بسيط سايس على مقربة من الوادي الذى سيعرف باسم المدينة فيما بعد .

ورجع عمير الى ادريس فاعلمه بالمكان الذى وقع عليه اختياره ، فرضيه ادريس ، وتملكه وما حوله بالشراء من أصحابه ، وشرع فى بناء مدينته التى اطلق عليها اسم فاس فى غرة ربيع الاول 192 اي فى نفس اليوم الذى بويع فيه قبل اربع سنوات . وسميت فاسا بفاس كبيرة وجدت عند حفر اساسها، وكانت بحيث تلفت الانظار ، طولها اربعة اشبار وعرضها شبر ، وزنتها ستون رطلا فيما يقال ، فكثر التعجب منها ، وعرفت بها المدينة من يومئذ ، ويقال انه كانت هناك مدينة قديمة خربت قبل الاسلام تسمى ساف فسمى ادريس مدينته باسمها هذا بعد قلبه .

وكان الذى اختط منها اولا هو عدوة الاندلس الواقعة على الضفة اليمنى لوادي فاس وبنى بها المسجد المعروف بجامع الاشياخ ، ثم اختط عدوة القرويين على الضفة اليسرى للوادي ، وبنى بها جامع الاشراف وداره التى عرفت بدار القيطون، والسوق وغيرها من المرافق ، وسوغ للناس البناء وقال لهم من بنى موضعا او اغترسه قبل ان تسور المدينة فهو له ، فبنى الناس واغترسوا كثيرا .

وهكذا نشات مدينة فاس التى اصبحت منذ بنائها عاصمة المغرب واهم مدنه ومن كبريات حواضر العالم الاسلامي ذات التاريخ المجيد فى العلم والمدنية .

ولما فرغ ادريس من بنائها وحضرت الجمعة الاولى خطب الناس ورفع يديه فى ءاخر الخطبة فقال : « اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ، ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة ، وانما اردت ان تعبد بها ويتلى كتابك ، وتقام حدودك وشرائع دينك ، وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ما بقيت الدنيا . اللهم وفق سكانها وقطانها للخير واعنهم عليه واكفهم مؤونة اعدائهم ، وادر عليهم الارزاق ، واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شيء قدير »

وقد اثبت ادريس بهذا انه رجل دولة من الطراز الاول ، فهو سياسي بارع واداري محنك ، وصاحب سيف وقلم ، يحب العمارة ويسعى فى اسبابها من اقامة العدل ونشر الامن وتعميم الرخاء ، فلم يزده ذلك الا شهرة وبعد صيت ورفعة ذكر . وتتابع وصول الوفود اليه من افريقية والاندلس وغيرهما راغبين فى الاقامة عنده والعيش فى كنفه ، وكان اكبر هذه الوفود هو وفد الاندلس من اهل ربضة قرطبة الذين ثاروا على اميرها الحكم بن هشام الاموي فأجلاهم عنها ، وكانوا جما غفيرا زهاء اربعة آلاف بيت ، فلما وفدوا على ادريس رحب بهم وانزلهم من مدينة فاس بالعدوة التى حملت اسمهم فعرفت بعدوة الاندلس ، كماعرفت العدوة الاخرى بعدوة القرويين لنزول الوفود القادمين عليه من مدينة القيروان بها وكانوا ثلاثمائة بيت .

ومن وفد أهل القيروان كانت السيدة ام البنين الفهرية التى بنت جامع القرويين بمالها الحلال الذى ورثته من ابيها ، وذلك فى مدة حفيد ادريس يحيي بن محمد سنة 245 فبارك الله فى هذا المسجد حتى صار جامعة اسلامية عظيمة تشع بأنوار العلم والعرفان ، وهي اليوم اقدم جامعة فى العالم كله .

ولم تزل مدينة فاس تنمو وتعظم ، وكلما تقدم بها الزمن اثبتت انها مدينة المغرب العربي الاولى التى تحتضن حضارة الاسلام وعلمه وادبه فى اقاليم الغرب الاسلامي ، فهي الى كونها مركزا اشعاع فكري وثقافي بسبب وجود جامعة القرويين فيها ، مدينة الفنون والصنائع وملتقى التجار ومختلف الاجناس من اهل المشرق واروبا والسوادين والصحراء، يتبادلون المصالح ويقتنون منها انفس البضائع والطرف .

وهاك ما يقوله عبد الواحد المراكشي المؤرخ المعروف فى وصفها وهو من اهل القرن السابع : « ومدينة فاس هي حاضرة المغرب فى وقتنا هذا وموضع العلم منه ، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة ، اذ كانت قرطبة حاضرة الاندلس كما كانت القيروان حاضرة المغرب ، فلما اضطرب امر القيروان بعبث العرب فيها ، واضطرب امر قرطبة باختلاف بني امية بعد موت ابن ابي عامر وابنه رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة ، فنزل اكثرهم مدينة فاس، فهي اليوم على غاية الحضارة . واهلها فى غاية الكيس ونهاية

الظرف ، ولغتهم افصح اللغات فى ذلك الاقليم . وما زلت اسمع المشائخ يدعونها بغداد المغرب وبحق ما قالوا ذلك ، فانه ليس بالمغرب شيء من انواع الظرف واللباقة فى كل معنى الا وهو منسوب اليها وموجود فيها وماخوذ منها ، لا يدفع هذا القول احد من اهل المغرب .. وما اظن فى الدنيا مدينة كمدينة فاس اكثر مرافق واوسع معايش واخصب جهات ، وذلك انها مدينة يحفها الماء والشجر من جميع جهاتها وتتخلل الانهار اكثر دورها زائدا على نحو من اربعين عينا ينغلق عليها ابوابها ويحيط بها سورها ، وفى داخلها وتحت سورها نحو من ثلاثمائة طاحونة تطحن بالماء ، ولا اعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج الى شيء يجلب اليها من غيرها الا ما كان من العطر الهندي (1) سوى مدينة فاس هذه ، فانها لا تحتاج الى مدينة فى شيء مما تدعو اليه الضرورة ، بل هي توسع البلاد مرافق وتملؤها خيرا »

ويقول كاتب اوربي هو روجي لوتورنو فى كتابه (فاس فى عصر المرينيين (2)) وهو العصر الذى استكملت فيه نموها وازدهارها :

« لم تكن فاس يومها عاصمة مملكة المرينيين المستقرة فحسب ، بل كانت مركزا مهما للتجارة تربطها المصالح التجارية بالاقطار الاوربية الواقعة على البحر الابيض المتوسط ، وبلاد الشرق العربي وبلاد السودان فيما وراء الصحراء الكبرى. وكانت بالاضافة الى ذلك مدينة علم ودين ، حيث كان يتوفر عدد كبير من الطلاب على دراسة اللغة والعلوم الاسلامية، وحيث كان الكتاب يبرزون فى نظم الشعر وتدوين التاريخ والتاليف فى الدين والشريعة ، وحيث كان يقوم المتصوفة الى جانب علماء السنة ، بالحفاظ على شعلة قوية للحياة الروحية . ودليلنا على ان مدينة فاس لم تكن مدينة بازدهارها للمرينيين وحدهم ، هو ما كان عليه حالها فى فترة الانحطاط الطويلة التى مرت بها دولتهم ، وحتى فى ايام بني وطاس الضعفاء ، الذين خلفوا بني مرين ، والذين قدر لهم ان يقتصر سلطانهم على الاجزاء الشمالية من المغرب فقط ، فان مدينة فاس لم تهن ، بل انها لم تتوقف عن الازدهار . والوصف الذى خلفه لنا مؤلفوا القرن العاشر (السادس عشر) المتفاوتون فيما بينهم مثل ليون الافريقي (الحسن الوزان) ومارمول والاسقف كليناردوس يقدم لنا على ذلك الدليل الذى لا سبيل الى انكاره » .

هذه فاس التى وضع لبنتها الاولى ادريس الازهر كما يلقب ، فرقا بينه وبين ابيه ، ادريس الاكبر . وهذه قصة بنائها بما صاحبها من التفكير والتنفيذ ، حسبما رواها المؤرخون فى شبه اجماع ، وتناقله الخلف عن السلف ، وجرى حتى على السنة العامة من سكان المدينة واهل المغرب قاطبة . ولكن المستشرق الفرنسي المعروف ليفي بروفنسال طلع علينا براي غريب يقول ان مؤسس فاس وباني خطتها الاولى اعني عدوة الاندلس هو ادريس الاكبر ، وان ابنه ادريس الازهر انما بنى الخطة الثانية وهي عدوة القرويين ، وكملت المدينة بذلك نحو عشرين سنة من ابتداء بنائها فى عهد ابيه ، والحجة الوحيدة التى يقدمها على ذلك هي وجود قطعتين من العملة مضروبتين بفاس تحملان تاريخا سابقا للتاريخ الذى تقول الرواية ان ادريس الازهر بنى فيه المدينة.. القطعة الاولى درهم محفوظ بالمكتبة الوطنية فى باريز وهو بتاريخ 189 اي قبل التاريخ المتواتر لبناء فاس بثلاث سنوات . والثانية درهم كذلك ، محفوظ بمتحف مدينة خاركوف وتاريخه 185 اي فى حياة ادريس الاكبر . وهذا الدليل الذى ينوه به ليفي بروفنسال لانه دليل مادي كما يقول ، يمكن ان ينظر فيه باحتمال تزييفه او وقوع الغلط فيه، فانهاذا كان الغلط فىمثل هذه الاشياءيقع فى عصرنا هذا — وما قضية طابع البريد البريطاني المقلوب ببعيدة عنا — فاحرى فى ذلك العصر البعيد . لاسيما والمستشرق الكبير نفسه يذكر ان هناك قطعا اخرى من العملة ضربت فى وليلي وتدغة باسم ادريس الازهر وتحمل التواريخ المتتابعة لسنوات 181 و 182 و183 اي فى غير فاس التى ضربت فيها القطعتان السابقتان زعما . ثم يشير الى ان ما يوجد من العملة المضروبة باسمه بعد تاسيسه لمدينة فاس هي اربعة دراهم ضربت فى مدينة العالية (3) بتاريخ 204 و 207 و 208 و 210 ذكرها لافوا Lavoix فى كتابه عن العملة الاسلامية الموجودة بالمكتبة الوطنية فى باريس . وزاد قائلا انه هو شخصيا يملك منها اربعة تحمل تواريخ 198 و 206 و 209 و 214 واشتبه فى هذا الاخير لانه يحمل تاريخا متاخرا عن وفاة صاحبه

---

(1) يعني العود الهندي المستعمل فى البخور .

(2) ترجمة الدكتور نيقولا زيادة .

(3) يراد بالعالية عدوة الاندلس فقد كان يطلق على كل عدوة مدينة ولم تعرف كل منهما بالاندلس والقرويين الا بعد استيطان مهاجرة الاندلس والقيروان فيهما .

بسنة، اذ من المعلوم ان ادريس الازهر توفى سنـة 213 .

فبهذا الاشتباه ننظر نحن فى القطعتين المزعومتين ولا نقبل ان ترد بهما اقوال المؤرخين المضبوطة المبنية على كثير من التحري والمحاولات لبناء مدينة فاس من طرف ادريس الازهر .

واذن فابتداء ضرب الدراهم بفاس كان فى ايام ادريس الازهر ، بعد التاريخ المعروف لبنائها ، ثم هذه الـدراهم في الاول انما كانت تحمل اسم العالية ، التى يراد بها عدوة الاندلس ، اي خطة ادريس الاكبر فيمـا ادعي او فاس الدرهمين اللذين جعلا دليـلا ماديا على سبق بناء المدينة عن تاريخها عندنـا ، فلو كـان هـذا صحيحا لاستمر ذكر اسم فاس فى هذه الدراهـم الجديـدة .

واما الدراهم التى ضربت فى وليلي وتدغة سنة 181 و 182 و 183 فهي حجة ناطقة بان فاس لم يكن لها وجود فى هذه التواريخ لا باسمها هذا ولا باسم جزئها الذى هو العالية ، والا لوقع الضرب فيها .

بقيت بعض النقول التى استظهر بها صاحب هذا الراى ، وهو عبارات وردت فى تواريخ لم يكن وكدها ذكر فاس ولا التاريخ لها ، وانما جاءت عرضا فى الكلام على دولة الادارسة او المغرب ، واصحابها ليسوا مـن المغاربة ، وبعضهم كالبكري معروف بعدم تثبته فيمـا يتحدث به عن الادارسة فهي بهذه الصفة لا تقـاوم النصوص التاريخية المفصلـة التى كتبهـا المؤرخـون المختصون من اهل البلاد ، واهل مكة كما يقولون ادرى بشعـابهـا .

* * *

هذا ولما استقر ادريس بعاصمته الجديدة هو وحاشيته وارباب دولته اقام بها الى سنة 197، فخرج غازيا بلاد المصامدة اعني اقليم سوس فانتهى اليهـا واستولى عليها ودخل مدينة نفيس ومدينة اغمـات وعاد الى فاس فأقام بها الى سنة 199 فخرج فى المحرم منها برسم غزو قبائل نفزة من اهل المغرب الاوسط ومن بقي هناك على مذهب الخوارج فسار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فاقام بها يدبر امرها وامر ما اليها من الاعمال ثلاث سنين ، ثم رجع الى فاس فلم يخرج منها حتى توفى . وقد انتظم له ملك المغـرب الاقصى والاوسط من وادي سوس الى وادي شلف ، وقطع منه دعوة العباسيين كما فعل عبد الرحمـن الداخل فى الاندلس ، واهم من ذلك انه وحد كلمتـه واستاصل شأفة الكفر والزندقة والخروج من بيـن المغاربة ، فأتم عمل والده فى ذلك واستحـق مثلـه الوصف بالامامة ، ثم زاد على ذلك انه قعد حاضـرة فاس ووطد اركان الدولة واشرك العنصر العـربي فى تدبير الشؤون وادارة دفة الحكم، فكان لذلك احسـن الاثر فى اكمال تعريب المغرب ولحاقه بالركب الحضاري العربي الاسلامي الذى كان يتعثر فى طريق اللحاق به .

وفى ثاني جمادى الآخرة سنة 213 توفى رحمه الله شرقا بحبة عنب وعمره نحو ستة وثلاثين سنة ، ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقي منه قالـه ابـن خلـدون .

ومن محاسن ما يروي من جهاده وشجاعته ما حكاه داود بن القاسم ابـن جعفـر الاوربـي قـال : « شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثـة اضعافنـا . فلما تراءى الجمعان نزل ادريس فتوضـا وصـلى ركعتين ودعا الله تعالى ، ثم ركب فرسه وتقدم للقتال، فقاتلناهم قتالا شديدا ، فكان ادريس يضرب فى هذا الجانب مرة ، ثم يكر فى الجانب الثاني ، فلم يـزل كذلك حتى أرتفع النهار ، فرجع الى رايته ، فوقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه ، فطفقت انظـر اليـه واديم الالتفات نحوه وهو تحت ظل البنود يحـرض الناس ويشجعهم ، فاعجبني ما رايته من شجاعتـه وقوة بأسه . فالتفت نحوي وقال : يا داود مالي أراك تديم النظر الي . قلت ايها الامام انه اعجبتـي منـك خصال لم أرها فى غيرك . قـال: وما هي ؟.. قلت: اولها ما أراه من حسنك وجمالك وثبات قلبك وطلاقة وجهك ، وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك . قال : ذلك بركة جدنا صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا ، ووراثة عن ابينا علي بن ابي طالب .

قلت : ايها الامام .. اراك تبصق بصاقا مجتمعا وانا اطلب قليل الريق فى فمي فلا اجده . قال يا داود : ذلك لاجتماع عقلي ورباطة جاشي عنـد الحـرب ، وذهاب عقلك . وعدم الريق من فيك لطيـش لبـك وافتراق فكرك ولما خامرك من الرعب . قال داود : وانا اتعجب ايضا من كثرة تقلبك فى سرجك وقلـة قرارك فى موضعك . قال : ذلك مني زعم للقتال وعزم وصرامة ، وهو احسن فى الحرب . فلا تظنه رعبا .

وانشا يقول :

اليس ابونـا هاشم شـد ازره
واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولا نشتكي مما يؤول الى النصب

طنجـة ــ عبد الله كنون

الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة

للأستاذ دانييل ماك كول
عربه عن الانجليزية الأستاذ محمد الحمداوي

كتب هذا البحث التاريخي الاستاذ دانييل ماك كول استاذ الدراسات الانسانية ، والعضو المشارك فى وضع الدراسات الافريقية بجامعة بوسطن ماسا تشوستس بأميركا ، وقد ناقش فيه اقدم الروايات التاريخية واحدثها عن تاسيس سجلماسة وغانة ، وقد نشر ضمن البحوث التاريخية التى انجزتها (الجمعية التاريخية لغانة) سنة 1961 . ولما اتيح لي الاطلاع عليه احسست بميل قوي الى نقله الى اللغة العربية رغبة مني فى ان اضع امام القاريء المغربي نموذجا من نماذج الدراسات التاريخية القائمة على الاستقراء والمقارنة والاستنتاج تصف ميدانه جزء من اجزاء هذه البلاد التى تنتظر من ابنائها الدارسين ان يجلو تاريخها فى صورة قائمة على اساس من البحث العلمي الدقيق ، وبما ان البحث يتعلق بتاريخ مدينتين افريقيتين احداهما مغربية (سلجماسة) والاخرى سودانية (غانة)، فقد يجد فيه القاريء المغربي حافزا للاهتمام بالبحث عما كان بين المغرب وبين ما وراءه من بلاد افريقيا السوداء من علاقة قوية فى الحاضر انشاها ابطال الاسلام ودعاته الاولون ، وان اثارة البحث عن هذه العلاقة قد يكون احدى الصوى الهادية الى الطريق الاقوم للوصول الى ما تسعى اليه اليوم جميع البلاد الافريقية من (وحدة) تضمن لشعوبها العزة والكرامة والمستقبل الافضل الذى تنشده ، وسيطلع القاريء المغربي من خلال البحث كذلك على كثير من المشاكل والاسئلة التى اثارها الكاتب حول بعض قضايا التاريخ المغربي ، والاقدم منه على الاخص ، وقد تكون بعض الاجوبة التى ارتأى الكاتب انها الحل الواقعي، او الجواب الصحيح لما اثاره من المشاكل والاسئلة ، محل نظر ، ومثار مناقشة، لدى المعنيين بتاريخ هذه البلاد من المثقفين المغاربة .

المترجم

ان سجلماسة (1) التى اصبحت فى عداد الاطلال البالية منذ القرن السادس عشر .

---

(1) قال ياقوت في معجمه عن لفظ سجلماسة انه بكسر اوله وثانيه وسكون اللام ، وسيرد اثناء البحث مناقشة الكاتب للفروض المحتملة لاشتقاق هذااللفظ من اصول فى اللغة العربية او غيرها ، ولم يذكر ياقوت ولا البكري ولا غيرهما ـ فيما وقفتعليه ـ ممن تعرضوا لذكر سجلماسة من اصحاب المعاجم الجغرافية اي شيء عن اصول هذا اللفظ، وقدذكر البحاثة المؤرخ الاستاذ عبد السلام بن سودة فى كتابه (دليل مؤرخ المغرب الاقصى) نقلا عن بناني فيالرحلة الكبرى ان الزبيدي شارح القاموس قد الف كتابا فى تحقيق اصول هذا اللفظ ، سماه « الحاجةالماسة فى تحقيق لفظ سجلماسة » ولكن هذا الكتاب غير موجود الآن ، اما عن موقع سجلماسة فقد ذكرالبكري «انها فى اول الصحراء» وذكر ياقوت «انها في جنوب المغرب » و « فى منقطع جبل درن » ،والمعروف الان ان سجلماسة كانت على بضع كيلومترات من مدينة الريساني بتافيلالت ، وقد وصف البكري عمران المدينة وما كانت تحتوي عليه فى ايامه من النخيل والاعناب شديدة الحلاوة وانواع التمر ومهارة نسائها فى صناعة الصوف ، وما كانت تدره هذه الصناعة على اهلها من الارباح الباهظة ، قال : واهل هذه المدينة من اغنى الناس واكثرهم مالا لانها على طريق من يريد غانة التى هي معدن الذهب ولاهلها جراة على دخولها وفى مادة (تبر) من معجمه تجد الوصف القريب للرحلات التجارية الشاقة التى كان يقوم بها السجلماسيون لغانة ، وقد ذكر ابن حوقل انه راى صكا بدين لاحد اهل سجلماسة على غيره مبلغه اثنان واربعون الف دينار .

المترجم

وغانــة (1) التــي صـــارت هي الاخــرى فــي نفس الوضـع باطول من ذلك بنحو ثلاثة قرون ، كانتا في عز ايامهما تقطتي التقاء للطريق التجـاري عبـــر الصحراء جنوبا وشمالا . كانت الاولى تقع جنـوب الاطلس ، وكانت الثانية تقع على المنعطف الغربي لنهر النيجر . وبالرغم من ان بداية تاسيس المدينتـين غامضة ، فان بعض الروايات قد دونت مع ذلك ابان مختلف العهود العمرانية لكلتي المدينتين . غيـر ان تدوين هذه الروايات كان ولا شك بعـد ان تقـادم العهد على تاسيس المدينتين .

على ان هذه الروايات وان كانت قد دونت منذ قرون خلت ، فانها مع ذلـك لم تكن تاريخا بالمعنى الحقيقي للتاريخ ، وانما كانت روايـات شفـوية (2) قد مضى زمن طويل على تسجيلها ، لذلك ينبغي ان توخذ بنفس الطريقة التي توخذ بها الروايات الشفوية في ايامنا هذه، فالرواية في حد ذاتها وحتى احسنها واكملها ، كما يقول جوهان هويزنكا ، « ادلة خرساء وغير مضبوطة » ، ذلك لانها ، كما يقول ، « انما تقدم للتاريخ بعض اسئلة تضعهـا عليـه في بعض الاحيان » ثم يزيد محذرا لنا قائلا : « وحيث لا يكون هناك سؤال واضح فليس هناك من معرفة يمكـن ان تعطي الجواب » ، وحيث يكون السؤال غامضا يكون الجواب كذلك غامضا بنفس الصورة .

ان الرواية عن مبدا تاسيس غانا تتسم بشيء من الضعف بالنسبة للرواية عن تاسيس سجلماسة ، غير انها عن تلك قد اعطيها بعض الاهتمام بشيء من الشرح والتفصيل ، على حين انها عن هذه بقيت في واقع الامر مجهولة ، ان كلا من تكوين راي حول هذه الروايات او الاغضاء عنها قد يؤديان في مثل هـذه الحال ــ فيما اعتقد ــ الى سوء فهم ، ومع ذلـك فساقوم بمحاولة في هذا الشان لفحص وتوضيـح الروايات عن سجلماسة في شيء مـن التفـصيل ، ولاعادة النظر في الروايات عن غانـة في شيء من الاختصار والتقريب، ذلك لانه ــ ولتقريـر النتيجة مقدما ــ يوجد بعض الاحتمال في ان الذين قامـوا بتاسيس المدينتين ينتسبون الى جماعـة سلاليـة واحدة .

تاسيس سجلماسة

ان اغلب الكتاب المعاصرين متفقون تماما علـى تحديد تاريخ تاسيس سجلماسة ، فكوتيي مثلا قـد كتب يقول ان سجلماسـة قد اسـست في سنـة 757 . وموريـس لومبـارد يـؤكـد قائـلا : ان سجلماسة التي اسست في تافيلالت سنة 58 ــ 757 كانت اعظم طريق ، واوسع مدخل لقدوم القوافـل التجاريـة في الســودان . وكي لاسيـر يقـول هـو

(1) قال ياقوت في معجمـه عن كلمـة غانـة (انها كلمة اعجمية لا اعرف لها مشاركا في العربية) ولعل الانسب في اصل هذا اللفظ هو ما قالته دائرةالمعارف البريطانية من انه « كان اسما للحاكم الذي كان يحكمها » وذلك ما اثبته البكري حين قال : (وغانةسمة لملوكهم) وكما تطلق اليـوم اسـم «تـونس» و « الجزائر » على الجمهورية التونسية والجزائريـةوعلى المدينتين اللتين هما عاصمتا هاتين الجمهوريتين، فان اسم «غانا» كذلك كان يطلق على المملكة الغانيـةالقديمة وعلى المدينة التي كانت عاصمة لهذه المملكة، وقد اصبح اسم (غانة) اليوم يطلق على الجمهوريـةالغانية بساحل الذهب . انظر المغرب في ذكر بـلاد افريقيا والمغرب ص 174 وانظر دائرة المعـارفالبريطانية مادة Ghana وانظر ايضا المقال الذي كتبته الدكتورة كوثر عبد الرسول في العدد الرابعمن مجلة (نهضة افريقية) . المترجم .

(2) لا يتحقق الوجود الفعلي الرواية الشفوية « Oral Tradition » الا اذا كان الامر يتعلق برواية احداث حديثة نسبيا لم يمت شهودها كما يظهر ذلكمن كلام شارل لانجلوا وشارل سنيوبـوس في اول كتابهما « المدخل الى الدراسـات التاريخية » ، ومنثم فقد لاحظ اندري لالاند ، في قاموسه للمصطلحات الفنية والنقدية الفلسفة ، ان التفرقة بين الروايـةالشفوية والرواية الكتابية بالنسبة الى الماضي تفرقة غير ذات قيمة ، ذلك لان الرواية الشفويـة ــ كمـايقول ــ لا تتحقق الا بالنسبة الى الاحداث الماضيـة الا عن طريق الرواية الكتابية .

انظر في هذا المعنى كتـاب « المدخـل الى الدراسات التاريخية تاليف لانجلوا وسنيوبـوس ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وانظـر ايضـا « Vocabulaire technique et critique de la philosophie », par André Lalande

المترجم

ايضا في تأكيد: ان سجلماسة التي اسست في سنة 58 ــ757 كانت عاصمة الذهب . ان جميع هذه الاقوال تعتمد على الرواية التي ذكرها البكري (1) . والواقع ان هناك عدة روايات اخرى تتعلق بالاصول الاولى للمدينة ، وتظهر هذه الروايات في بعض الاحيان ــ ولو ان ذلك ليس دائما ــ في بعض المصادر المعاصرة التي تناولت الكلام عن سجلماسة ، فدائرة المعارف الاسلامية التي تمدنا عادة بتفصيل القول في الموضوعات تنص على ان سجلماسة ربما اسست في ازمنة قديمة ، وهذا ا. و. بوفيل يذهب الى ابعد من ذلك حين يقول : انه ليس من البعيد ان المدينة المغربية القديمة سجلماسة كانت في ايام القرطاجنيين اعظم مستودع لتجارة الذهب التي استمرت زمنا طويلا . لقد اتجه اغلب الكتاب الى ان يختاروا الرواية التي ظهر انها اكثر تحديدا ، وهناك رواية واحدة هي التي حددت التاريخ فعلا . ولكن مهما تكن الرواية التي يختارها كاتب بعينه بعد ان يكون قد قام بعملية الاختيار ، فانه قد طرح باقي الروايات التاريخية ، بل ان واجب البحث يقضي بان تعتبر الروايات كمجموعة ، ذلك لانه لا ينبغي لنا ان نبحث كل رواية في عزلة عن الاخريات ، بل نحاول ان نبحث عما اذا كانت توجد هناك بعض العلاقات بين هذه الروايات جميعها . ان تاسيس المدينة قد نسب الى خمسة اشخاص مختلفين ، ونجد اول ذكر لثلاثة من هؤلاء المؤسسين في كلام البكري ، وقد ذكر بعض من تاخر عن البكري من المؤلفين العرب روايات هؤلاء الاشخاص الثلاثة ، اما الاثنان الباقيان من هؤلاء المؤسسين المذكورين فقد افادنا بالخبر عنهما ليو الافريقي (2)

ولا نجد اي ذكر لهما عند غيره فيما اعلم ، وقد زار ليو المدينة مرتين وامضى هناك بعض الشهور ، وهناك كثير من الرحالة قد اخترقوا المدينة مثل ابن بطوطة (3) ولكنهم لم يسجلوا اي شيء عن روايات تاسيسها

والبكري نفسه لم يزر المدينة وانما كان في وضع مكنه من ان يكتسب عنها اخبارا من اولئك

---

(1) عبد الله بن عبد العزيز بن ابي مصعب الاندلسي البكري الامام الاخباري اللغوي الاديب ، صاحب كتاب المسالك والممالك ، ومعجم ما استعجم من البلاد والمواضع . ابوه عبد العزيز البكري كان احد ملوك الطوائف بولبة وسلطيش من غرب الاندلس ، قال عنه ابن بشكوال في كتاب الصلة انه كان من اهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بمعاني الاشعار والغريب والانساب والاخبار توفي سنة 487 .
المترجم

(2) الرحالة المغربي ، الحسن بن محمد الوزان الاندلسي الفاسي الذي اشتهر لدى الاوروبيين بـ Leo Africanus ولد بغرناطة سنة 901 هجرية 1496 م ، اما وفاته فمجهولة الزمان والمكان ، تربى ونشا ودرس العلم بفاس حيث هاجرت عائلته في جملة من هاجر من المسلمين المطرودين من الاندلس بعد سقوط غرناطة سنة 897 هجرية 1492 م ، جال كثيرا من بلاد افريقيا وآسيا ، وعندما كان راجعا من تونس الى المغرب سنة 926 هـ اسره بعض القراصنة الايطاليين وارسلوه الى البابا ليو العاشر الذي اتخذه احد خواصه لما وجد فيه من سعة افق في مختلف العلوم والمعارف الاسلامية التي كان هذا الملك شغوفا بنشرها في مملكته ، وهو الذي سماه باسم (يوحنا الاسد) او (ليو) ، وهناك الف كتابه (وصف افريقيا) . انظر (حياة الوزان الفاسي وآثاره) تاليف محمد المهدي الحجوي ، وانظر ايضا دائرة المعارف الاسلامية والبريطانية ، وانظر كذلك المقالات المتابعة التي كتبها المرحوم سعيد حجي عن حياة هذا الرحالة المغربي من السنة الثالثة من (مجلة المغرب)
المترجم

(3) الرحالة المغربي ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة صاحب الرحلة المسماة بـ (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) ، وقد طاف ابن بطوطة آفاق الارض شرقا وغربا وسجل كل ما وقعت عليه عيناه من احوال الخلق وغرائب الاحداث ، توفي سنة 777 او 79 هـ . وقد اخترق ابن بطوطة سجلماسة في طريقه الى بلاد السودان ذاهبا وآيبا ، في اوائل ايام السلطان ابي عنان المريني بين سنة 752 ــ 753 هـ . ولم يذكر ابن بطوطة اي شيء عن بداية تاسيس المدينة وانما ذكر انها كانت في ايامه (من احسن المدن) . وقد عد ابو القاسم الزياني في (الترجمة الكبرى) سجلماسة في جملة المدن التي اسسها البربر قبل الاسلام حيث قال « واسس بنو ودرار من مكناسة (سجلماسة) قبل الاسلام ».
المترجم

الذين رجعوا منها الى اسبانيا ، ذلك لان سجلماسة وقرطبة كانتا متحالفتين كما ان كلا منهما قد قاوم الفاطميين (1)

1 ـ الرواية التاريخية عن ابي القاسم

ان اقدم نص موجود لهذه الرواية هو ذلك النص الذى كتبه البكري فى قرطبة عندما كان محافظا لسجلات الامويين فى القرن الحادي عشر ، ولقد ذكر البكري أكثر من رواية عن تأسيس المدينة ، ولكن هذه الرواية هي المختارة عنده ، وهي الرواية المرجحة عند المتاخرين من الكتاب العرب والاوروبيين فى مؤلف (2) البكري « ومدينة سجلماسة بنيت سنة اربعين ومائة 140 (58 ـ 757) وبعمارتها خلت مدينة ترغة (3) وبينهما يومان وبعمارتها خلت زيز ايضا ».

وبعد ان سجل البكري هذه الرواية انتقل الى الكلام بتفصيل عن رفع اسوار المدينة وبناياتها العامة التى بنيت تحت رعاية ثاني ملوك الدولة ، ثم اخذ يصف خصب اوديتها ، ثم عاد فى النهاية عن الكلام عن الخلافة فقال : « ابو القاسم سمكوا بن واسول المكناسي ابو اليسع المذكور وجد مدرار لقى بافريقيا عكرمة (4) مولى ابن عباس وسمع منه وكان صاحب ماشية كثيرا ما ينتجع موضع سجلماسة فاجتمع اليه قوم من الصفرية فلما بلغوا اربعين رجلا قدموا على انفسهم عيسى بن مزيد الاسود ». وهنا عاد البكري فاعطى تحديدا لتاريخ سنة بناء المدينة يخالف ما سبق ان ذكره ، وليس من شك فى ان هذا التحديد الاخير كان غلطا من بعض النساخ ، اذ لم يرد اي ذكر لهذا التحديد لا عند ابن عذارى ولا عند غيره من الكتاب المتاخرين الذين وصلهم مؤلف البكري وهذا التحديد هو قوله « فشرعوا فى بناء سجلماسة وذلك سنة اربع ومائة » . لقد تولى ابو القاسم الحكم بعد خلع عيسى بن مزيد ، ولكن البكري قبل ان يتناول الكلام على رواية ابي القاسم هذه ، ذكر الرواية الثانية (رواية مدرار) عن تاسيس المدينة ثم قصة خلع عيسى ، ونحن نقتصر هنا على ما يتعلق من القصة برواية ابي القاسم ، قال البكري : « ووليهم (عيسى) خمسة

---

(1) كانت اول مقاومة من سجلماسة للفاطميين ايام اليسع بن ميمون حينما زحف ابو عبد الله الشيعي من افريقيا على سجلماسة سنة 296 هـمستهدفا اطلاق سراح عبيد الله المهدى وابنه اللذين سجنهما اليسع حين قدما سجلماسة للقيام بالدعوةالشيعية فيها ، ومن هنا استمر النزاع بين المذهب الخارجي والمذهب الشيعي فى سجلماسة فى الوقتالذى كانت فيه الحروب الطاحنة مستعيرة بين ملوك قرطبة من الامويين وبين العبيديين فى افريقيا علىتولي السلطة فى المغرب المترجم

(2) يعني بمؤلف البكري كتابه « المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب » الذى هو جزء من كتاب المسالك والممالك) الذى لم يوجد كاملا وانما وجد منههذا الجزء الذى نشره البارون دوسلان فى الجزائر سنة 7ر18 ثم فى باريز سنة 1911 وقد رجع لكاتب فيما نقله ـ كما يقول فى تعليقه ـ الىالترجمة الفرنسية سنة 1913 على حين رجعت الى الاصل العربي لانقل عنه ما ترجمه هو عن الفرنسية المترجم

(3) لعل مدينة ترغة التى ذكر البكري فى هذا النص انها خلت بعمارة سجلماسة هي الاصل لما لا يزال يعرف حتى الآن بـ (قصر ترغة) ترب قصرالسوق اما الاسم « ترغة » فقد كان معروفا انه اسم لاحدى القبائل البربرية التى كانت تسكن هـذهالناحية والتى ذكرها ابن حوقل على انها احدى القبائل الصنهاجية الخلص ، وهناك مدينة لا تزال اطلالها بادية على شاطىء البحر الابيض المتوسط قرب (وادي لو) تعرف حتى الآن بهذا الاسم (ترغة)، ولاشك ان اصل ترغة الشمالية هذه هو ترغة التى كانت مع تيكساس وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة بالشمال المغربي من حظ عمر بن ادريس حين اقتسم ابناء ادريس نواحي المغرب بعد موته ، راجع المسالك والممالك لابن حوقل ص 101 طبعة بيروت ، والاستقصا ج 1 ص 75 وابن خلدون ج 4 ص 14 المترجم

(4) الذى فى تاريخ ابن خلدون نقلا عن عريب بن حميد فى تاريخه ، ان اباه هو الذى كان يتحقق من جملة العلم ، ارتحل الى المدينة فادرك التابعين واخذ عن عكرمة مولى ابن عباس ، انظر ابن خلدون ج 6 ص 130 المترجم

عشر عاما ثم ولوا ابا القاسم سمغو بن (1) مزلان بن نزول المكناسي فلم يزل واليا عليهم الى ان مات ».

لقد كان هذا اول بداية للدولة المعروفة بدولة (بنو مدرار) ، وهنا يقدم البكري قائمة لولاة هذه الدولة ، وبالرغم من ان ابا القاسم لم يكن رئيسا فى الوقت الذى كانت تباشر فيه عملية بناء المدينة فان القصة تظهر انه كان الحاكم الفعلي ، وان فترة حكم عيسى انما كانت كفترة استجمام التى ليست لها اهمية الادوار الاساسية فى تمثيل الرواية ، ان الرواية تحدثنا ان ابا القاسم كان اول من ساق اغنامه الى هذه الناحية ، واول من تجمع حوله اتباعه الدينيون ، ثم بعد المبايعة الغامضة لعيسى تودي به على انه هو الحاكم الشرعي . ان هذه ولا شك كانت الرواية القريبة من الرواية الرسمية التى رويت عن رجال الحكم انفسهم ، والبكري ربما احرز على الوثيقة التى دونت زمان سيادة المدراريين على سجلماسة ، والفرق الاساسي بين هذه الرواية ورواية ابن عذارى الذى كتب تاريخه فى القرن الثالث عشر هو ان هذا ينص على ان تاسيس المدينة كان قبل اختيار عيسى حاكما ، الشيء الذى يدل بوضوح تام على ان الفضل فى تسيير عملية البناء كان لابي القاسم ، وابن خلدون الذى كتب تاريخه فى القرن الرابع عشر ، ذكر نص هذه الرواية كذلك ، وهو يخالف المصدرين السابقين فى كونه يذكر عيسى قبل ان يورد ذكر ابي القاسم فى القصة، ولكنه يشير بعد الخلع الى ان هذا الاخير كان زعيما حقيقيا لمكناسة ، ويذكر ابن خلدون ان افراد الجماعة كانو اربعين رجلا لهم صفات الزعامة والقيادة اكثر منهم ملاك قطعان من الغنم ، وفى نص ابن خلدون ان ابا القاسم لم يكن له اي فضل فى القيام باي عمل خاص زائد على باقي افراد الدولة فى تاسيس المدينة ، غير انه كان ذلك الرجل الذى قام بالدور الرئيسي فى اقناع الباقين فى قبول عيسى رئيسا لهم وفى المصدرين السابقين ان ابا القاسم كان اداة فعالة فى الايعاز ببناء المدينة ، او بتسيير عملية البناء فعلا . وهذا مفهوم ضمنا من كلام البكري ، وبصريح العبارة فى كلام ابن عذارى، ان رواية ابي القاسم مرتبطة برواية عيسى ، لذلك يجب ن ننظر فى الرواية الثانية قبل البدء فى اي مناقشة لكلتيهما .

2 ــ رواية عيسى

وكما راينا من قبل فان عيسى قدانتخب رئيسا، اما قبل بناء المدينة بقليل على رواية البكري ، او على اثر بنائها على رواية ابن عذارى ، وحكم مدة خمسة عشر سنة ، وبما ان الحديث عن عيسى كان مغمورا فى الحديث عن ابي القاسم فقد اعتبر وكأنه مجرد اشارة فى الحديث عن صعود ابي القاسم الى الحكم دون ان تكون له هو نفسه اهمية ذاتية ، فهل هناك اذن رواية تامة تخص عيسى لا من الممكن ان نقرا البكري وان نفهمه وهو يقدم لنا فقط روايتين اثنتين ، احداهما عن عيسى والاخرى عن مدرار ، غير ان الفصل كان مضطربا بعض الشيء ، فلقد كان البكري يدور قافزا من قصة الى اخرى ، مرة الى الامام ، ومرة الى الوراء ، مستعملا فى بعض الاحيان عبارة التبعية والاجتياز Transitional phrases كقوله : « تبعا لبعض المؤرخين الآخرين » ، والذى يظهر ان البكري عند ما كان يفحص مصادره كان البعض منها عنده غامضا او غير تام ، او انه لم يتأن لاستيعاب المصدر كله ، او انه كان قد عزم على الرجوع الى هذه الرواية او تلك ولكنه فى النهاية خشى ذلك، والجزء الاول من القصة المذكورة اعلاه هو قوله : « .. فاجتمع اليه (ابو القاسم) قوم من الصفرية فلما بلغوا اربعين رجلا قدموا على انفسهم عيسى ابن مزيد الاسود وولوه امرهم ، فشرعوا فى بناء سجلماسة ، وذلك سنة اربع ومائة ». وعند هذا الحد رجع البكري الى واحد او اكثر من المصادر المختلفة ليتكلم عن مدرار . ثم لما عاد الى الكلام عن عيسى تكلم عنه فقط كصعوبة اعترضت سبيل وصول ابي القاسم الى الحكم ثم زالت ، فقال : « فاول من وليها عيسى بن مزيد ثم انكر اصحابه الصفرية عليه اشياء ، فقال ابو الخطاب يوما لاصحابه فى مجلس عيسى : السودان كلهم سراق حتى هذا . واشار الى عيسى فاخذوه وشدوه وثاقا الى شجرة

(1) ذكر البكري من قبل ابا القاسم على انه ابن واسول ، وهنا يذكر انه ابن مزلان ، والذى عند ابن خلدون فى العبر ان مزلان اب لواسول وجد لابي القاسم فهو يذكر النسبة هكذا (ابو القاسم سمكو بن واسول بن مصلان بن ابي تازول) ، اما ابن عذارى فيذكر النسبة هكذا (قيل انه ابن واسول وقيل انه ابن مزلان) . المترجم

فى راس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض ، فسمي ذلك الجبل جبل عيسى الى اليوم ، ووليهم خمسة عشر عاما » .

وابن عذارى كان كلامه كذلك غامضا حول السبب الذى من اجله خلع عيسى فقد قال فى جملة مختصرة : « ثم انكروا عليه اشياء » . دون ان يعين ماذا كانت التصرفات المنكرة . وابن خلدون كذلك لم يفصل القول فى هذا الشان تفصيلا عندما قال : « ثم سخطوا عليه اميرهم عيسى ونقموا عليه كثيرا من احواله » . قال ذلك دون ان يحدثنا عما كان يشتمل عليه هذا السلوك المنتقد ، هناك اذن كثير من اسئلة يمكن ان نضعها حول هذه الرواية. فماذا كانت هوية عيسى هذا ؟ وما هي الروابط التى كانت تربطه بمكناسة ؟ لناخذ اولا لقبه (الاسود) الذى يعني فى اللغة الانجليزية « The black » عيسى اذن لم يكن مكناسيا ولكنه كان زنجيا ، فما هي الصفات التى جعلت مكناسة تنتخبه كرئيس اول لها؟ ان الروايات التاريخية لم تحدثنا باي شيء عن الاسباب التى دعت الى انتخابه رئيسا ، ولا عن الاسباب التى دعت الى خلعه بعد هذا الانتخاب ، قد يكون من المقبول ان الرجل كانت له صفاته الدينية التى دعت الى زعامته حينما كانت الصفرية تشكل اول الامر جماعتها الخارجية ، وربما كان من الممكن بالنسبة اليه انه قد وهب ميزته الخاصة فى هذه الخلة ، ان دائرة المعارف الاسلامية تحدثنا عن الخوارج الذين تعد الصفرية فرعا منهم انهم : « اعلنوا ان كل مومن منزه عن صفات النقص ، كامل الدين والخلق فى امكانه ان يرقى باختيار الجماعة الى مرتبة الامامة ولو كان عبدا اسود » وقد حدثنا ابن خلدون : « ان عيسى كان من رؤوس الخوارج » فربما كانت قيمته الخارجية هذه هي التى رفعته الى ذلك المقام من الشرف والسلطة ، وربما كان هناك نزاع على السلطة بين الرؤساء المكناسيين جعلهم يتراضون على ان يكون رجل الدولة ليس واحدا منهم . فهل يحتاج الباحث ان يذهب الى ابعد من هذا ليصل الى الحقيقة فى شان عيسى ؟

اذا كان الجواب بنعم ، فليس ذلك فى ان نحصر انفسنا داخل النصوص التاريخية ، وانما يكون فى ان نتامل الاسئلة التى يطرحها علينا التركيب الاجتماعي للرقعة السجلماسية فى الازمنة الاخيرة. ذلك انه يوجد من بين سكان المغرب ، السكان السود الذين يعرفون حتى اليوم باسم الحراطين ، وهكذا يكون من المهم ان نسال : من اين اتى هذا الرجل الاسود ، عيسى ؟ فهل كان سوداني الاصل ؟ او اوتي به من افريقيا على طريق الجزيرة العربية او مصر ؟ او هو قد ولد فى المغرب ؟ وبتحديد اكثر ، هل يمكن ان ينتسب عيسى لوادي زيز ؟ ان كل هذه الاسئلة ذات اهمية كبرى ، ولكن مع الاسف ان ليست عندنا اية وسيلة للاجابة عنها ، وحتى امكانية عضوية عيسى فى هذه الجملة المحلية السوداء يتوقف على سؤال آخر هو : ما هو اصل الحراطين ؟ يعتبر بعض الكتاب ، ان الحراطين مولدون متحدرون من العبيد السودانيين الذين جلبهم البربر ، واذا كان ذلك حقا، فربما كانوا غير موجودين فى القرن الثامن ، او كانوا موجودين ولكن عددهم كان قليلا ، وهناك آخرون يعتبرونهم من سكان الصحراء السود الاقدمين ، وهناك بعض كتاب آخرين قد احجموا عن ان يجزموا باي راي فى الموضوع ، فكابوت ري Capot Rey يميل تجاه الراي الذى يعتبرهم منحدرين من خليط من الاجناس المختلفة ، وهنري تيراس Henri Terrasse يرى انهم جنس سلاسي قائم بذاته ، على حين ان كوتيي Gautier يرى ان السؤال لا يزال حتى الآن مفتوحا ، ومهما يكن من الامر فان كابوت بريك Cabot Briggs فى اكمل واحدث دراسته لسكان الصحراء فيقول ان التسمية السلالية (1) الغامضة للحراطين هي اقرب ان تكون الى تيدا Tida من الجزء الشرقي من الصحراء . وعلى هذا الاساس الذى ذكره بريك فى مؤلفه الذى هو اشمل دراسة لهذه المسالة ، فانه يمكننا ان نقول ان هذه الجماعة ليست من اعقاب العبيد الذين اتى بهم البرابرة ، بل انها كانت موجودة فى ذلك العهد ، وعلى هذا يمكن ان

---

(1) الذى عند الناصري (الاستقصا ج 4 ص 27 طبعة مصر) ان هذه التسمية ليست سلالية وانما هي تسمية عرفية حيث اصطلح المغاربة على اطلاق لفظ (الحرطاني) على من كان عبدا ثم اعتق ، وعنده ان اصل كلمة (الحرطاني) الحر الثاني ، كان الحر الاصلي حر اول وهذا العتيق حر ثان ، ثم كثر استعماله على الالسنة فقيل (الحرطاني) على ضرب فى التخفيف . وقد ورد فى كلام صاحب (الجيش العرمرم) ص 69 ـ 83 ـ 84 طبعة فاس ، على انشاء الجيش الاسود وترتيب طبقاته فى العهد الاسماعيلي ما يفيد ترجيح ما قاله الناصري عن اصل هذه التسمية . المترجم

تنسب عيسى الى الجماعة التى تعرف الآن باسم الحراطين ، بالرغم من ان هذا الاسم لم يطلق عليها الا حديثا . واذا كان ينتسب الى هذه الجماعة ولم يكن شخصا منقطع النسب ، فانه لا ينبغي ان ينظر الى الرواية التاريخية عنه على انه شخص اسود تال زعامة الكناسيين وكفى ، ولكن بعمق اكثر ، ينبغي ان ننظر اليها فى حدود علاقة الاهالى السود الذين كان ينتسب اليهم بالبرابرة المتحكمين ، فاما ان البرابرة قد فرضوا انفسهم فى وقت من الاوقات على الحراطين ، فذلك شيء لا شك فيه ، ولكن متى كان ذلك ؟ فهل بعد ظهور عيسى او قبله ! ليس لدينا من المستندات التاريخية ما يشير الى هذا الحادث . لقد كان هناك بعض القبائل السود فى العهد الابليني « In Pliny's Time » (1) يسكنون الحدود الجنوبية الموريطانية التى احتلها الرومان ، وقد اكد ذلك سترابو وبطليموس ، وقد اعطى لهذه القبائل اسم البروروسيون The Perorsi ؛ كذلك كانت توجد هناك قبيلة اطلق عليها بعض الكتاب الاقدمين اسم : « The melano Getulians » ومعناه الجيتوليان السود، والجيتوليان (2) انفسهم كانوا برابرة فهل كان هؤلاء الجيتوليان السود تابعين للبرابرة فى ايام الرومان .

ان ذلك ليس ببعيد ، ولكننا لا نجد اي ذكر صريح لذلك فى النصوص التاريخية ، لقد كان من المرجح ان جماعة البيروروسيين « Perorsi » او الفاروسيين « Pharossi » او غيرهم من سكان الصحراء السود كانوا بربريين لسانا ، او على الاقل مزدوجي اللغة ، وقد كنا نستطيع ان نجد فى هذا دليلا لا بأس به على اعتبار ان الجيتوليان السود كانوا مستقلين عن الجيتوليان البرابرة ، لو اننا لم نقف على نص آخر لبلينوس يخالف تمام المخالفة نصه الذى ذكر من قبل فهو فى هذا النص الآخر يقول : (ان جيتوليا كلها تمتد الى نهر النيجر وتفصل ما بين الحبشة وافريقيا) ولا يمكن ان يفهم ان جيتوليا تمتد الى نهر النيجر الا اذا كان الجيتوليان السود داخلين فى العبارة ، ان هناك فجوة من القرون بين هؤلاء المؤلفين الكلاسيكيين وبين الروايات العربية الاولى ، وليس عندنا اي علم عن الفترة التى كان فيها ركاب الجمال يبسطون نفوذهم على الصحراء ، ويعتقدون ان ذلك ابتدا نحو القرن الرابع ، وربما يكون تغلب البرابرة الرحل على سكان وادي زيز السود ، احدى الواحات الكبرى التى تعرضت لهجماتهم، قد دام ما يقرب من اربعة قرون ، واذا رفضنا ان هذا التغلب لم يستمر على هؤلاء السكان مدة اربعة قرون ، فانه يرد علينا السؤال التالي : ما الذى مكنهم من المقاومة ؟ وليس هناك من جواب عن هذا السؤال ، سوى انهم كانوا ذوي حكومة منظمة قوية بتجارة الذهب. والنتيجة التى يجب التسليم بها هي اننا لا نعلم اي شيء عن مركز السكان السود فى ايام عيسى، ولكننا، ولتفسير هذه الروايات التاريخية لانجد اي مفر من ان نفترض انهم كانوا مستقلين، فلو ان جماعة صغيرة من الرعاة نزلوا فجأة فى مقاطعة مستقلة من سجلماسة ، فان هؤلاء الرعاة لا محالة ، اما ان يعترفوا بسلطة الزعيم المحلي ، واما ان يكونوا قد استعدوا من قبل للتغلب عليه ، وهكذا نرى ان تفسير قبول الكناسيين لزعامة رجل السود بمجرد نزولهم كان بكل بساطة ان هؤلاء النازلين كانوا قد اضطروا الى الخضوع الى سلطته اولا ، وحتى اذا ما اصبحت لهم القدرة الكافية استطاعوا ان يجدوا الحجة لخلعه .

---

(1) بليني اوبلينوس فى التعبير اللاتيني ، قائد وحاكم وعالم طبيعي روماني عاش فى القرن الاول من ميلاد المسيح تولى اكثر من منصب مدني وعسكري فى عهد القائد الروماني فيسباسيان Vespasian وقاد الاسطول الروماني غربي البحر الابيض المتوسط،قضى مدة طويلة من عمره منكبا على المطالعة وتحصيل العلم ، اشتهر بكتابه « التاريخ الطبيعي » الذى الفه فى 37 مجلدا ، توفى فى ايطاليا مختنقا بالغازات عند انفجار بركان فيسيفيوس Vesevious فى ستابيا Stabihe سنة 79 ميلادية . المترجم

(2) ذكر فليكس كافيوت فى قاموسه اللاتيني ان جيتوليا Ghetuliae ناحية فى غرب شمال افريقيا ، وقد ذكر الاستاذ عثمان الكعاك (البربر، ص 67) ، ان الجيتوليين هي (جدالة) ، وانها القبيلة البربرية التى كانت تعمر قسطنطينة فى عهد الامبراطورية البربرية الوسطى التى كان على راسها العاهل البربري سيفاكس فى القرن الثالث قبل الميلاد . وقد ذكر البكري (المغرب فى وصف افريقيا والمغرب ص 172) . ان بني جدالة كانوا اقرب القبائل البربرية الى بلاد السودان على ضفاف النيل (النيجر) ، ويذكر ابن خلدون (ج 6 ص 152– 181) فى كلامه على انساب البربر : ان (كدالة) احدى القبائل الصنهاجية الكبرى التى كانت تحتل الصحراء من حدود الحبشة الى بلاد السودان . المترجم

والآن فلنتأمل دين هذا الزعيم الاسود ، انه بالرغم عما يستفاد من الرواية كما يرويها الكتاب المسلمون من انه كان صفريا ، وربما كان رجلا مثاليا في هذا المذهب ، فانه ليس من البعيد انه لم يكن مسلما بالمرة . ذلك ان اسمه (عيسى) هو الاسم العربي لـ Jésus وان هذا الاسم واسم موسى وغيرهما من الاسماء الدينية لما قبل الاسلام تعتبر اسماء لانبياء الله، والمسلمون يستعملون هذه الاسماء كاطلاقات مناسبة لمن يتمسك بدينه ، ومع ذلك ففي الجهات حيث كانت المسيحية قوية او تقوت من جديد ، فان الاسم عيسى قل ما يطلق على اتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ففي مصر مثلا نجد اليوم هذا الاسم اكثر اطلاقا على القبطي او الاغريقي منه على المسلم . وفي القرن الثامن كانت المسيحية لا تزال جد منتشرة في شمال افريقيا (1) الى حد ان الانسان يستغرب ان يكون عيسى هذا غير مسيحي .

ويقول ابن خلدون ان اب عيسى اسلم على يد العرب، والعبارة المستعملة في خصوص اب عيسى هذا هي (مولى) (2) التي يصح ان نترجمها بكلمة « Clint » والتي يمكن ان تعني ذلك الذي يقبل الدخول في الدين الجديد مفضلا له عن الحرب . وتبعا للقانون الاسلامي فان خيارا كهذا يجب ان يعرض على الكفار . والخروج من دين الى دين كما يمكن ان يتخيله المرء ، يكون تقبله اشد قسوة واكثر اثرا في النفس لو لم يكن الجيش الاسلامي دام محتفظا بقوته ، وفي سنة 702 ميلادية (التي ربما كانت زمن وجود اب عيسى) كانت ناحية سجلماسة محتلة من قبل جيش موسى ابن نصير ، غير انه مما لا شك فيه ان سيطرة الجيش على هذه الناحية كانت ضعيفة ، حيث انه كان لا يزال مكلفا بالقيام بفتوحات جديدة ، وفي سنة 739 ثار برابرة شمال الاطلس ضد العرب ونصبوا عليهم ميسرة حاكما مستقلا وكان من الطبيعي ان تفصل هذه الدولة البربرية ناحية سجلماسة ، وان تعلن عن الرجوع الى الدولة القديمة ، وحيث ان اب عيسى كان مولى للعرب لا للبرابرة ، وان ثورة ميسرة وانفصال الصفرية قد شكلا رد فعل بربري ضد السيطرة العربية فمما لا شك فيه ان عيسى شعر بأن البرابرة المتجعين سيكونون حلفاء نافعين فيما لو اراد جيش آخر قوي مثل جيش موسى بن نصير الرجوع الى هذه الناحية . فاذا كان عيسى هو الحاكم الاهلي الذي بنى ، او على الارجح ، اعاد بناء سجلماسة بعد هزيمة اهله من قبل الجيوش الاسلامية ، فقد تكون رغبته انه اراد أن تكون لقومه مركزا اقوى مما كان لهم من قبل ، وربما كان هذا هو السبب الذي ادى من اجله بناء المدينة الى خراب مدن

---

(1) في جملة الاقوال التي نقلها الدكتور حسين مؤنس (فتح العرب للمغرب ص 281) للتدليل على اضمحلال المسيحية في المغرب ابان الفتح الاسلامي قول بيكي : (ويبدو ان البرابرة لم تكن لهم اديان ثابتة قبل الاسلام ، وكانوا وثنيين او يهودا ، وكانوا قد اعتنقوا المسيحية في القرون الاولى ثم نسوها حين اعادوا استقلالهم) . فاذا أضفنا الى ذلك ما ذكره ابن خلدون (العبر ج 4 ص 186) عن دين برابرة الجنوب حين وصول جيوش عقبة من انهم كانوا : (يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية) ، وما نقله اكثر من مؤرخ من المؤرخين المسلمين من ان يليان الغماري وقد كان نصرانيا قدم نصيحته الى عقبة ان لا يذهب الى الاندلس ويترك كفار البرابرة ومجوسهم خلفه ــ فاننا لا نجد اي مستند صحيح لدعوى الكاتب ان المسيحية كانت لاتزال منتشرة في افريقيا الشمالية اثناء القرن الثامن الى حد استغرابه ان يكون عيسى ابن مزيان مسلما لا نصرانيا ؛ ولسنا ندري كيف يعقل ان المسيحية كانت لا تزال منتشرة في افريقيا الشمالية حتى القرن الثامن ، وهو القرن الذي لم تكد العشر سنين الاولى منه تطل على نهايتها حتى اصبح الاسلام ــ بفضل ما قام بالدعوة له الكثير من فقهاء التابعين وعلمائهم ــ غير مقتصر الانتشار على المغرب وحده بل عبر البحر منتقلا الى الاندلس على يد البرابرة المسلمين انفسهم . اما استدلال الكاتب بالاسم (عيسى) على ترجيح نصرانية عيسى فليس فيه شيء من الفناء العلمي ، والا فابن نصير الذي قاد حملة الاسلام الى الاندلس في اوائل القرن الثامن الميلادي لم يكن اسمه عمر ولا ابا بكر ، وانما كان اسمه (موسى)

المترجم

(2) عبارة ابن خلدون (العبر ج 6 ص 130) هي :« وولوا عليهم عيسى بن يزيد الاسود من موالي العرب ورؤوس الخوارج » . فالذي يظهر من هذه العبارة ان ابن خلدون قصد ان عيسى هو الذي من موالي العرب لا اباه .

المترجم

اخرى ، وربما كان بامر عيسى قد انتقل كثير من سكان الجهات الاخرى الى هذه الناحية ، وربما قد نقلوا معهم كذلك مواد البناء ليجعلوا العاصمة قلعة محصنة لا يقهرها عدو ، ومما لا شك فيه ان هذه الثورة الدينية العنصرية التى وقعت هنا وقع مثلها كذلك فى جهات اخرى ، والمكناسيون ولا شك كانوا عازمين على ان يسيطروا على نواحي اخرى بمجرد ما يشعرون انهم قد اصبحت لهم القدرة الكافية على ذلك ، ومن ثم فان تسامحا دينيا بالنسبة اليهم كان جد مفيد ، فاذا كان عيسى مسيحيا فان العذر فى تنحيته عن الحكم ربما كان اقرب الى القبول منه لو كان صفريا ملحدا ، ومما هو قابل للفهم كذلك ان المسلمين لم يكلفوا انفسهم اي مجهود للاحتفاظ بذكرى خضوعهم لحاكم مسيحي . ومهما تكن الصبغة الدينية لعيسى قد حصل ان نهاية امره قد تمت بمساعدة خارجية ، ذلك اننا نلاحظ ان ابا القاسم واتباعه السجلماسيين ليسوا هم الذين اسرعوا بالثورة ضد عيسى ، ولكن ابا الخطاب ، زعيم البرابرة الخوارج الذى كان قد وصل الى سجلماسة بعد ان نال السيطرة العسكرية التامة على الجزء الشرقي من المغرب ، هو الذى كان قد اشار باصبعه الى عيسى وصنع التهمة ضده (1)

---

(1) جاء فى نص البكري عن نهاية عيسى ما يلي « المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب ص 149 » : « فقال ابو الخطاب يوما لاصحابه فى مجلس عيسى : السودان كلهم سراق حتى هذا ، واشار الى عيسى » . وواضح من كلام الكاتب انه حمل ابا الخطاب هذا على ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري الاباضي ، اذ هو الذى نال السيطرة التامة على القيروان وطرابلس ونواحيهما فى المغرب الشرقي بعد ان تغلب على عبد الملك بن ابي الجعد ومن معه من البرابرة سنة 141 هـ . ولكن ابا الخطاب المعافري هذا قتل سنة 144 هـ على يد ابن الاشعث ، فكيف يصح اذن ان يكون البكري قد عنى بابي الخطاب الذى صنع التهمة ضد عيسى ابا الخطاب المعافري وهو الذى كانت وفاته قبل وقوع حادثة عيسى بنحو احدى عشرة سنة ؟ اذ ان نهاية عيسى وولاية ابي القاسم بعده كانت سنة 155 هـ كما نص على ذلك ابن خلدون وابن عذارى . وكلاهما قد ذكر قصة خلع عيسى وشد وثاقه الى شجرة فى راس الجبل حتى مات ، ولكنهما نسبا كل ذلك الى جملة اصحابه ، ولم يرد اي ذكر لابي الخطاب فى مؤلفيهما . فاذا كان ابو القاسم هو اول زعيم اجتمع عليه الصفرية كما ورد ذلك نصا فى كلام ابن عذارى ، وكان اول من حمل قومه على طاعة عيسى ومبايعته كما ورد ذلك نصا فى كلام ابن خلدون ، فان الاقرب الى منطق الحادثة هو ان يكون ابو القاسم هو الذى اشار على الجماعة بأن يفعلوا بعيسى ما فعلوا به . وحينئذ يبقى ورود اسم ابي الخطاب فى رواية البكري امرا مجهول السبب .

المترجم

راجع ابن خلدون ج . 4 . ص 410
طبعة بيروت .
ابن عذارى ج . 1 . ص 82 - 83
الاستقصا . ج . 1 . ص 55-56-57

- يتبع -

ابن رضوان..

للأستاذ عبد القادر زمامة

يحدثنا صاحب بيوتات فاس عن بيت بني رضوان النجاريين الذين عرفوا بالعلم والرياسة في كل من غرناطة . ومالقة . وفاس . على عهد دولة بني مرين في المغرب ، ودولة بني الاحمر في الاندلس ..

وما يزال الى الان اثر لهذا البيت النجاري في اسم درب من دروب مدينة فاس يسمى :
« درب رضاونة » ويحرفونه فيقولون في اللهجة العامية « درب رطاونة »

ولا شك ان اضافة اسم هذا الدرب الى بني رضوان منذ العصر المريني الى الآن يدل على ما كان لهذا البيت من شهرة وجاه توارثهما الاحفاد عن الاجداد طيلة قرون ..!

والمؤرخ المغربي محمد بن الطيب القادري مؤلف كتاب : « نشر المثاني » ينص في النسخة الخطية من هذا الكتاب في ترجمة : « هاشم الطاهري » على انقراض بيت بني رضوان هؤلاء من فاس .. كما ينص على ان آخرهم سكنى وحياة بفاس هاجر الى المدينة المنورة = اوائل القرن الثاني عشر الهجري = وخلف بنتين تزوج هاشم الطاهري المذكور احداهما ..

والحديث الآن منصرف الى شخصية ابي القاسم ابن رضوان احد افراد هذا البيت النجاري الذى يمت الى مالقة بولادته ، والى غرناطة بدراسته ، والى فاس برياسته وشهرته ..

ومن حسن حظ ابي القاسم ابن رضوان انه عاش في عصر كانت فيه اقلام ابي زكرياء السراج .. وابي الوليد ابن الاحمر .. وابي زيد ابن خلدون .. ولسان الدين ابن الخطيب .. لا يجف مدادها من التدوين والتسجيل .. !

وشخصية ابي القاسم ابن رضوان تتجاذبها نواح متعددة من العلم ، والادب ، والرياسة . وكان في كل ناحية يظهر امام معاصريه وكانه فارس الميدان .. مع اتزان وأناة لاسيما في المنصب السياسي الذى كان دائما عرضة للرواجف والروادف المتكررة ...

عرف ابو القاسم نور الحياة في مالقة سنة 718 (1) هـ . وهو عبد الله بن يوسف بن رضوان .. ويحلي ابو الوليد ابن الاحمر في كتابه « مستودع العلامه » (2) ابن رضوان وأباه وجده فيقول :

« شيخنا الفقيه الكاتب صاحب القلم الاعلى ابو القاسم عبد الله بن **القائد** الفقيه يوسف ابن

---

(1) فهرسة السراج مخطوطة ..
(2) ص. 51 ــ ط. تطوان

الفقيه **القاضي الخطيب** رضوان النجاري الخزرجي المالقي المعروف بابن رضوان ». ثم يردف ذلك فيقول: « ووالده يوسف تولى قيادة الديوان .. » ويذكر ان الجد رضوان عرضت عليه وزارة امير مالقة ابي سعيد بن اسماعيل فاعتذر ورضي بمنصب القضاء (3) هنـــاك ..!

ويحدثنا السراج في فهرسته عن نشأة ابي القاسم في مالقة وعن الدروس الاولى التي كان يتلقاها عن ابيه القائد يوسف .. وخاله ابي الحكم عبد الرحمان بن القاضي ابي القاسم ابن ربيع الاشعري .. فهذه نشأة مثالية .. فالوالد قائد والخال استاذ .. وكل من الجد للأب .. وللأم قاض ..!

ثم يحدثنا السراج ـ وهو من تلامذة ابي القاسم ابن رضوان ـ عن شيوخ استاذه فيعدهم واحدا واحدا ويذكر ما اخذه عنهم وتضم هذه القائمة التي ذكرها السراج شيوخا من مالقة . وغرناطة . وفاس . وسلا. وآسفي وغيرها .. فيهم الفقيه ، والمحدث ، والنحوي ، واللغوي ، والاديب ، والصوفي.

فتنوع المعرفة في ذلك العصر كان يحتم ان ينال رجال العلم صنوفا متعددة من العلوم الدينية والادبية مع شيء كثير او قليل من التهذيب الخلقي والسلوك الصوفي ... وقد نقل قائمة شيوخ ابن رضوان الشيخ احمد بابا السوداني في كتابه «نيل الابتهاج » (4)

وعناصر المعارف التي اخذها ابن رضوان كان لها اثر كبير في ثقافته وسلوكه .. كما انها انعكست على آثار قلمه .. فيما بعد .. حينما دخل غمار الحياة في التدريس والتأليف والرياسة ..

والظروف السياسية التي عاش فيها ابو القاسم في كل من مالقة وغرناطة قبل ان يلتحق بالمغرب .. كانت ظروفا دقيقة في تاريخ دولة بني الاحمر .. فامراء غرناطة كانوا يختارون لانفسهم القابا ضخمة.. بينما كان اقاربهم في مالقة يجاذبونهم حبل هذه الالقاب بثورة حينا .. وبكيد ومكر احيانا .. والعدو يتربص الدوائر بالجميع في انتظار النهاية..!

ودولة بني مرين جادة في الدفاع عما بقي في الاندلس .. وتحارب الغزاة برا وبحرا .. لكن راجفة معركة طريف سنة (741 هـ . 1341 م)التي استشهد فيها جماعة من اعلام الاندلس وفي مقدمتهم ابو القاسم ابن جزي شيخ ابن رضوان .. كان لها اكبر الاثر في استئساد الغزاة وجشعهم .. وتسرب الهلع والذعر الى قلوب الاندلسيين ..! اشفاقا من اهوال المستقبل ..

ولعل ابا القاسم نال حظه من الهلع والذعر والاشفاق اثر معركة طريف ... وهو الشاب الذي لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره ..! ولعله قدر ان الحياة بالمغرب في كنف دولة بني مرين ستعطيه فرصة ثمينة لتتميم دراسته اولا .. ونيله المنصب ثانيا .. وهو الذي لم يتول في مالقة غير الشهادة (5)

ويذكر ابن خلدون ان ابن رضوان لحق بمدينة سبتة (6) بعد معركة طريف وبها اتصل بالسلطان ابي الحسن المريني الذي كان بهذه المدينة يعالج آثار النكبة التي حلت بالاسطول والجيش ..

وقد وجد ابن رضوان في ابي الحسن . وفي رجال دولته تقديرا واهتماما ..

فالقاضي ابراهيم التسولي استنابه في القضاء والخطابة ..

وكاتب الدولة عبد المهيمن الحضرمي ادناه واقاده ... وصيره كاتبا من كتاب ديوان الانشاء .. وكان الجو الذي وجده ابن رضوان في بلاط ابي الحسن .. وفي غيره طافحا بالمواهب العلمية والادبية فاستفاد من ذلك .. ولم يترك ذا معرفة الا جلس اليه ولازمه واخذ عنه ... فسمة العصر كانت تعطي للمعرفة طابع الشفوف والاعتبار والجاه ..

كما ان المنهاج السياسي الذي كان ابو الحسن ينهجه كان يدعوه الى ان يجعل من بلاط المريني مجمعا لاعلام الفكر .. ليستعين بهم على توحيد اقطار المغرب الثلاثة .. كما كان الحال على عهد الموحدين ..

وقضى ابن رضوان سنوات في ديوان الانشاء يعمل تحت رياسة شيخ كاتب الدولة عبد المهيمن

---

(3) المصدر السابق ص 52

(4) على هامش الديباج لابن فرحون ص. 145 ـ القاهرة 1351 هـ .

(5) نثير الجمان لابن الاحمر « مخطوط »

(6) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ص. 41 ـ القاهرة سنة 1951 م.

الحضرمي .. وهذه السنوات هي الواقعة بين تاريخ معركة طريف سنة 741 هـ. وسنة 748 هـ. التي قاد فيها ابو الحسن حملته لتوحيد اقطار المغرب ووصل فيها الى تونس ..

وهناك يأخذ الكلمة ابن خلدون ليحدثنا عن هذه الحملة التي شاهد حوادثها في بلاده تونس .. وتعرف على اسبابها ونتائجها ... واتصل برجالها ومن ضمنهم ابو القاسم ابن رضوان الذي كان ضمن العلماء الذين صحبوا ابا الحسن (7) ..

ويظهر ابن خلدون كان معجبا « بصاحبه » ابن رضوان فقال عنه : « انه من مفاخر المغرب » كما يظهر ان ابا القاسم ابن رضوان حظي عند ابي الحسن في هذه الرحلة فأدناه منه يؤم به في الصلاة ... ويخطب له على المنابر ..

وانتهى امر الحملة بما هو معروف في كتب التاريخ ... بعد اهوال ومحن اظهر فيها ابو القاسم اخلاصا لابي الحسن وتجلدا .. بخلاف شيخه ورئيسه عبد المهيمن الحضرمي الذي غلبه الذعر فاختفى ملتجئا الى دار ابن خلدون (8) .. الامر الذي اسخط اباالحسن فأعرض عنه وجعل كتابةالعلامة لغيره ... ثم توفي عبد المهيمن بالطاعون الجارف الذي اجتاح البلاد سنة 749 هـ . ورجع ابو الحسن الى المغرب تاركا ابنه ابا الفضل ليعالجالاوضاع الناتجة عن ثورة الاعراب .. وجعل ابا القاسم كاتبا له ومعينا ..

لكن روادف النكبات توالت على ابي الحسن المريني ومشاريعه .. واسطوله .. وعرشه .. فاضطر ابنه ابو الفضل الى العودة من تونس الى المغرب .. واضطر ابو القاسم ابن رضوان بعد سنة من الانتظار في تونس الى مغادرتها بحرا الى الاندلس وفي (المرية) مكث مع ثلة من اعوان السلطانالمنكوب ينتظرون نتيجة الصراع القائم بين ابي عنان .. وابي الحسن .

وفي فترة الانتظار هاته يقول ابن خلدون ان سلطان غرناطة ابا الحجاج يوسف ابن الاحمر دعاه الى الالتحاق بكتاب دولته .. فامتنع ..!

وعند نهاية الصراع .. وفد ابو القاسم على ابي عنان فأحسن استقباله لما يعهده فيه ايام والده من اخلاص ومقدرة واستقامة واتزان .. وذلك سنة 752 هـ .

وكما كان الشأن في دولة ابي الحسن حيث كان عبد المهيمن الحضرمي هو كاتب الدولة الاول .. وغيره تابع له .. فان ابا عنان جعل من رفيقه وحاجبه ابا عبد الله محمد ابن ابي عمرو (9) كاتب دولته الاول ..

وقتل ابن رضوان في البلاط المريني على عهد ابي عنان مع ابن ابي عمرو .. ما مثله على عهد ابي الحسن . مع عبد المهيمن الحضرمي ..

لكن ابا عنان ارسل سنة 754 هـ ابن ابي عمرو حاكما على بجاية فخلا الجو لابن رضوان واذ ذاك اصبح كاتب الدولة الاول لمدة ثلاث سنوات ..

ولعله من المناسب هنا ان نذكر عن كاتب الدولة الاول في العصر المريني انه هو الكاتب الذي كان يدعى اذ ذاك بصاحب العلامة .. وهذه العلامة تعني امضاء خاصا بحروف متميزة يكون الكتاب بسببها نافذ المفعول عند كل من وصله من رجال الدولة وغيرهم .... (10)

ولعل ابا عنان تأثر بأقوال منافسي ابي القاسم .. وما اكثرهم في بلاطه ..! وكان هذا البلاط حافلا بالاعلام .. من رجال السيف .. والقلم .. والسياسة ...

فهناك النابغة ابن خلدون ..
والكاتب ابو عبد الله ابن جزي ..
واسرة بني ابي مرين ..

وهناك غير هؤلاء .. ممن كان من المألوف المعروف في ذلك العصر ان ينافسوا ان لم يحسدوا رجلا مثلا مثل ابن رضوان ..

---

(7) المصدر السابق
(8) المصدر السابق ص 40
(9) ترجمه ابو الوليد ابن الاحمر في نثير الجمان « مخطوط » وابن القاضي في درة الحجال ج 1 ص 283
(10) انظر ما كتبه في موضوع العلامة . ابو الوليدابن الاحمر في كتابه مستودع العلامة ص 20

فلا غرابة اذا علمنا ان ابا عنان ازاح ابن رضوان عن كتابة العلامة .. وتركه ضمن كتاب الدولــة ..!

ومات ابو عنان سنة 759 هـ وتولى على عرش بني مرين بعده ثمانية ملوك .. وابــن رضــوان فى منصبه متنقلا بين كتابة العلامة .. ومطلق الكتابة.. فى المدة بين سنــة 759 هـ. وسنــة 783 هـ التى توفى فيها ابو القاسم بمدينة آزمور ... وهو فى طريقه الى مراكش صحبة السلطــان ابي العبــاس احمد بن ابي سالم المريني .. (11)

فابن رضوان خدم دولة بني مريــن اكثر مــن اربعين سنة فمنذ اتصاله بالسلطان ابي الحســن 741 هـ فى سبتة الى ان توفى سنة 783 هـ وهو يشاهد شريط الاحداث السياسية .. ويتصــل بالشخصيات العلمية .. وعرف فى هذه المدة عشرة ملوك .. وطوحت به الايام ما بين سبتة . وفاس . وتلمســان . وتونس . والمرية .. واخيرا : آزمور ..

فهل كانت هذه الاحداث التى مرت بابن رضوان كافية لتدفعه كما دفعت معاصرين امثال لسان الدين ابن الخطيب. وابي زيد ابن خلــدون ــ وقد كــان فى وضعية شبيهة بوضعيتــه من بعض الوجــوه ــ الى تسجيل تجاربه فى السياسة وافكاره وخواطــره ومشاهداته ... ؟ بالاضافــة الى العمــل الرســمي الرتيب فى كتابة رسائل الدولة .. ونظم قصائــد المناســبات فى الامداح والتهاني والوصفيات ...

هنا يسكت المؤرخون الذين تناولوا حياة ابن رضوان وفى ضمنهم ابن خلــدون الــذى عــاصره وعرف من اخباره الشيء الكثير (12) ... ويتكلم ابو العباس المقري فى كتابه (روضة الآس) عنــد ترجمته لابي عبد الله محمد بن يوسـف ابن رضــوان النجاري .. وهو من احفاد ابي القاسم ابن رضوان .. وكان من شعراء فاس .. الذين لقيهم المقري فى رحلته لمراكش سنة 1009 هـ

يقول المقري عن محمد بن يوسف ابن رضوان :

« لقيته بمراكش حماها الله .. وهو من ذرية الامام رئيــس الكتاب الشهير ابي القاسم ابن رضوان ... صاحب المؤلف فى (**السياسة**) وغيره.. » (13)

ويتكلم ايضا الشيخ احمد بابــا السوداني فى كتابه (نيل الابتهاج) فيختم ترجمته لابي القاســم ابن رضوان بقوله :

« وله تاليف حسن فى (**السياسة**) السلطانية وكتاب (السياسة) هذا يسمى :

« الشهب اللامعة فى السياسة النافعة »

وتوجد من هذا الكتاب عدة نسخ ..

ففى الخزانة العامة بالرباط توجــد نسخ ذات هذه الارقام : ف 92 ــ و ــ د . 729 ــ و ــ ج.908

وتوجد نسخ اخرى فى مكاتب خاصة ..

والمحور الذى تدور عليه فصول هذا الكتــاب هو المحور الخلقي والسلوك العملي لرجال السلطة والحكم ..

وهذا الكتاب من قبيــل كتــاب « التــاج » للجاحظ .. وسراج الملوك ، للطرطوشي ... غير ان به نقولا هامة عن كتب نادرة او مفقودة ...

اما شعر ابي رضوان ونثره فمنه الشيء الكثير وهو جدير بالجمع والدراســة .. وكذلــك فهرستــه المذكورة فى فهرس الفهارس ج 1 ص 331

ولا اودع ابن رضوان دون ان اشير الى شئين يتعلقان به فى فاس :

1) ان صاحب بيوتات فاس يشير الى عرصة كان يملكها ابو القاسم ابن رضوان مجــاورة لعيــن بوخزر .. ولعل ابا القاسم كان يسكن بها.. وموقعها الآن بردوس الرحى ..

(2) يشير صاحب بيوتات فاس الى اسرة اخرى من بني رضوان غير بني رضوان النجاريين المالقيين.. الذين منهم ابو القاسم ابن رضوان .. بل هم مــن قبيل آخر ومنهم شيخ ابن الاحمر عثمان بن رضوان الوزروالي .. المتوفى سنة 798 هـ وهو مترجم فى السلوة ج 3 ص 309

فاس : عبد القادر زمامه

---

(11) ابن خلدون كتاب التعريف ص 44 ، وانظر ابن القاضي فى جذوة الاقتباس الذى ذكر وفــاة ابــن رضوان فى مدينة (آنفا) وذكره فى درة الحجــال ج 2 ص 461 ولم يشر الى مكان الوفاة .. وصاحب بيوتات فاس يجعل وفاته سنة 782 هـ بآنفــا ..

(12) كتاب التعريف . القاهرة ، 1951 م.

(13) روضة الآس ص 338 ــ الرباط ، 1964 م.

حسانة التميمية

هل هي بنت ابن المخشى ؟

للمستشرق الاسباني الدكتور الياس تيرس

ترجمة وتعليق الدكتور عبد السلام الهراس

« الدكتور الياس تيرس استاذ الادب العربي والدراسات الاسلامية بكلية الآداب — جامعة مدريد ، ورئيس لهذا القسم خلفا للمستشرق المشهور غرسيا كومس . ويحتل الدكتور تيرس مكانة مرموقة في الاستشراق باسبانيا ، وقد أشرف على عدة رسائل للدكتوراه اعدها طلاب عرب وغير عرب في موضوعات عربية واسلامية ، وله في قلوب تلامذته احترام وتقدير لما يتحلى به من فضائل « المشيخة » ، وهو يحب العربية والعرب ويعطف على قضاياهم ، كما انه يحب المغرب وله فيه ذكريات حية وزملاء واصدقاء .

والرجل بحوث قيمة في مجال اختصاصه ، نشر بعضها : وهي تمتاز بالشمول والدقة والموضوعية والتواضع ، والى جانب ذلك فهو فنان موسيقي ، يعيش بين مشاغل الابحاث والقيثارة التي يستسلم لها استسلام الصوفي ، وان كان الجانب الاول يطغى على وقته خصوصا بعد أن تجاوز الخمسين من عمره منذ سنتين .

وهذا البحث الذي نقدمه للقراء هو جزء من بحث قيم نشره الدكتور تيرس في مجلة الاندلس Al-Andalus — وهو أحد المسؤولين عنها — المجلد 26 سنة 1961»

كان لابي المخشي ابنة تدعى حسانة ، التي لا نعرف عنها الا الشيء القليل ، اذ لم يحتفظ بذكراها — فيما نعلم — الا في ترجمة شديدة الايجاز عقدها لها ابن الابار في تكملته ، حيث يقول (1) .

« حسانة بنت ابي المخشي عاصم بن زيد .. كانت شاعرة مطبوعة ونظمت قصائد في مدح الامير عبد الرحمن (الثاني) ابن الحكم ، ذكر ذلك ابو عامر السالمي اعتمادا على اخبارها الواردة لدى ابن عياد » وادينا بصفة متوازية ، اخبار تتصل بشاعرة اخرى تحمل نفس الاسم ، وبالتدقيق تعاصر السالفة التي يقدمها المقري في النص التالي : (2) .

« ومنهن حسانة التميمية بنت ابي الحسين الشاعر ، تادبت وتعلمت الشعر فلما مات ابوها كتبت الى الحكم ، وهي اذ ذاك بكر لم تتزوج :

انى اليك ابا العاصي موجعة
ابا الحسين سقته الواكف الديم
قد كنت ارتع في نعماه عاكفة
فاليوم آوي الى نعماك يا حكم

---

1) ترجمة النص الاسباني للعربي ، والنص العربي الاصيل في التكملة رقم الترجمة 2851 تحقيق الاركون وبالنثيا ، وليس بين يدي ، وعلى كل ، فان هذا النص هو نفسه ، تقريبا ، الذي اوردته في التعليق (1) .

2) نفح الطيب 5/299 — 301 ، ط القاهرة .

انت الامام الذي انقاد الانام لـــــه
وملكته مقاليد النهـــى الامـــم
لا شيء اخشى اذا ما كنت لي كنفا
آوي اليه ولا يعروني العـــدم
لا زلت بالعـــزة القعســاء مرتديـا
حتى تذل اليك العرب والعجــم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه ، وامر لها باجراء مرتب ، وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن .

ويحكى انها وفدت على ابنه عبد الرحمن بشكية من عامله جابر بن لبيد (3) والي البيرة ، وكان الحكم قد وقع لها بخط يده تحرير أملاكها وحملها في ذلك على البر والاكرام ، فتوسلت الى جابر بخط الحكم ، فلم يفدها ، فدخلت الى الامام عبد الرحمن ، فأقامت بفنائه وتلطفت مع بعض نسائه ، حتى اوصلتها اليه ، وهو في حال طرب وسرور ، فانتسبت اليه فعرفها وعرف أباها ثم أنشدته :

الى ذي الندى والمجد سارت ركائبي
على شحط تصلـى بنـار الهواجـــر
ليجبر صدعـي ، انـه خيـر جابـر
ويمنعني من ذي الظلامـة « جابـر »
فاني وأيتامـي بقبضــة كفــه
كذي ريش اضحى في مخالب كاســر
جدير لمثلـي ان يقـال مروعـــة
لموت ابي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حيا لمـا اعتـدى
علي زمان باطـش بطـش قـــادر
أيمحو الذي خطتـه يمنـاه جابـــر
لقد سام بالاملاك احدى الكبائـــر

ولما فرغت رفعت اليه خط والـده ، وحكت جميع امرها ، فرق لها ، واخذ خط أبيه فقبله ووضعه على عينيه ، وقال : تعدى ابن لبيد طوره حتـى رام نقض راي الحكم ، وحسبنا ان نسلك سبيله بعده ، ونحفظ بعد موته عهده ، انصرفي يا حسانة ، فقد عزلته لك ، ووقع لها بمثل توقيع أبيه الحكم فقبلت يده ، وامر لها بجائزة ، فانصرفت وبعثت اليه بقصيدة منها :

ابن الهشامين (4) خير الناس ماثرة
وخير منتجـع يومــا لــرواد
ان هز يوم الوغى اثناء صعدتـــه
روى انابيبها من صـدق فرصــاد
قل للامام ايا خير الورى نسبـا
مقابـلا بـين آباء واجـــداد
جودت طبعي ولم ترض الظلامة لي
فهاك فضـل ثنـاء رائح غـــاد
فان اقمت ففي نعمـاك عاطفـــة
وان رحلت فقد زودتنـي زادي »

هذا هو النص الكامل الذي يقدمه لنا المقري ، وهذه المصادر تكون كل ما استطعنا ان نصل اليه حول حسانة التميمية .

بالنظر الى النصوص المعروضة ، وبـــدون زيادة عناصر يمكن ان تساعدنا فان القارىء يشعـر بميل الى أن يتصور الى أن حسانة التميمية قد تكـون ابنة ابي المخشى التي رأيناها منصوصا عليهـا في تكملة ابن الابار . بتأكيد ان كلا المراتين تتفق في النقاط التالية :

1 — النسبة او الاصل القبلي (فكلتاهما تنتمي الى نسب تميم) .

2 — الموطن (فكلتاهما من البيرة) .

3 — العصر (كل منهما عاشت في فترة امـارة الحكم وعبد الرحمن الثاني) .

4 — كونهما شاعرتين (فكلتاهما قدمت قصائد مدحية للامراء) .

---

3) عن هذه الشخصية يمكن ان تنظر : العقد الفريد 365/2 . ط . بولاق (1293) ، اخبار مجموعـة 129 = 116 ، البيان المغرب ، لابن عذاري ، 81/2 ط دوزي (ترجمة فاكنان 128/2) . والمقري 300/5 .

4) يقول عبد الرحمن الثاني عن نفسه في قصيدة منسوبة له في الفخر :
انا ابن الهاشمين .. (انظر الياس تيرس : ابن الشمر ، شاعر منجم في بلاط عبد الرحمن الثاني ، مجلة الاندلس عدد 24 سنة 1959 صفحة 459 . قلت : وانظر : اعمال الاعلام ص 18 — 19 ، نشر ليفي بروفنسال .

بناء على هذه المطابقات ، الواضحة وذات دلالة، قد يمكن لنا ان نستنتج الى ان النصين المدروسين يشيران الى شخصية وحيدة وبالذات ، يعني تتعلق بابنة أبي المخشي .

لو امكن ان يكون لنا تاكيد بذلك لكان مصدرا ذا قيمة بالنسبة لنا ، ذلك انه سيحملنا ان نقبل باستسلام وبكل وضوح التاريخ الذي يورده ابن سعيد لوفاة ذلك الشاعر (5) لانه ، حسب نص المقري ، نرى بأن والد حسانة قد توفي في فترة امارة الحكم الاول .

وواضح ، باديء ذي بدء ان هذا التوحيد بين الشخصيتين تعارض النسبة العائلية المنصوص عليها في النصوص : فواحدة ابنة الشاعر أبي المخشي والاخرى ابنة الشاعر أبي الحسين ، ولكن ما زلنا هنا يمكن الوصول الى تفسير معقول : ذلك ان الكنية « ابا المخشي » ليست معتادة بين العرب ، بالضبط ، ولغرابتها شكوا ، احيانا ، في نقلها ، وهكذا نجد ، مثلا مكتوبا : « ابو المحشي » في التكملة « ابو المخشبي » في الاحاطة ، وبدون تعسف يمكن قبول بأن ابا الحسين والد حسانة التميمية — الشاعر الذي ليس لنا عنه ، من جهة اخرى ، اي ذكر او اشارة — وقد وقع ان حرف الى ابي المخشي من قبل النساخ ، هو التحريف الذي يفسر بسهولة في دراسة الكتابة العربية القديمة غير أنه في هذه النقطة تبرز لنا صعوبة لا نستطيع ان نجد لها تفسيرا مقبولا : ذلك انه في البيت الاول من القصيدة الاولى المنسوبة لحسانة التميمية يبدو اسم والدها ابا الحسين ، لو نحن جعلنا مكانه اسم أبي المخشي لاختل النظام الداخلي للوزن الشعري الذي يفرضه بحر البسيط الذي نظمت القصيدة عليه ، لهذا يجب ان نسلم بقراءة « أبا الحسين » فهي الصحيحة هنا ، وبالتالي فالاسم هذا هو الاصيل . ويمكن أن يكون قد وقع ايضا ان يكون للشاعر كنيتان مختلفتان : ابو المخشي وأبو الحسين ، ولكن هذا امر لا نعرفه ، الامر الذي يجعلنا ملزمين — على الاقل ما دام لم يظهر لنا مصادر تثبت لنا العكس — بالاعتراف بانه في النصوص المذكورة سالفا يتعلق الامر بشاعرتين مختلفتين .

التعليق :

1 — انه ابو المخشي وليس ابا الحسين او ابا المحشي ابا المخشبي

بدليل النص الوارد في تكملة ابن الابار نسخة الخزانة الملكية ص 420 حيث يقول :

« حسانة بنت أبي المخشي عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن غدير بن زيد العبادي التميمي كانت شاعرة مطبوعة ومدحت الامير عبد الرحمن بن الحكم ذكر (ذلك) (6) ابو عامر السالمي وفي خبرها عن ابن حيان » . وهذه النسخة محررة مضبوطة ، كانت في ملك سعيد بن حكم القرشي أمير منورقة وقد قابلها على نسخة المؤلف مباشرة محمد بن ابي بكر الانصاري التلمساني تحت اشراف الامير المذكور . والنسخة مكتوبة بخط محمد بن احمد الفهري ابن الجلاب المتوفى بتونس سنة 664 هـ (1266 م) الذي ساهم في المقابلة والتصحيح بالاشتراك مع الانصاري المذكور .

فاذن نحن نملك نسخة طبق الاصل من نسخة المؤلف المحررة المعتمدة وبذلك يكون اكتشاف الدكتور تيرس ان حسانة التميمية هي ابنة ابي المخشي صحيح، واستنتاجاته العلمية الرصينة قد انتهت به الى ما ينبغي ان يقطع كل شك بعد العثور على هذا النص الموثق لان ابن الابار مؤرخ معتمد .

2 — اما الصعوبة التي تعترض توحيد الكنيتين على أساس أن أبا الحسين قد دخله تحريف على يد النساخ ولم يجد لها تأويلا او تفسيرا مقبولا علميا فان استخرجناه يؤيده في ذلك الافتراض الذي افترضه النص وهو انه قد يكون للشاعر كنيتان : ابو الحسين وابو المخشي ، لانه ، أي النص ، صريح لا يدع اي شك في ان « ابا المخشي » صحيح وانه بريء من كل تحريف . والمخرج الوحيد من الصعوبة التي يضعها امامنا البيت الذي ينكر وزنه اين نحن وضعنا « أبا المخشي » بدل « ابي الحسين » هو أن ندعم ذلك الافتراض ، فقد يكون الشاعر الوالد كان يكنى بأبي الحسين ، ثم عندما تعرض لتجربة العمى القاسية ونظم تلك القصيدة

5) انظر مجلة الاندلس عدد 26 ص 240 ، والمغرب لابن سعيد 124/2 .
6) التكملة الخزانة الملكية ، رقم 1411

الرائعة التي يبكي فيها بصره لقب بأبي المخشي لقوله :

لم يزل في كل مخشي الــردى
يصطلي الحرب ويجتاب الدجى

فلعل ورود لفظة « مخشي » جعل الناس يطالبون عليه هذه الكنية الجديدة ، وبذلك يمكن ان نجد تفسيرا مقبولا بالاضافة الى الحجج البينة التي ساقها الدكتور تيرس للتدليل على أن الشخصيتين ــ الشاعرتين ــ شخصية واحدة وهي حسانة التميمية بنت أبي المخشي، خصوصا وأنه ، لحد الان لا يعرف في هذا العصر بالذات شاعر يكنى بأبي الحسين ، وله ابنة شاعرة .. (7)

---

7) انظر الدكتور هيكل ، الادب الاندلسي ص 109 ، حيث يذكر « أبا الحسين التميمي » من شعراء هــذا العصر !

تطوان ــ د. عبد السلام الهراس





ان العمل الشعري عندنا فى المغرب لا يزال فى طور التفتح ومرحلة التبرعم يتطلع الى الحيـــاة ، ويريد ان يستوي على قدمية ليلحق بركب شقيقـــه فى الشرق ، ولكن ليس معنى هـــذا ان اعمالنـــا الشعرية تخلو بتاتا من الجودة ، بل منها ما يمكن ان نعده فى عداد الاعمال الناضجة التى تتوفر عليها كل القيم المطلوبة فى العملية الشعرية .

وليس عندي من شك ان ما تقرؤه من هـــذه المحاولات لجل الشباب المتوثب الى خوض ميـــدان القريض ينقصها كثير من الصقل ، وتعوزها المعانـــاة التجريبية والابعاد النفسية ، والثقافة المتراحبة ثم اللحظة الحساسة الشفافة التى تبـــرز احســـاس الشاعر فى اسمى صورته البشرية . واروع مظهره الانســاني ، ولذلك فهذه المحاولات تكاد تكون فقيرة من اهم المقومات الشعرية من بينها حرارة العاطفـــة والاصالة الفنية الحقيقية .

وان المستقصى لشعرنا اليوم لا يتردد فى ان يحصره فى مدرستين ليس الا :

ا ــ المدرسة الكلاسيكية التى لا يرى روادهـــا خيرا فى الاقلاع عن القديم ، فهي تنـزع منـــزع المحافظة على الشكل والمحتوى .

ب ــ المدرسة الجديدة وهي تتفرع الى فرعين اثنين : مدرسة الشعر المرسل التى يلتزم اصحابهـــا التفعيلة ، ويفتتون الصـــورة الايقاعيـــة القديمـــة ، ويتصرفون فى توزيع القافية حسب ما تمليه عليهـــم لحظة المخاض الشعري .

ومدرسة الشعر المنثور التى اعتقد ممثلوها ان الشعر الحق هو رفض القواعد ووضع الكلمـــات بعضها تحت بعض لتوهم القارىء انها شعر ، ولكنهـــا ليست بشعر لانها لا تتوفر على العمود الفقري للشعر الا وهو النغم .

ولو جاز ان نسمي هذا النوع من النثر شعـــرا لاطلقنا على بعض كتابات الرافعي (1) وحسن عفيف (2) وسعيد عقل (3) وغيرهم شعرا ، ولاصبحنا لحظتئذ فى حيرة من امرنا لا نفرق بين الشعر والنثر .

وفى المغرب ثلة من اولئك الشداة انسحب بعض افرادها من الميدان اعترافا منهم بالقصور الى ميادين لا يتطلب فى احدها الا تكرار الكلمات ، والقيام بصناعة الفسيفـــاء اللفظية الجوفاء .

ومهما يكن من امر فالشعر عندنا من غير مغالاة لا يزال جله طفلا رضيعا نرجو فى مستقبل الايام ان يستد عوده فيصير عملاقا بعد ان يكون قد زود نفسه بأصالة معرفية ، ومتانة ثقافية ، وعمق اطلاع وصدق احساس وخبرة فى جميع اشتات المواجيد النفسية .

ونحن نقول هذا ونستثني ــ والاستثنـــاء يؤكـــد القاعدة كما يقولون ــ بعض الشعراء الذين ينتمون الى الاتجاه الاتباعي والتجديدي ، اولئك رزقوا موهبة فذة،

(1) اوراق الورد مثلا. (2) كتابه الرقيق : العبيد او الزنبقة او وحيد او غيره . (3) كاس لخمر وهـــو كتاب يجمع بين دفتيه احاديث ادبية شيقـــة وليـــس ديوانا كما يتبادر الى الذهن .

وملكة فريدة تساعدهم على رصف مراملك الكلمـــات ووضعها في انسجام مع الجو العام المنغوم مما يشيع في المناخ عبقا مسكرا واريجا منعشا يحملك الى اجواء من السحر كانما الدنيا هنالك من صنع ريشة خلاقة مبدعة .

انطلاقا من هذا التمهيد البسيط ، نود ان ندير الحديث عن شاعر مغربي فحل يعتبر على راس هذه الجماعة القليلة من الشعراء الافـذاذ الكلاسيكييـن ، وبالتالي يعتبر الشاعر العملاق الذى كان له نصيب الاسد في بعث الشعر المغربي من مرقده بعـد ان ران عليه الجمود والاسفاف والتصنع .

انه الوزير الراحل محمد بن عبد القـادر ابـن موسى ، وهو ينتمي الى اسرة مراكشيـة ، كب عـلى المطالعة والدراسة فوعى من معارف عصره رصيـــدا ضخما ، وقد اعانته على ذلك حافظته النيرة وذكـاؤه الثاقب . وبعد ان اتم دراسته على شيوخ العصـــر بجامعة القرويين انتقل الى الشمال ، وما لبث بعد ذلك ان اصبح امينا بجمرك مدينة العرائش. وفى 27 جمادى الاولى 1367 موافق 8 ابريل 1948 (1) تـولى وزارة الاوقاف الاسلامية في الحكومة الخليفية سابقا ، وفى تاريخ 9 جمادى الاولى 1374 الموافق 4 يناير 1955(2) تعين عضوا بالمجلس الخليفي الخاص ، وفى يوم السبت 6 نونبر 1965 توفى بتطوان وسنه تنـاهز الخامســة والثمانين بعد مرض الزمه الفراش .

مات اديبنا الوزير صاحب القلـــم المعطاء في مضماري الشعر الجيد الرصين والنثر الفني الاصيل بعد ان اعطى من نفسه الشيء الكثير ، وتبوا مكانــة عليا في دنيا الادب ، بيد انه مضى صامتا الى قبره من غير صخب ولا ضجيج كما كان صامتا في حياته يعيش بعيدا عن اسباب التظاهر لا تستثيـره الشهـرة كمـا تستثير الكثيرين .

مضى الشاعر في صمت الى مرقده الاخير ، فلا مجلات (3) ولا جرائد ولا اذاعات نعته الى النـاس او خصصت له ـ وذلك اقل ما يمكن القيام به ـ اطارا في زاوية من زواياها المهملة او كلمات عابرة كما لو كان هذا الرجل الفذ غفلا لم يضفر الكلمات ورودا ، ويهد الحروف زهورا ، ويقدم الخاطرات قرنفلا .

ومع كل هذا العقوق والاهمال سيظل ابن موسى يحتل اخيلة من عرفوه ويسكن نبضـات قـلوب مـن استطابوا ريشته البهية ، وسيتصفه التاريخ ليضمـه الى مصاف رجاله الخالدين :

لا تبكه فاليوم بدء حيـاتـه
ان الاديب حياتـه بمماتـه

وابن موسى شاعر يمثل المدرسة الكلاسيـكية ، يضرب في قالب الشعراء القـدامى مثـــل المتنبـي والبحتري وابن زيـدون واضرابهـم مـن مسيـــرة الشعر العربي ، فشعره اذن تقليدي لم تمتد مضامينه في اغلب الاحيان الى آفاق جديدة تبلور الابعـــاد الحضارية للقرن العشرين ، وقضفاضيـة القطـــاع التقدمي الحديث ، ورغم هذا المنحى الاتبـاعي فان شعره يحتضن حـرارة عاطفـة ، وذوب شعـــور ، وانسياب حساس ، يقف قارئه امـامه في ظمـــا والتياع ، يجد صدى نفسه منعكسا عليه في قـــوة ابداعية خلاقة تشق طريقها نحو الكمال .

وبجانب هذا يكتسي عمله الشعري فيما يتصل بالوشاح الخارجي جزالة اللفظ ومتانـة التركيب ، وجودة التعبير ، وروعة اللفظـة الشعـــرية التى يستعملها في موضعها الملائم للسـياق الشعري ممـا يبرهن عن الخصب الذهني والثـــراء اللغـــوي ، وشفافية الذوق الادبي .

واذا كان عبد العزيز القشتالي (ت سنة 1032) وابو علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت سنة 1102) وابو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكـور (ت سنـة 1120) شعراء افذاذا عملوا في الحقل الشعري في الادب المغربي القديم ومثلـوا المـدرسة الشعريـــة

---

(1) اعتمدنا في ذلك على تاريخ صـدور ظهيـــر تعيينه بالعربية والاسبانية .

(2) الجريدة الرسمية رقم 1 تاريخ 7 يناير 1955

(3) نشير الى ان الاستاذ الكبير عبد الله كنون تفضل فقدم لقراء هذه المجلة ـ العدد الرابع ـ السنة التاسعة ـ شوال 1375 ـ فبراير 1966 ـ قصيـــدة عصماء للشاعر في مدح المغفور له جلالة الملك سيدي محمد الخامس بمناسبة عودته من المنفى ، وقد المـع الاستاذ ـ جزاه الله خيرا عن العلــم والادب ـ في تمهيده للقصيدة الى ما يلقاه الاديب عندنا من اهمال في حياته ومماته ، وها نحن اليوم نرجو مـــن وزارة الثقافة والجمعيات الادبية وغيرها مما لها مســـــس بالعلم والادب ان تولى الفقيد الشاعر ما يستحقـــه من الاهتمـــام .

المشرقية ، فان ابن موسى يشخص مدرسة اولئك وغيرهم من اقطاب الشعر المغربي القديم خير تشخيص بحيث يعطى لها الصورة المثلى من حيث المعنى والمبنى ، بل قد يبذهم فى بعض اعماله الشعرية . وذلك لما يخوضه من تجربة شعرية رائعة تحفل بالمعاناة ، ولما يحس فى اعماقه من سمو فى الادراك وخفة فى الوجدان ودغدغة فى الشعور ، ونلمس كل ذلك فى المدح اذا مدح ، وفى الرثاء اذا رثى ، وفى الغزل اذا تغزل .

وبعبارة جامعة مانعة : انه الشعري - رغما عن انه تجاوبت فى رحابه اصداء الاولين - يتنفس فيه صدق العاطفة البدية، ورهافة الشعور الخير ، واللفتة الانسانية ، وتتوهج فى مجموعه اصالة الدقة فى الاداء الديباجة الحية .

وبعد هذا يحين اللقاء الاول - وستتوالى لقاءات اخر - مع شاعرنا الوزير ابن موسى فى قصيدته المقيفة « الاسير السائل » التى تتحدث عن فتاة مشيقة القوام ناعمة جميلة متى برزت اثارت بضياء جمالها كسوفا فى البدور، وهي تتحرك فيتثنى قدها فى روعة تشير على عشاق الجمال بالركوع فى محرابه الشهي .

واذا افتر ثغرها عن ابتسامة اسرت ، ومنعت ذوي الصبابة من الوصل ، وطرفها الجميل يستلب القلوب ، ويحوم حول المقاتل ليصيبها بسحره ، ومتى نظر هذا الطرف الجميل الى العيون سقاها خمرا فثملت وهفت الى السبات :

وناعمة متى سفرت اثارت
كسوفا فى البدور السافرات

تميس قناتها والبان زاه
فيومىء بالركوع الى الفتاة

اذا ابتسمت رمت والموت فان
يذود الهيم عن ماء الحياة

فتنتظم القلوب بطرف ريم
يحوم على المقاتل فى اناة

متى روى المحاجر خندريسا
هفا ارق المحاجر بالسبات

ويسالها الاسير وصالها فتجيب بان ذلك قد يكون من المستحيل ، بل هو حلم باهت لا امل فيه اذ العفاف لا ينقاد بسهولة ويسر . كيف يتحقق ذلك وارواح الكماة الشجعان تروح فداه من دون جدوى ، فانت مهما بذلت من الجهود فسوف لا تقدر على النجاة من اسر حبي اولست ترى الابطال صرعى هائمين لا يستطيعون الانفلات :

سالت وصالها يوما فقالت
«مطامع اشعب ترعت صفاتى

عجبت لمن تلوح له الثريا
فيفتح حضنه للنيرات

واغرب ما يعيه السمع حلم
يطوف بعاقل بين الصحاة

افى حرم العفاف تروم صيدا
تروح فداه ارواح الكماة ؟

وتنصب للمها مشركا خفيا
وانت اسير اشراك المهاة

وتطمع فى اجتناء الورد غضا
وسيف اللحظ فى رصد الجناة

بخد يخلب الالباب قاش
وخد يختل الارواح عات

الم تر حولك الابطال صرعى
فكيف تبوء - ويحك - بالنجاة؟»

ثم يجيبها الاسير المعذب وقد سكر من حديثها الناعم رغم ما اكتنفه من قسوة ، وبلحظها اللطيف الفاتن شاكيا ما يموج فى قرارة نفسه من احاسيس ، وما يلاقي من عذاب متوسلا اليها ان تخفف عنه ما يعانيه من الم ، وما يكابده من شجو :

فقلت وقد ثملت براح لفظ
ولحظ دونه حد الظباة :

« امالكة المحاسن ان قلبا
سكنت به على طرف الشباة

تراوحه المضاجع بين ماض
من الدنف المذيب وبين آت

فهل لك رحمة فى القلب تشفى
بما تولين من بعض الهبات »

واخيرا تجدد لاسير حبها موقفها ، وتدعو له بعدم الشفاء مما اصابه من جفنيها الساحرتين ، وهي بذلك تسد فى وجهه كل ابواب الآمال ليظل هائما فى برزخ المحبين يسعى جاهدا لتحقيق مطامحه ، اذ ليس

صادقا فى محبته من لم يستطب طعم السعادة فى مرارة العذاب والم الزفرات :

فقالت «لا شفاك الله مما
اصابك من جفوني الساحرات
ودم خلف المطامع والاماني
وان تك بعض احلام العفاة
فليس بصادق فى الحب من لم
يذق طعم السعادة فى الشكاة»

وليس من شك فى ان هذه القصيدة الغزلية لا تمت بصلة من قريب او بعيد الى المدرسة الشعرية الغزلية التى عرفت فى صدر الاسلام بالمدرسة الحضرية التى كان يمثلها الشاعر الغزل عمر بن ابي ربيعة والاحوص والعرجي، وانما هي تجسد لنا خصائص مدرسة اخرى كانت تعاصرها هي المدرسة البدوية (1) التى حمل لواها جميل بن معمر وكثير عزة وغيرهما ، والتى اشتهر اعلامها بعفة اللسان ، والتدله الصادق والحفاظ على المثل العليا والمباديء الاخلاقية.

ثم نلتقي بشاعرنا فى قصيدة له اخرى تحت عنوان « اغنية الجمال » ، والقصيدة كانت فى اول امرها قطعة نثرية لجبران خليل جبران (2) سمعها الشاعر من اذاعة طنجة فدغدغت شعوره ثم خطها مرقمة شعرا بعد ان قدم لها بمقدمة مقتضبة مع اثباته النص الجبراني ، وانصت — قارئي — على مهل ، وعندئذ اعقد مقارنة مع نفسك بين النصين ، ولاحظ لمن سيكون التفوق ، واما رايي فستعرفه وشيكا .

فى مساء يوم الاربعاء ثالث ربيع الانوار 1373 موافق 11 نونبر 1953 اذاعت محطة الاذاعة العربية بطنجة فى برنامج « رياضة الاصابع » القطعة الآتية ، ولاعجابي بمنحاها الشعري ، رايت ان انظمها فى قطعة شعرية مع شيء من التغيير والبسط اقتضاهما الوزن والمناسبة والصناعة ، غير اني تعمدت تغيير الفقرة الثالثة بالاصل ، لان طبعي لم يستسغ كون الجمال ماكولا، والقلب آكلا فابدلتها بما يظهر من المقابلة . ونص القطعة المذاعة :

انا دليل الحب ، انا خمرة النفس ، انا ماكل القلب ، انا وردة افتح قلبي عند فتوة النهار فتاخذني الصبية وتقبلني ، وتضعني على صدرها ، انا بيت السعادة ، انا مصدر الفرح ، انا مبدا الراحة ، انا ابتسامة لطيفة على شفتي غادة يراني الشاب فينسى اتعابه ، وتصير حياته مسرح احلام لذيذة ، انا موحي الشعراء ، وهادي المصورين ومعلم الموسيقيين ، انا نظرة فى عين طفل تراها امه فتسجد وتصلي وتمجد الله .

انا مذ كانت الحياة دليل الـ
حب فى غزوه وخمرة نفس

انا للقلب راحة وعذاب
مستلذ بطيب وخزي كلمسي

وانا وردة افتح قلبي
فى فتاء النهار يومي كامسي

مبسمي مرشف الكعاب وعرشي
ان تراءت من صدرها بين قطس

وانا منزل السعود وزند
مستراد السرور والانس انسي

وانا روضة ارتياح وبشر
وربيع الحياة مارس غرسي

وانا ان كسوت بسمة خود
اسفر الصبح بين راحي وكاسي

يستريح لمنظري الحدث النـد
ب فاغدو مدى مناه وامسي

مني الوحي وحي من راض شعرا
يقدع الفحل عن اوبد شمس

فاستعار البهاء من وجه بدري
واستمد الخيال من عين شمس

وانا ملهم المصور ان را
ع وسحر الغناء رقية جرسي

وانا نظرة بمقلة طفل
تجلب العطف من مشاعر خمس

رشقت امه ببر وعته
دون ان ينجلي لفهم وحدس

(1) وتسمى ايضا بالمدرسة العذرية نسبة الى قبيلة عذرة
(2) القطعة موجودة فى المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران — قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة — ص 340 — دار صادر .

فانبرت للصلاة تثنى على اللـ
ـه ثناء يضوع عن قلب قدس

وبالموازنة بين القصيدة الموسوية والقطعة النثرية الجبرانية ، يتبين بوضوح مدى ما تنطوي عليه شاعرية الوزير من ابداع خلاق ، وقدرة معطاء مهرها التمكن الاصيل ، ورقدتها السجية السمحة ، وصقلها الطبع الصافي ، والحساسية الفنية ، ذلك ان الشاعر تمكن من ان يزيد القطعة النثرية سحرا اخاذا ولطافة فاتنة ، بما اضفى عليها من روعة التأثير وحيوية نابضة بالحياة ، واسلوب شعري شيق فني ، تتجاوب حلاوته فى تلك القوافي السنية التى تحدث جرسا بهيا فى الاذن ، والكلمات العذبة المعشوشبة ، والمعاني المنفحة المشذبة .

وخذ على سبيل المثال حديثه عن قول جبران « انا مأكل القلب » ـ وقد انتقده هو بدوره فى مقدمته السابقة ـ فصاغه صياغة حلوة كما املى عليه طبعه الرقيق :

انـا للقلـب راحـة وعـذاب
مستلذ بطيب وخـزي كلمـي

فالجمال عنده راحة للفؤاد وعذاب فى آن واحد ، وخزه كلمسه على السواء ، وليس هذا بدعا اذ الجمال يروي القلب ، ويبعث فى مساربه طمأنينة ، وقد يقلقه ويشجيه فيما اذا لم يتأت له التمتع به .

اذن يستوي عند من يهيم بالجمال النقيضان ، وكلاهما شهي مستلذ .

وخذ على سبيل المثال ثانيا قول جبران « انا مبدأ الراحة » ثم وازنه بقول ابن موسى :

وانا روضـة ارتيـاح وبشـر
وربيع الحياة مـارس غـرسي

لعلك تفضل صياغة البيت لما فيه من طريف التصوير ، فالجمال روضة للارتياح والبشر وربيع الحياة العبق تعهد بحرسه .

وقول جبران : « انا نظرة فى عين طفل » لست ارى فيه من الروعة والقوة ما فى البيت الآتي :

وانا نظـرة بمقلـة طفـل
تجلب العطف من مشاعر خمس

ذلك لان ابن موسى لا يقتصر على كون الجمال نظرة فى عين طفل فقط بل ان نظرته تستدر العطف والحنو من الحواس الخمس .

وقس على ما سبق عن المقابلة بين النصين ، وستلمس ان ابن موسى تالق ايما تالق رغم ما تتطلبه العملية الشعرية من قواف ووزن وتقديم وتاخير ، وتاخير وتقديم .

ولا مرية ان كل ذلك قد ذلله الشاعر بسهولة ويسر مستعينا ـ بغض النظر عن غناه اللغوي ـ بذوقه الفني الرهيف فى اختيار الالفاظ ، وانتقاء « البحر الخفيف » ذي الوقع الرقيق والرنة المحببة ، واصطفاء روى مهموس يستلذه السمع ، وترتاح له النفس .

ولابن موسى رصيد من الانتاج الشعري (1) غير هذا مما قدمناه تندى به قلمه الثري فى شتى الاغراض كالمدح والرثاء والمولديات والغزل والشكوى والحنين منه ما نشر ، ومنه ما لا يزال رهينة الظلمة لم ير النور بعد .

ومن بين رصيده هذا مزدوجة الجناح الاخضر التى عارض بها مزدوجة مدرك الشيباني فى صاحبه عمرو بن يوحنا النصراني التى مطلعها :

من عاشق نـاء هـواه دانـي
ناطق دمـع صامـت اللسـان
معـذب بالصـد والهجـران
موثق قلب مطلق الجسمان (2)

وقد تحدث ابن موسى فى هذه المزدوجة ـ على سبيل الفرض ـ عن مجلس انس كان ينعقد من جماعة الفضلاء بالضاحية الشهيرة بالجناح الاخضر من ظاهر مدينة تطـوان .

وفى بعض لياليه المنعشة دارت مناقشة بين الجماعة حول مسائل علمية كادت تتطور الى مشادة ومشاحنة لولا ان تدخل احدهم فادار المناظرة بحكمة

(1) يحتفظ الاخ الاستاذ محمد ابو خبزة بجل انتاج الشاعر ، وقد اطلعني عليه مشكورا .
(2) القصيدة أوردها صاحب معجم الادباء فى ج 19 ص 136 وما بعدها ـ مطبعة دار المامون ، وصاحب تزيين الاشواق بتفصيل اشواق العشاق ص 163 ـ المطبعة الازهرية والشريف العلمي فى الانيس المطرب ص 221 وما بعدها ـ طبعة فاس .

رشيدة واخيرا انتهت الجلسة بروح من المودة والصفاء.

قال الشاعر مفتتحا المزدوجة بعد ان قدم لها بمقدمة نثرية جميلة جيدة السبك والبناء وتكلم فيها عن مزدوجة مدرك ومن عارضها ونحا نحوها :

بادر صباحا سافر الآفاق
متبلج الثغور والاحداق

يقضي بنشره الى الاذواق
فيبعث البشر من الاعماق

ويشرح الصدور للتلاق
بادره وهنا ونجوم الافق

تنساق فى بقية من رمق
تحكي نصوصا فى غدير ازرق

او بردا على فضاء مونق
يفور بالتدريج فى المساق

الى ان يقول باسطا الحديث عن اشتداد المعركة العلمية :

واطردت معركة العقول
دائرة فى حومة النقول

تستلحق الفروع بالاصول

وتقرع الدليل بالدليل
لتحصر المطلوب فى نطاق

فاشتبكت خواطر الفرسان
تفتق فى قوالب البيان

تدير تارة على الاذهان
ما رق من مراشف المجاني

وتارة تنفح بالاعلاق

ثم يختم رائعته بقوله :

فجال بحر بالحديث والاثر
وصال حبر بالقياس والنظر

وجهبذ قضى من العلم وطر
خصص بالنص وقد عم الخبر

فرجع الخلف الى اتفاق
هناك جلل الوجوه الفرح
وجملت وجه الحديث ملح

فانبسط القوم لها وانشرحوا
وفتحوا لها من هزلهم ما فتحوا

فختم المجلس بالعناق

وقصيدته « شكوى غريبة » نظمها على لسان قصيدة بائية كان قد شارك بها فى مباراة ادبية تشكو ما لحقها من ظلم وحيف، وما اعتورها من هضم وضيم بتاخيرها وتقديم غيرها ، وهي موجهة لرئيس لجنة التحكيم الفقيه السيد احمد الرهوني رحمه الله يعتب عليه فيها عتابا رقيقا ، ويبين له خصائص البائية ومميزاتها قال فى أولها :

من بدر عاصمة البلاد وشمسها
وزعيم نهضتنا وطلعة انسها

ومفيد عالية العلوم بدرسها
ومبيد عادية الهموم برمسها

فضلا حباه الاله وجودا
ارجو الاماحة من مواهب فضله

لمقال سائقة الكلام بشكله
من فرع مشهور الدليل واصله

كيما تفوز بلمحة من عدله
فيجوز للاجر الجزيل وفودا

ويختم « شكوى غريبة » بقوله :

وادفع هداك الله وصمة حكمه
عن نسجي العالي النفيس ورقمه

فلقد عرفت بحده وبرسمه
ان الملاحة من لطائف وسمه

والحسن يعشق شخصه المنشودا
ابقاك الله مرفوع الذرى

مترئسا فى كل عام محضرا
تحدو الاجادة والافادة فى الورى

حتى يصير مهللا ومكبرا
رائيك تجمع رمعة وسعودا

وقصيدة له اخرى يساجل بها السيد عمر القباج ، ويظهر فيها علو كعبه فى ميدان القريض يقول فى اولها :

يا شاعر العصر اضحت دولة الادب
مهتزة العطف بين العجب والطرب

رب القريض ومن تعزى مناقبه
الى العلا والى القباج فى النسب

طوى السباسب حتى زارنا فرات
فيه الفرائس شخص الفضل والحسب

ثم يقول فى آخرها :

فان عنى السيف فى وصف يميزه
«فالسيف اصدق انباء من الكتب» (1)

تهوى الجواهر لو صارت بمنطقه
منظومة ونجوم الافق فى التعب

لا زال للفضل والآداب يحرسها
من العوادي ويحيي لهجة العرب

ومولدية له من مولدياته يقول فيها وقد ابدع ايما ابداع :

واها لعهد باكناف الحمى سلفا
لم استطب اسفا من بعده خلفا

الوى فما جذوة الاشواق كاتمة
وجدولا الدمع فى اخمادها وقفا

يحدو به من زفير الشوق مضطرم
بين الجوانح ان صبر به هتفا

ورثائية جادت بها قريحته فى رثاء الفقيه السيد احمد الزواقي ابتداها بقوله :

قفا بمعاهد امست ثكالى
كواسف من صروف الدهر بالا

ذواهل كلها خشعت لشجو
اباح الشجو للدمع انهمالا

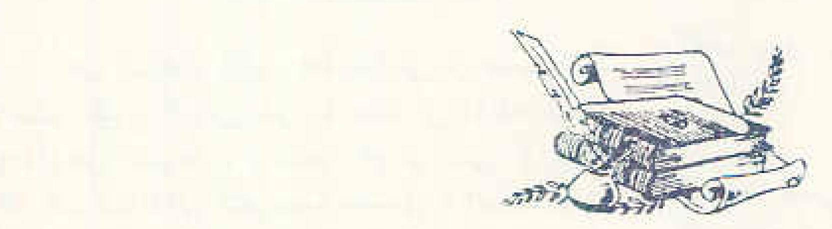
ويطول بنا الحديث اذا رحنا نتتبع اعمال ابن موسى الشعرية ، ومعطياته الفنية ، ويكفي ما اقتصرنا عليه من شعره ففيه غنية لاظهار شاعريته المتفوقة التى تجيد احكام النسج ، وتضفي على نصه الشعري حيوية ونبضا .

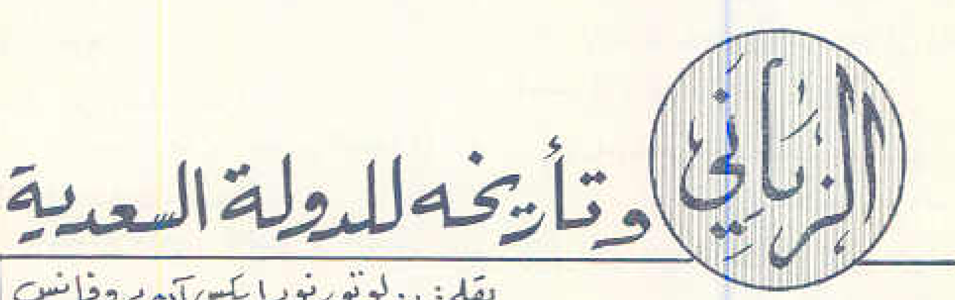
تطوان : محمد المنتصر الريسوني

---

(1) عجز البيت من قول ابي تمام فى مطلع قصيدته البائية الرائعة التى قالها فى فتح عمورية كما هو معلوم :

السيف اصدق انباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب





الزياني وتأريخه للدولة السعدية

بقلم: د. لوتور نوربا يكس آن بروفانس

تعريب: الأستاذ عبد الرحمن بنعبد الله

ما فتيء رجال الاستشراق يطالعوننا كل يوم بجديد من المباحث والتحليلات الرصينة ، فيزيحون الستار عن صفحات مطوية من تاريخ الاسلام والمسلمين .

واذا كان صاحب « الترجمانة الكبرى » غني عن كل تعريف ، لما حظي به من فائق العناية في اوساط المثقفين عموما والمؤرخين خصوصا ، فان آثاره ، على عكس ذلك ، تحتاج الى مزيد من التجلية والتعريف ، ذلك ان تاريخ المغرب لم يكتب بعد على نحو ينتظم كل امجاده ويصور كل دقائقه وملابساته . ومن هنا غدت الحاجة ماسة الى من يكرع من فيض ماضينا ويستقريء آثاره المادية والادبية - كما يقول قسطنطين زريق - ويخضع رواياته واسانيده للتدقيق والنقد ، فلا يقبل منها الا ما تبتت صحته وعدالة رواته حسب احكام العقل وقواعد العلم .

تلك في اعتقادنا هي الطريقة المثلى لاستكناه الحياة الماضية وادراك سننها وقوانينها ، وفهم الروابط التي تشدها الى الواقع الحاضر في حياة امتنا والى المراحل المقبلة في أجيال هذه البلاد .

والدولة السعدية خليقة بهذا الجهد ولا جدال ، فقد لعبت دورا حاسما في تاريخ وطننا وردت الدخيل الاجنبي غير ما مرة على اعقابه وذادت عن حمانا بكل ما اوتيت من قوة وعزيمة وثبات وحققت من المكاسب والانتصارات لصالح الاسلام والمسلمين ما يستحق كل تقريظ واعجاب .

وفي الصفحات التالية دراسة جديدة لاحدى آثار الزياني التي تعد من أهم المصادر في تاريخ السعديين الحافل بالامجاد . (المعرب)

كان استاذي الكبير الفقيد ليفي بروفنصال قد اختص المؤرخ الزياني بدراسة هامة في مؤلفه حول « مؤرخي الشرفاء . واعتقد ، ان لم تخني الذاكرة ، انه كان سباقا الى التعريف بفصل « الترجمان المعرب » الذي يدرس تاريخ الدولة السعدية فأفرد له تحليلا في اربع صفحات ، مركزا على الامكانيات التي يتيحها للحصول على عناصر جديدة في تاريخ السعديين . وقد كان يعتزم اصدار هذا الفصل لولا انه انصرف عنه الى غيره من الشواغل قبل ان تتخطفه المنون . واني لآمل ان أوفق في هذه الدراسة الى القاء بعض الضوء على ذلك العمل الجليل ، مستندا في محاولتي الى المخطوط الموجود بالخزانة العامة بالرباط الذي سبق ان نشرت شذرات منه في كتاب «الخليط» Mélanges المهدى الى لوي ماسينيون Massignon

ولست استهدف من ذلك تحليل الفصل المذكور بقدر ما يهمني جلاء مزية التركيز وتبيان القيمة التاريخية التي يتسم بها .

وهذا الفصل مثبت بالمخطوط المشار اليه آنفا فيما بين صفحة 342 وصفحة 368 ، اي 26 صفحة او يزيد ، تنفرد صفحتان منها بالاحداث التي ادت الى ارساء دعائم الدولة السعدية - وقد نشرناهما في الكتاب المذكور اعلاه - . وقد خصصت خمس صفحات للعاهلين السعديين الاولين : احمد الاعرج ومحمد الشيخ (صفحات 345 - 349) وقد استغرقت دراسة عبد الله الغالب بالله اكثر من صفحة واحدة

(349) . اما ابنه وخلفه ، الذى تآمر عليه عماه عبد الملك واحمد (المنصور فيما بعد) ، فقد استوجبت ثلاث صفحات ونصف من (351 الى 355) وخليق بالاشارة ان اعظم الملوك السعديين احمد المنصور قد فاز بنصيب الاسد فى هذا الفصل، فاستأثر بعشر صفحات يعالج نصفها غزواته فى افريقيا السوداء (من 355 الى 364) . والمؤلف يعرض للفتن التى اعقبت وفاة احمد المنصور فيما يقل عن اربع صفحات (364 الى 367) . اما الصفحة الاخيرة فانها مختصر جامع لتاريخ الدولة .

هذه النسب تماثل الى حد بعيد ما ورد فى « نزهة الحادي » و « تاريخ السعديين المجهول » . بيد ان تاريخ الزياني يختلف عنها فى مضمونها بكيفية ملموسة .

وقد سبق ان اشرت الى ان الزياني لم يعرض ، فى دراسته لنشأة الدولة ، الى الروايات الغريبة التى تفنن الآخرون فى سردها ولم يقل كلمة واحدة عن المؤثرات الدينية التى اسهمت بنظر الآخرين ، الى حد بعيد ، فى رسوخ الدعوة السعدية .

والزياني يلمع فى كثير من الاقتضاب الى انتشار التأثير الذى كان للشرفاء بجنوب المغرب وكذا جولاتهم الشهيرة فى حربهم مع البرتغاليين وحلفائهم من المغاربة باكادير . ولا يعثر الباحث على تفاصيل هذه المرحلة التاريخية الا عند استرجاع مدينة فاس بقيادة ابي حسون الوطاسي ، تسنده قوات الاتراك . هذا الى ان الزياني قد اسهب فى وصف العقوبات التى لحقت بالقبائل الموالية لابي حسون على يد محمد الشيخ السعدي . ويتضمن هذا الفصل ايضا دراسة دقيقة للظروف التى احاطت بمقتل محمد الشيخ على يد جماعة من الاتراك وفدوا الى المغرب من مدينة الجزائر. واغلب الظن ان الزياني قد حصل فى هذا الموضوع بالذات على معلومات خاصة مما حفزه الى العناية بها واثباتها بكل تفاصيلها .

كل هذه الروايات فى دراسة الزياني تخلو بتاتا من التهويل والمبالغات التى تضج بها الكتابات التى تناولت السعديين آنذاك . على انه لا يتمالك، حين يروي مبايعة الغالب ابن محمد الشيخ ، عن الاشارة الى معجزة ولي « سوس » الاكبر سيدي احمد وموسى واثرها فى استتباب الامر للعاهل الجديد . فاذا استثنينا هذه الظاهرة الغريبة التى شفعها ببعض المعلومات الدقيقة الهامة حول تأسيس جيش اندلسي بالمغرب ، فانه يصح القول بأن نصيب « الغالب » ضئيل لم يتناوله المؤرخ بكثير من التفصيل. حتى اذا انتهينا الى وفاة « الغالب » وما تلاها من مشاحنات بين ولده وخلفه « محمد المتوكل » وبين عميه عبد الملك واحمد ، رأينا الزياني يهتم بالحدث ويصف فى كثير من الدقة ، الجهود التى بذلها احمد وعبد الملك لدى الاتراك فى الجزائر والآستانة للحصول على معونتهم والاستيلاء على الحكم فى البلاد ، كما يصف فى كثير من الدقة نظام الجيش المغربي بعد اقصائهم لابن اخيهم وتصديهم لزمام الحكم .

اما الحملة التى ارسلها ملك البرتغال دون سيباستيان والعاهل المخلوع محمد المتوكل والتى شاركت فى معركة وادي المخازن الشهيرة فقد كان لها نصيب غير موفور من دراسة الزياني وان كانت لا تخلو من الدقة فى غالب الاحيان . واذا كان الزياني قد تفادي عموما ، فى تاريخه للملوك السعديين ايراد المعجزات والكرامات ، فانه اثبت بعضا منها حين ذكر ان اكبر قواد الجيش المغربي لما شعر بضعف المغاربة وانهيار عزائمهم فى صراعهم مع جيوش العدو ، اسرع الى احمد المنصر الذى كان يمارس الحكم واخوه طريح الفراش من شدة المرض ، ليعبر له عن تشاؤمه وتخوفاته ، فهدا المنصور روعه وقص عليه حلما وعده الرسول فيه بالنصر والتمكين ، فاطمان القائد وعادالى رجاله يستحثهم للصمود والمثابرة ويمنيهم بالنصر المبين ؛ فكان له ما اراد . . وانجلت المعركة عن اندحار العدو وانتصار المسلمين .

والقارىء يتوقع فى هذا الفصل ان يقف الزياني عند النتائج الهامة التى تمخضت عن هذا الانتصار الباهر، بيد انه لم يفعل شيئا من ذلك، بل انصرف عنها الى الكتابة ، فى اسهاب ، عن محاولة التمرد الفاشلة التى قامت بها بعض الفرق الاندلسية غداة مبايعة المنصور . ثم عرض بعدها لتشييد قصر البديع بمراكش واشار على القراء الذين يريدون مزيدا من التفاصيل ان يراجعوا كتاب مناهل الصفا للفشتالي ، كما عقد مقارنات بين مآثر المنصور العمرانية وما قام المولى اسماعيل بتشييده بعد ذلك بمكناس فأشاد بفخامة البناءات الاسماعيلية وعبر عن بالغ اعجابه بها .

وانتهى به المطاف الى فتح السودان الذى تم ــ كما هو معروف ــ سنة 1591. فذكر ان المشروع يرجع عهده الى سنة 1582 او 1583 حين وفدت على المنصور بعثة دبلوماسية من سلطان « بورنو » ، سارع

العاهل المغربي بعدها الى ارسال حملة الى موريطانيا بلغت تخوم السينغال وعادت بعدد هائل من الجمال يقدر في حساب الزياني بخمسين الف جمل ؛ استغلها المنصور فيما بعد لتنفيذ مشاريعه ومخططاته الحربية . وقد جمع العاهل اثرها مجلسه للمشورة في شأن الفتوحات التى كان يعتزم الاقدام عليها . فلاقى معارضة شديدة واحتدم الجدل بينه وبين الحاضرين وانتهى الى اقناعهم بعد نقاش حاد طويل . وفى تلك الاثناء جرت مفاوضات بين المنصور والسلطان السينغالي ادت الى كتابة وثيقة حررها الفشتالي باسلوب رسمي خالص واثبتها الزياني صرفيا فى الفصل الذى تولينا دراسته . والوثيقة تتضمن اعتراف سلطان بورنو بخلافة المنصور وتحالفه معه . ولما حصل المنصور على هذا العقد الدبلوماسي واجرى من الاستشارات القضائية ما اسهم فى تعزيزه ، كتب الى سلطان بورنو ليشعره بأن مناجم الملح فى الصحراء الجنوبية من ممتلكات الخلافة ويطالبه بالمكوس المفروضة على مبيعات الملح ، واذ لم يتلق جوابا عن كتابه ، اعد العدة واستنفر الجيش ثم ارسله بقيادة « جودر ». والملاحظ ان وصف الحملة تنقصه كثير من التفاصيل على خلاف ما ورد فى تاريخ الافراني . ويتلو ذلك بعض الاشارات الى تعيين كثير من ابناء الخليفة عمالا على المقاطعات وكذا انشاء بعض الفيالق من العبيد الذين اسروا فى الحرب .

ءاخر الصفحات تتناول وفاة المنصور وما استتبعته من اضطرابات خطيرة لتنازع ابنائه على الحكم فى البلاد . وهذه الاحداث لا تنقصها البيانات الدقيقة رغم ما تتسم به من اقتضاب ، حتى اذا وصلنا الى سنة 1160 م عندما سلم محمد الشيخ المامون مدينة العرائش الى الاسبان ، ولم نعثر بعدها الا على فهرس مختصر للاحداث والتواريخ والاسماء يتعذر على الباحث تمثلها ان لم يستعن بغيرها من التواريخ . ومن باب الاقرار بالواقع ان نضيف ان الزياني قد عاد الى الحديث عنها ، بصورة ادق فى بعض الاحيان ، فى مستهل الجزء الاخير من « الترجمان » الخاص بالعلويين .

هذه نظرة على فصل الزياني ، يتجلى فيها الفارق بين ما كتبه هذا الاخير وما ورد فى كتابات الافراني وحتى « تاريخ السعديين المجهول » الذى يعوزه الكثير من العناصر بالنظر الى نزهة الحادي . وبالرغم عن الحيز الكبير الذى يشغله حكم المنصور فى فصل الزياني ، فان النقص جلي وهام فى آن واحد . فلم يتعرض المؤرخ لسياسة المنصور تجاه رجال الدين الذين كانوا يناوئونه ، ولم يذكر الا اقل من القليل عن تشييد قصر البديع .. واشار اشارة خاطفة الى مصانع السكر التى خصها المنصور بفائق عنايته . واذا استثنينا فتح السودان فاننا لا نكاد نعثر على شيء حول سياسته الخارجية .

والذى يبعث على الاستغراب ان الزياني كان مزودا بجميع الوثائق والمخطوطات المغربية بما فيها مناهل الصفا للفشتالي . نحن نعلم ان نزهة الحادي كتاريخ السعديين المجهول ، كلاهما تنقصه كثير من العناصر حول سياسة المنصور الخارجية تجاه الدول الاوربية والامبراطورية العثمانية ، ونعلم ايضا انه ليس بوسعنا ان نعتب على الزياني جهله بما ورد فى المخطوطات الاوربية التى تولى جمعها الكولونيل دوكاستري ومن خلفوه ، والتى نشرت بمجموعة « المصادر المغمورة فى تاريخ المغرب

(Les sources inédites de l'Histoire du Maroc)

بيد اننا نلاحظ ان الزياني يختلف كثيرا ، وبصورة خطيرة ، عن الذين عاصروه فى كتابة تاريخه ، على اعتبار الوثائق والمخطوطات التى لا يساورنا ادنى ريب فى انه كان يتوفر عليها آنذاك .

يصح القول هنا ان للزياني منهجا خاصا فى كتابة التاريخ السعدي ، سنتعرض لها بشيء من التحليل فى السطور اللاحقة .

تتبدى شخصية الزياني قبل كل شيء من خلال اسلوبه : فلا تجد شيئا من التعابير الاسلوبية التى كان يصطنعها المؤرخون المغاربة كثيرا . لقد كان يتحاشى الاسلوب المتكلف والزخرف اللفظي مما كان يميل اليه بعضهم ، الا اذا دعته الضرورة الى النقل الحرفي للوثائق التى خلفها الفشتالي. والزياني يتصدى للاحداث والملابسات فى جمل قصيرة ، هي اقرب ما تكون الى الاسلوب الشفوي واللهجات الدارجة ، فيثبت الاحداث والارقام والتواريخ متفاديا المحسنات اللفظية وغيرها . وكل ما يمكن ان يلحظه الفاحص المدقق فى اسلوبه ــ ولعل ذلك يستجيب لميل عميق فى تركيب شخصيته ــ انه كان يجري الحوار بين الشخوص الذين يضمهم على مسرح التاريخ ، على غرار ما كان يفعله المؤرخون القدماء قبله . واذا كان هذا الاسلوب المتقطع يخلو من ءايات الجمال ، فانه فى حد ذاته خروج على طرائق التاريخ عند المؤرخين المغاربة ، وهو ، بعد ، يجلو شخصيته خالية من المساحيق والاصباغ .

واهم من ذلك ان الزياني لايتردد لحظة واحدة فى ابراز معالم شخصيته وجعلها المحور الذى تدور حوله مناقشاته مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله حول انتساب السعديين الى الرسول وفيما يخص آراءه الشخصية فى قصر البديع .. هذه التلقائية التى لم تكن سمة المثقفين فى عصره تذكرنا باحد كتاب المغرب البرابرة « اليوسي » الذى وصفه جاك بيرك Berque فى كتابه « مشاكل الثقافة المغربية فى القرن التاسع عشر ». فكلاهما يمثل بداوة البربرة الذى يطلق النفس على سجيتها، خالية من العقد النفسية ، بعيدة عن المواضعات الاجتماعية التى تفرضها حياة المدن . وما من شك فى ان التربية التى تلقياها بمدينة فاس او غيرها لم تغير شيئا من هذا المظهر الفريد فى شخصيتهما . لقد تعلما الشيء الكثير طيلة مقامهما بين اهل المدن ولكن ذلك لم يخلف من الاثر على مزاجهما ما يستحق الذكر . لقد غلبت على سلوكهما سذاجة القروي الذى يعبر فى منتهى البساطة ، عن مكنونات نفسه دون ان يقيم وزنا للمواضعات الاجتماعية ، فقد كانا يستشعران فى اعماقهما من القوة ما يوفر عليهما عناء التكليف والرياء فى التعبير عن آرائهما ويصون شخصيتهما من مساوىء النفاق الاجتماعي .

كذلك الامر بالنسبة للزياني حين يمارس مهام التاريخ للدولة السعدية . ومعلوم ان هناك من سبقوه الى هذا الميدان كالفشتالي والافراني والمؤلف المجهول لتاريخ السعديين .. وهناك ايضا الوثائق التى كان يعرفها المثقفون المغاربة آنذاك . فلماذا عاد الزياني فاثبتها حرفيا فى كتاباته ؟ الراجح ان الزياني كان يعتقد جازما ان دوره ، كمثقف ، لا ينحصر فى كتابة تاريخ السعديين من جديد بقدر ما هو فى استكشاف مجاهله والاحاطة بمتاهاته. فى ذلك ما يفسر التعارض الغريب الذى نشهده بالتواتر فى هذا الفصل حيث يتارجح بين الاقتضاب والاسهاب ، بين النقل والخلق .

وزبدة القول ان الزياني كان يستهدف الرجوع الى بعض المراحل او الاحداث فى تاريخ السعديين مما قصر السابقون فى دراسته او اغفلوه مخطئين ، ليسد النقص ويراب الصدع .

بقي ان نعرف على اي اساس قام الزياني بهذا الاختيار .

تجب الاشارة اولا الى بعض الذكريات والارتسامات الشخصية وخصوصا العناصر التى اقتبسها من تاريخ الفشتالي . وقد سار على هذا النهج قبله المؤرخ الافراني وان كان الزياني قد تناول نقطا اخرى غير التى استقاها الافراني . والذى لا مراء فيه ان الزياني ، كغيره من المؤرخين الذين سبقوه ، وهم كثر ، كان يعد الفشتالي اكبر مؤرخي الدولة السعدية ويعجب كثيرا بآثاره . بيد انه يحق لنا ان نتساءل ان كان التنازل الذى ابان عن الزياني فى النقل عن الفشتالي راجعا الى ان مخطوطات « مناهل الصفا » قد غدت نادرة ، فكان الاقتباس منها امرا يجعلها — ولو جزئيا — فى متناول الطبقة المثقفة التى كانت الظروف والملابسات تحول بينهم وبينها .

وقد كان الزياني ، فى بعض الاحيان ، لا يشير الى المصادر التى يستقي منها معلوماته المفصلة ، مما يدعو الى الاعتقاد بأن وظيفته فى الحكومة الشريفة ، خاصة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 — 1790) قد يسرت له وسائل مراجعة الوثائق الرسمية وغيرها مما لا نعرفه : ذلك فى نظرنا ما يفسر الدقة المتناهية فى البيانات الواردة عن تأسيس جيش اندلسي على عبد الله الغالب او عن نظام الجيش السعدي عند تأهبه لخوض معركة الملوك الثلاثة . فهل نقل الزياني عن تاريخ الفشتالي من العناصر ما اغفل الاشارة الى مصدره ، ام ان هناك وثائق رسمية قد استعان بها على كتابة تاريخه عندما كان شخصية رسمية فى حكومة العاهل العلوي وكانت المحفوظات الشريفة فى متناول يده ، ام انه كان يحصل على معلوماته التاريخية من افواه الذين حسن ايمانهم ، بما فيهم الاتراك ؟

اذا نحن تناولنا فصل الزياني فى مجموعه ، فاننا نلاحظ انه اكد على بعض الاحداث التى كانت تهمه شخصيا ، او التى شحذت فيها غريزة الفضول او الاستطلاع ودفعته الى استكمال معارفه حولها : فهناك قضية الاتراك التى استغرقت حيزا هاما من الكتاب ، وهناك القضايا القبلية ونظام الجيش السعدي .. بيد ان فتح السودان كان له ابلغ الاثر على مخيلته ، خاصة ما سبق من استعدادات هائلة ، فافرد له مكانا خاصا وعني به عناية فائقة .

الى جانب ذلك ، لا يجد القارىء فى « الترجمان المعرب » اي اشارة الى الحياة الاقتصادية على نقيض ما نقع عليه فى تآليف غيره من المؤرخين من اهتمام بانخفاض اثمان المعيشة او ارتفاعها حسب الظروف التى تجتازها البلاد . كما ان الزياني لا يعرض لعلاقات

المنصور بالذات الشاهانية ولا لمواقف الملوك السعديين أو خصومهم من الدول الاوربية . لقد قصر عرضه على غزو البرتغاليين لمدينة اكادير سنة 1541 والحملـــة الخائبة التي ارسلها دون سيباستيان البرتغالي سنة 1578 والمساعدات التي تلقاها محمد الشيخ المامـــون من الاسبان ما بين 1609 و 1610 . فقد كان المغرب في رايه ، كما هو الشان بالنسبة لغيـره مـن المغاربـة في ذلك العهد ، غاية في حد ذاته وعالما متكاملا في غنى عن غيره . وعلى هذا الاساس ، فان علاقاته بالخارج لا تكتسي من الاهميـــة ما يستـحـق الاسهـــاب والتطويل .

يصح القول ان الزياني قد اعتمد منهجا خاصا في كتابة تاريخ السعديين ، اقتصر فيه على معالجة بعض النقط التي كانت تثير تساؤلاته وتشحذ فضوله ... والتفاصيل التي اوردها ليست من صنع الخيال، فلقد استقاها ، دون ما شك ، من مصادر متنوعـــة ومجهولة وسكبها في قوالب تشهد بأصالته وتنم عن عمق نظرته . الا انه امر يحد من القيمة التاريخيـة في ءاثاره الخاصة بالسعديين ولا يجعل منها ، كما هو الشان فيما كتبه عن الدولة العلوية ، مراجع غزيـرة المادة موفورة المعارف .

الرباط ـ عبد الرحمن بن عبد الله

المـراجـــع :

— E. Lévi-Provençal, Les Historiens des Chorfa - Paris, 1922.
— Mélanges Louis Massignon - Beyrouth, 1957 : La naissance du pouvoir saâdien vue par l'Historien Al Zayyani.
— R. Le Tourneau : Les débuts de la dynastie saâdienne jusqu'à la mort du Sultan M'hammed Ech-Cheikh (1557), Alger 1954 - Bibliothèque de l'Institut d'Etudes Supérieures Islamiques d'Alger.
— O. Houdas, Le Maroc de 1631 à 1812, Paris 1886.
— Jacques Berque, Al-Yousi : Problèmes de la Culture marocaine au XVII[e] siècle, Paris-La Haye, 1958.





هل في المغرب أدب أصيل ؟

للاستاذ عبد العلى الوزانى

جدير بنا الان ان نبحث عن عناصر الاصالة فى الادب المغرب الحديث ، ذلك ان هذا الادب ينظر اليه من طرف الكثيرين بشيء غير قليل من الازدراء او ربما لا مبالاة . فهو فى رايهم لا يزيد على ان يكون صدى للاداب الشرقية ، قصيدة كان او مقالة او غير ذلك.

واعتقد ان هؤلاء يرتجلون هذا الحكم ارتجالا دون ان يكلفوا انفسهم مشقة البحث عن عنصر الاصالة فى هذا الادب ، ليتأكدوا من وجوده او عدم وجوده . وكم يسهل على الانسان ان يلصق الاتهامات بالآخرين ويشنع عليهم وعلى اعمالهم ، دون ان تبدر منه بادرة للمساهمة فى ميدان من ميادين النشاط الثقافي .

لذلك ، فقد آن الاوان لبحث هذا الموضوع بشيء من التوسع ، للتوصل الى حقيقة الامر فى هذه القضية التى تشغل بال الكثيرين ، وتترتب عنها نتائج قد تكون ضارة بالقاريء المغربي وبالاديب المغربي على السواء . تضر بالاول لانه قد يقع تحت تاثير هذه التهمة الخطيرة ، فينظر الى ادب بلاده متشككا فى مدى اهميته واصالته ، ويضر بالثاني لانه قد يثبط من عزيمته ، ويجعله واقفا فى قفص الاتهام ، الامر الذى لا يخدم قضية الانتاج الادبي فى بلادنا ، بل هو يسيء اليها اساءة بالغة .

والقضية التى نحن بصددها متعددة المناحي ، متشعبة الفروع. فنحن محتاجون الى التعريف بالاصالة الادبية فى حد ذاتها ، حتى نكون واضحين فيما نثبته للادب المغربي او ننفيه عنه . ومحتاجون الى معرفة مدى ما يستطيع الاديب تحقيقه لادبه من الاصالة ، وهل توجد الاصالة الكاملة فى انتاج ادبي ما ، ثم ننصرف الى تبين ما اذا كان ادبنا المغربي يتوفر على اصالة اولا ، الى غير ذلك من المسائل والقضايا التى يتطلب الموضوع اثارتها ومناقشتها ، للوصول الى فكرة معقولة فى القضية التى نحن بصددها .

فما هي الاصالة فى الادب ؟

هي بالنسبة الى شخص الاديب ، صدور الادب عن ذاتيته ، معبرا عن مميزاتها الاصيلة والمكتسبة ، وبالطريقة التى تمتص منها اقصى ما يمكن ان تهبه من شؤون النفس والفكر . وهي بالنسبة الى الامة كون الادب معبرا عن شخصيتها واحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ونظرتها الى الحياة وطبيعة تفاعلها مع الاحداث ، ونوعية استجابتها لشتى عوامل الاثارة التى تحيط بها . تلك باختصار هي الاصالة الادبية ، دون ان ندخل فى التفاصيل والجزئيات . وقد انتهى الدارسون من مناقشة مدى الاصالة فى اعمال الادباء ، وانتهى بحثهم الى هذه النتيجة المنطقية ، وهي ان الاصالة الكاملة لا وجود لها ولو بالنسبة لاقوى عباقرة الادب والفن . فدائما توجد عناصر التقليد وملامح الموروث ، الى جانب عناصر الجدة والابتكار . وكل ما هناك ان الاعمال الادبية الناضجة تتغلب فيها الجدة على التقليد ، دون ان ينعدم التقليد ، ولا ان يكون العمل الادبي مقطوع الصلة بالموروث ، وبالتيارات الداخلية والخارجية ، القديمة والحديثة . ذلك لان شخصية الاديب ساهمت

في تكوينها عدة عناصر ، بعضها اصيل ، وبعضها مكتسب من المحيط الفكري والمحيط الاجتماعي ، وهذا الجزء المكتسب هو الذي يمنع من ان تكون هناك اصالة تكون مائة في المائة . فاذا صدر الادب عن صاحبه ، جاء حاملا لكل عناصره الذاتية والمكتسبة وممثلا لها .

ونعود على بدئنا لنتساءل : هل هناك اصالة في الادب المغربي الحديث ؟ اذا كان هناك من يبادر الى القطع بأن لا اصالة ، فانا لا اوافق هذا الفريق في رايه ، لان لي رايا آخر، سيظهر خلال هذا الحديث . وهو ليس رايا مكونا مسبقا ولا مرتجلا، وانما جاءنتيجة لقراءة الادب المغربي الحديث وتتبع خطواته البطيئة خطوة خطوة .

ولماذا يتهم الادب المغربي الحديث بانه عديم الاصالة ؟ الأنه متأثر بالآداب الشرقية او الغربية ؟ وهل هناك ادب لم يتأثر بآداب اخرى معاصرة له ؟ ام لانه يستعير بعض مناهج البحث والكتابة من الخارج ، ليتخذها وسائل لتادية ما يريد اداءه من مشاعر وافكار ؟ اي عذر في هذا ، وها هي الآداب الشرقية التي يتهم الادب المغربي بانه ظل من ظلالها تقتبس احدث مناهج البحث عن الاوروبيين ، لتدرس على ضوئها الادب العربي القديم والحديث ، ام لانه يتناول نفس الموضوعات التي تتناولها الآداب الاخرى ؟ وهذا ايضا لا عيب فيه ، بل انه فضيلة لانه يبرهن على ان عند المغاربة ما يقولونه في الموضوعات الادبية ايا كان مصدرها . وهل الموضوع وقف على قوم دون قوم؟ أم هو مما يدخل في الملكيات الخاصة ؟ ام هو يعاب لكونه لا يخلو من بعض ملامح الآداب الشرقية في الصور والاشكال والافكار ؟ وكيف وهذا امر طبيعي بالنسبة لكل الآداب ، اذ يتاثر بعضها ببعض ، ويأخذ بعضها عن بعض ؟ تلك هي اهم المآخذ التي تؤخذ على الادب المغربي الحديث ، وليس بينها ما يصح ان يتخذ مطعنا في هذا الادب ، لانها كلها ظواهر طبيعية في الآداب كلها .

لا اقصد بهذا طبعا تنزيه الادب المغربي عن كل تبعية فكرية ، فهو ما زال يتعثر في خطواته ، ويحتاج الى من يأخذ بيده ، ويتلفت هنا وهناك باحثا عن منقذ و معين ، وانما اقصد الى شيء آخر ، وهو ان هذا الادب ككل الآداب الناشئة التي تحاول الوقوف على اقدامها لا يسلم من آفات هذه المرحلة العسيرة الخطيرة ، ولكنه ايضا لا يجرد من كل مزية ، واذا وجدت فيه لا ينبغي التسرع بأنها من مصدر اجنبي عنه . وهكذا نقول لاولئك الذين يتهمونه بانه عديم الاصالة : انه متوفر على اصالة من نوع ما ، وفي بعض نماذجه ونصوصه . وهذا امر يغفر له ، لاننا اذا نظرنا الى الآداب التي يقال انه ظل من ظلالها نجدها هي نفسها تقل فيها الاصالة ، وتتهم بانها ظل للآداب الغربية . وللقاريء ان يعترض بأن هذه ليست حجة ، ولا تعتبر مبررا للتبعية الفكرية ، لانه اذا كان آخرون يحاكون ويقلدون ، فلا يصح ان يتخذ ذلك مبررا لاستمرارنا في المحاكاة والتقليد . ولكن أود أن اقول له : اني انما ذكرت ذلك للتذكير بأن البلاد التي هي اقوى منا ادبا وفكرا ، لم تسلم من هذه الآفة .

واذا كانت الاصالة موجودة فعلا في بعض نماذج الادب المغربي الحديث ، لم يبق هناك معنى لاتهام هذا الادب بالخلو تماما من الاصالة ، وانما يعتبر ذلك دليلا على ان عنصر الاصالة موجود فيه، كمولد لفجر جديد ، تفتح فيه صفحة مشرقة من تاريخه . ويمكن التذكير في هذا الصدد ببعض اعمالنا القصصية والروائية ، فهي بأشخاصها واحداثها واجوائها الاجتماعية ، والنفحات الصادرة عنها ، مغربية صميمة ما في ذلك من شك . ولا يعيب هذه الاعمال انها استعارتالقوالب والاشكال من الغير ، لان هذا لا اعتراض عليه من طرف النقاد والدارسين ، فكل المناهج والقوالب تستعار لتصب فيها مادة من نوع خاص .

واذا كانت الاصالة مما يقوى ظهوره في القصة والرواية ولاسيما اللون التاريخي والاجتماعي منهما ، فان ظهورها في الانتاج الفكري المجرد ، يكون محاطا بكثير من الغموض . ذلك لان هذا النوع من الانتاج يكون مجردا عن الملابسات والظروف الاجتماعية التي تهب القصة نكهتها الخاصة المتميزة ، لذلك كان اظهار ما فيه من اصالة، عملا معقدا يحتاج الى شيء غير قليل من الشرح والايضاح . وانه لمن السهل ان تلمس الفروق بين القصة اللبنانية والقصة المصرية والقصة العراقية ، ولكن من الصعب جدا ان تلمس هذه الفروق بين المقالة اللبنانية والمصرية والعراقية ، نظرا للاعتبار السابق . فالقصة فيها الاشخاص باسمائهم وسماتهم الوطنية، وفيها الاحداث بطابعها المحلي المعهود، وفيها الحوار بصيغته البيئية التي لا تخطئها الاذن ، وفيها الجو الاجتماعي بتقاليده وعاداته البارزة . ولكن اين المقالة من ذلك كله ؟ ان اختفاء عنصر الاصالة فيها ، وعدم ظهوره للعين السطحية النظر ، يسهل الصاق التهمة بها ، ويساعد على خداع البسطاء. ولكن مع ذلك فالانتاج الفكري المجرد له ايضا اصالته المتمثلة في

طرق التفكير ، واسلوب مناقشة الآراء والنظريات ، وتناول المادة الفكرية حسب خطة موضوعة ، وهو يمثل الافق الفكري العام السائد في الامة ، الى جانب تمثيله لشخصية الفرد المنتج . ونحن اذا اخذنا بعين الاعتبار، هذا الضرب من الانتاج الفكري فى بلادنا ، نجده لا يخلو هو الآخر من طابع الاصالة ، وان كانت الحقيقة تقتضينا الاعتراف بان نماذجه الاصيلة نادرة ، كالشأن فيما ينشر عندنا من قصة ورواية. وهذا يتفق وطبيعة المرحلة التى يجتازها الادب المغربي فى الظروف الراهنة . واخص بالذكر المقالة الادبية ، فهي قد تتسم عندنا بسلاسة الاسلوب ، وقوة الاداء ، والدقة فى المعاني واختيار الالفاظ ، على حين ان المقالة التاريخية والاجتماعية والدينية ، ما زالت قاصرة عن بلوغ هذه الغاية ، واعتقد ان فى مقدور اصحابها النهوض بها ، لو انهم انصفوا فلم يبقوا يرون فيها مجرد وسيلة لنقل المعلومات ووفروا لها قيما ادبية تبعد بها عن الجفاف ، وتهبها جواز المرور الى حضرة الادب الحي الخالد .

ولو ان عنصر الاصالة فى ادبنا المغربي وجد النقاد الذين يميزونه وينوهون به ، عند تناولهم اعمال الادباء المغاربة بالدراسة لازداد بروزا وظهورا ، ولقويت بذوره التى قد توجد فى اعمال اديب مغربي يكدح ليصل الى سمع القراء ، ولكنها تبقى منزوية مجهولة حتى عند صاحبها نفسه ، لافتقاره الى من يبصره بها، ويدله عليها .

ويزيدنا اطمئنانا الى اننا نستطيع ان نكون متميزين اكثر بذاتيتنا الادبية الخاصة ، ان شعبنا هنا فى المغرب ، يملك كل مقومات الاصالة القومية والوطنية ، والتى بدونها لا تكون اصالة ادبية بالمعنى الصحيح . فنحن شعب كتب صفحة خاصة فى سجل الحضارة العربية الاسلامية ، فعلاوة على كونه يملك كل مقومات القومية العربية من لغة ودين وتاريخ وتقاليد قومية مشتركة ، يملك ايضا الوانا من الثقافة الشعبية ، واصنافا من القيم الفكرية والاجتماعية ، المستمدة من ملابسات التاريخ وعادات الاسرة ، الى جانب وجوده في بلاد تقع همزة وصل بين صور مختلفة من الحضارة ، ويتصل ببحرين كبيرين يشخص كل منهما افقا حضاريا خاصا ، الامر الذى يشعر هذا الشعب ، باهمية المنطقة التى يشغلها من الوطن العربي الكبير . اضف الى ذلك امجاده التاريخية المستقرة فى وجدانه، من كفاحه النصرانية فى اسبانيا، وحمله دعوة الاسلام الى شعوب افريقيا السوداء ، وتبديده لخرافة الاجانب الطامعين فيه ، على مدى مراحل من تاريخه السياسي فى العصر الوسيط والعصر الحديث . وكذا اعتزازه بتقاليده الاجتماعية الخاصة ، فى حفلاته ومآتمه ، واطعمته واشربته ، وازيائه وصناعاته المحلية ، وموسيقاه الشعبية . وكل هذه الاشياء مقومات للاصالة ومؤكدة لها ، فادبنا اذن يملك رصيدا نفسيا واجتماعيا وثقافيا ضخما يملؤه شعورا بشخصيته وشخصية الامة التى يصدر عنها .

ولكن اصالة الامة فى حضارتها وثقافتها وتقاليدها لا تعني دائما ان ادبها اصيل، فلا يكفى ان ينتمي الاديب الى امة هذا طابعها ليكون اصيلا فيما يكتب . فللاصالة الادبية ثمنها المتمثل فى الجهد والمثابرة والثقافة العالية والطموح الى المجد الادبي ، وتحدي الظروف المعاكسة. والاصالة لا تتحقق الا باشراف الاديب من كل على نفسه وواقع امته وامكانياتها الحضارية ، قصد تشربها وتمثلها فى الصميم . الا ان انتماء الاديب الى امة لها وجودها الثري الحي ، من شأنه ان يضع بين يديه رصيدا وطنيا ضخما يساعده على التماس اسباب الاصالة .

وهنا اود ان اقول لاولئك الذين ينفون عن الادب المغربي كل اصالة ان موقفكم يتنافى مع هذه الحقيقة البسيطة التى تقررها كتب الادب ، وهي ان للبيئة الطبيعية والاجتماعية اثرها الذى لا ينكر فى الاديب وادبه . فكيف اذن يكون الادب ـ اي ادب ـ خاليا تماما من عنصر الاصالة ، والحال انه متأثر بالجو الاقليمي والجو الاجتماعي ؟ الا يكفي ذلك ليكون اصيلا نوعا ما، على اعتبار الاصالة هاهنا امرا عفويا ، وظاهرة طبيعية لا دخل للارادة والجهد الشخصي فيها ؟ ويجب ان نذكر بان الاصالة انواع ، هناك الاصالة الفردية التى بتحققها تبرز ذاتية الفرد الاديب بنكهتها وطابعها الخاص . وهناك الاصالة الاجتماعية التى بتحققها تظهر شخصية المجتمع ممثلة فى ادبه الشعبي ، او فى ذلك الضرب من الادب الرسمي المستجيب لحاجيات الشعب المصور لقضاياه ومشاكله . وهناك الاصالة التلقائية العفوية التى تأتي نتيجة للتأثر بالمحيط الطبيعي والاجتماعي. والاصالة المكتسبة ، وليدة الجهد والمثابرة . وعلى هذا فحتى اذا نفينا عن ادب ما هذا النوع الاخير من الاصالة ، فنحن لا نستطيع ان ننفي عنه ذلك النوع التلقائي المفروض بحكم الطبيعة وناموس الحياة الاجتماعية . فاذا كنا متواضعين ومتسامحين جدا مع خصوم الادب المغربي الحديث ، نطالبهم على الاقل بان ينظروا الى اصالة هذا الادب من هذه الزاوية الاخيرة . اما اذا نحن تشددنا معهم وحاكمناهم الى

نصوص هذا الادب نفسها ، لم يكن في وسعهم انكار ان هناك نماذج ادبية مغربية تتوفر على نسبة مئوية من الاصالة المكتسبة بالجهد والمثابرة .

ان الشاعر المغربي عند وصفه لجبال الاطلس وقد توجتها الثلوج ، او وصفه تخيل مراكش الحمراء ، او او واد ي الجواهر بفاس ، او صومعة الكتبية الهائلة ، يصدر عن بيئة مغربية ، ويوفر لادبه نوعا من الاصالة ، وكذلك القاص المغربي عندما يصف حياة اسرة مغربية، او يصور مشهدا في الشارع المغربي ، يوفر لادبه نوعا من الاصالة ونماذج ذلك لا تخطئها العين المتفحصة في المجلات والصحف المغربية .

ولا يخفى ان من انواع الاصالة ، اصالة الفكر واصالة الاسلوب . فقد تجد الاديب الذي عنده الافكار المستقلة ، والنظريات الحرة ، ولكنه يصوغها في قالب ينتمي الى مدرسة اديب كبير يكون معجبا به ، كما انتمى الكثيرون الى مدرسة الزيات او العقاد او الرافعي او طه حسين . وقد تجد الاديب الذي يدين لغيره بالتبعية الفكرية ، ولكنه صاحب شخصية مستقلة في الاسلوب ، كما قد تجد الاديب الذي جمع بين الاصالتين معا . وعلى هذا فنحن نسال هؤلاء الذين لا يكلفون انفسهم عناء البحث : ماذا تقصدون بالاصالة عندما تذهبون الى ان الادب المغربي الحديث غير اصيل ؟ اتريدون اصالة الفكر ؟ ام اصالة الاسلوب ؟ ام هما معا ؟ ان استطعتم نفي اصالة الفكر ــ وهذا لا ينطبق على كل هذه الاعمال الادبية ــ فانتم لا تستطيعون نفي اصالة الاسلوب . فالاكثرية من ادباء المغرب ، لا تنتمي لاي من مدارس طه حسين او الزيات او الرافعي ، اذ ان اساليبهم مشتقة من انفسهم . وذلك لان هذه المدارس انقرضت او اوشكت في الشرق العربي نفسه ، ولم يبق الان ما يتحدث عنها الا باعتبارها من واجهات الادب العربي المعاصر في فترة من فترات تاريخه الحديث . وقد وجدت طبقة من ادباء الجيل الماضي في المغرب ، تدين بالتبعية لهذه المدرسة او تلك ، ولكن هذه الطبقة من افرادها من مات، ومنهم من لا زال على قيد الحياة ، الا انه انقطع عن مزاولة الانتاج الادبي نهائيا . اما الآن ، فلا توجد في الشرق العربي مدارس ادبية ، على غرار المدارس السالفة ، لان الزعامة الادبية اختفت بموت العقاد وعجز طه حسين، ومن ثم لا يوجد بيننا في المغرب من ينتسب الى مدرسة اسلوبية حديثة ، لانها لا وجود لها بالمرة . بقي التاثر بالاسلوب الشرقي العام ، وهذا لا ينافي الاصالة، لانه تاثر وتأثر فقط ، وليس محاكاة ولا سرقة ولا شيئا من هذا القبيل .

هذا وان هناك كثيرا من العقبات التي تقف في طريق الاصالة الادبية هنا في المغرب . منها انقطاع الصلة بين حاضر الادب المغربي وماضيه ، فان ما ينشر من انتاج ادبي مغربي اليوم ، ليس امتدادا لادب ما قبل هذه المرحلة ولا تطورا له وانما هو شيء منبت الصلة بالتاريخ الادبي المغربي ، اللهم الا اذا اعتبرنا ما يتناول احيانا من آداب مغربية قديمة نوعا من الاتصال ، وهذا ما لا نقصد اليه ، اذ قصدنا الى صلة الاستلهام والاستيحاء وبناء الحياة العقلية الحديثة على اسس صالحة من التراث الحي الخالد . هو اذن ادب يستمد مقوماته من نفسه ، ومن آداب اخرى شرقية وغربية ، بطريق مباشر وبطريق غير مباشر . واذا شئنا ان نكون اكثر وضوحا نقول ان الادب المغربي اليوم يبدا في بناء نفسه ، على اسس من الحاضر . وانقطاع الصلة بين حاضر الادب المغربي وماضيه ، راجع الى الجهل بهذا الماضي اولا ، والى الزهد فيه من طرف الكثيرين ثانيا ، اذ يجدون في بريق انماط الفكر العصري ، واساليب البيان العصرية ، ما يستغرق حواسهم ونفوسهم، فلا يجدون شهية متفتحة للبحث عن نصوص ذلك الادب المغربي القديم ، حتى ولو قدم اليهم في زي جديد واخراج انيق . وقد يعن لاحد ان يتساءل : الا ترى في ذلك خيرا كل الخير ؟ الا يمكن ان نصبح اسرى ذلك الماضي لو درسناه واحطنا به علما ؟ وهو تساؤل لا معنى له في نظري ، لان اصالة اي ادب لا تاخذ شكلها القوي وجذورها البعيدة الا باتصال حاضر الادب بماضيه ، بحيث يستلهمه ويطوره وياخذ منه احسن ما فيه، مستفيدا من مزاياه. والاصالة العتيدة القوية لا تكون بدون تاريخ . وينطبق هذا على كل شيء . فالامة الاصيلة هي ذات التدريخ الحي الماثل في النفوس والسجلات والثقافة الاصيلة هي ذات التاريخ الكامن في التراث . والادب الاصيل هو الذي يكن له تاريخ يستمد منه . ولا معنى للتاريخ الا في ارتباطه بالحاضر وانبثاقه عنه ، لا للمكوث فيه، وانما للاستفادة منه ومن تجاربه في مدارج التطور .

ومن تلك العراقيل ان المواهب الفردية لا تجد في الوسط المغربي وحتى المثقف منه ظاهرة التحدي ، اي ليس هناك تصادم بين الملكات والمواهب الفنية والادبية ، ذلك التصادم الذي يتحداها ويدفع بها الى الابداعات

ذاتها عن طريق النضال المؤدي الى الخلق والابتكار . وكل عباقرة الادب الخالدين ، وجدوا من عشاق الكلمة من يتحداهم ويواجههم فى صمود واصرار ، فانطلقوا يبدعون وكأن بهم مسا من الجنون ، الجنون بين الكلمة . وهذا النوع من التحدي غير موجود عندنا فى البيئة الثقافية .

والآن ما هي اهم مظاهر الاصالة فى الادب المغربي الحديث ؟ يمكن اجمالها فى الامور الآتية :

اولا : تناول بعض نصوصه لاحداث ومشاكل من صميم البيئة المغربية، وهذا يتجلى فى القصة والمسرحية والمقالة

ثانيا : تصوير بعض نصوصه للطبيعة المغربية جبالها وسهولها واوديتها ومناطقها الخصبة اليانعة .

ثالثا : تمثيل بعض نصوصه لاصحابها بامزجتهم وطبائعهم وانماط تفكيرهم .

رابعا : خلو انتاجنا المغربي من العجمة الموجودة فى بعض الاساليب الادبية الشرقية ، باستثناء بعض المتأدبين الذين تأثروا بهذه الاساليب من جراء انكبابهم على قراءة بعض المجلات التى تجد العجمة فيها مرتعا خصبا .

تلك فى نظري هي اهم مظاهر الاصالة فى الادب المغربي الحديث . وهي ليست اصالة متكاملة ولا ناضجة ، وانما هي اصالة جزئية ، وتحاول الوقوف على قدميها جهد ما تستطيع ، ووسط ظروف ادبية غير مواتية .

فاس : عبد العلي الوزاني



تهدد أمن الولايات المتحدة

بقلم بنجامين فريدمان
ترجمة الأستاذ احمد عبد السلام البقالي

فاتحـــة :

المقال الذى اترجمه اليوم لقراء « دعوة الحق » الشراء يمكن ان يكون قصة تتوفر على مقدمة وعقـدة وحل مع عناصر التشويق البارزة فى احسن القصص البوليسي .

كاتبه ، السيد بنجامين فريدمان ، عاش القصـة بنفسه وشارك فى بعض احداثها كما سيتبين للقاريء. وهو مؤسس العصبة المسيحية ضـد التدليس سنـة 1950 ، ومحرر جريدة صغيرة باسم Common Sense وقد صدر هذا المقال بالعدد 524 من تلك الجريدة، وما كان ليصدر بجريدة غيرها . ويتحدى به كاتبه الظلام الهائل الذى اسبلته الصهيونية على العقلية الامريكية . وهو واع بان الصهيونية العالمية بسيطرتها على اجهزة الاعلام فى غرب اوروبا وامريكا قد شكلت ووجهت الراي العام فى هذه البلاد بحيث اصبحت سيدة الموقف فيما يخص اي مصدر للمعلومات والاخبار عن قضايا العالم عموما ، وقضايا الشرق الاوسط على الخصوص .

ومن حين لآخر يسمع صوت من تحت الضوضاء الهائلة لينطق كلمة حق ، او تبدو شعلة داخل الظلام الدامس لتسلط الضوء على القذارة المكنوسة تحت الزوايا السياسية ، والجثث المعفنة داخل دواليبها .

وهذا المقال هو احد تلك الاصوات والشعل التى ما تلبث ضوضاء الصهيونية وعواطفها ان تختنق وتطفىء !

وهذا هو المقال :

« لا مهـرب ليهود امريكا الصهيونيين من مسؤوليتهم عن الازمة الدولية بالشرق الاوسط . هذه الازمة التى واجهت الولايات المتحدة باعظم تهديد لوجودها فى التاريخ ـ الهزيمة على يد روسيا بحرب ذرية . ويمكن تشبيه الولايات المتحدة اليوم «بشخص رجله فى القبر ، والرجل الاخرى على قشر موزة » . وفى مثل هذا الوضع تكون خطوة واحدة فى الاتجاه الخاطيء مؤدية للموت . وتجاه ذلك الخطر من طرف العارفين بوجوده ، والجهل به من طرف من لا سبب عندهم للشك فى وجوده ، يعني الكوارث لهذا البلد .

وتوجد مسؤولية الصهاينة من يهود امريكا فى تأييد ثورة يهود شرق اوروبا المسلحة فى فلسطين واعلانهم لها « دولة ذات سيادة » فى 15 ماي 1948، خلافا لما تعارفت عليه جميع الشعوب والقوانين الدولية من اقدم العصور .

واعترف الرئيس ترومان باستقلال تلك الدولة الزائفة ، نيابة عن بلاده ، بعد اعلانها بسبع دقائق ، وعلى بعد سبعة آلاف ميل ، وعلى يد عصابة من الاجانب زرعت فى فلسطين لذلك الغرض .

اعترف الرئيس «ترومان» بالثورة المسلحة بمساعدة وزير خارجيته الجنرال جورج مارشال ، ووزير الدفاع الحالي « كلارك كليفورد » . كان ذلك الاعتراف السريع هو ما دفعه «ترومان» لصهاينة الولايات المتحدة ثمنا لمساعدتهم الفعالة له فى انتخابات سنة 1948 التى اعيد فيها انتخابه .

ويرجع تاريخ املاء الصهيونيين على الولايات المتحدة سياستها الخارجية في الشرق الاوسط الى عهد الرئيس « وود رو ويلسون » الذي تم انتخابه سنة 1912 خلفا للرئيس « تافت »

كان تافت قد رفض الانصياع لانذار « جيكوب شيفس » في سنة 1907 بان يقطع العلاقات مع روسيا وينهي اتفاق الصداقة بينهما ، الامر الذي كان يطالب به صهاينة الولايات المتحدة في ذلك الوقت . وهدد «شيفس» الرئيس «تافت» : في مقابلة بالبيت الابيض ، بالانتقام اذ رفض هذا تلبية طلبه . حدث هذا بمحضر سكرتير الرئيس « ارتشيفولد بط » الذي سجل المحادثة كما سمعها في تقرير عن المقابلة .

ونفذ « شيفس » انذاره «لتافت» باسقاطه في انتخابات 1912 كمرشح للحزب الجمهوري ، وخلفه الرئيس « ويلسون » المرشح الديموقراطي .

وهنا يبدأ دور « برنارد باروك » الذي كان العامل الاساسي في هزيمة « تافت » وانتخاب ويلسون .

عمل كاتب هذا المقال ، تحت اشراف السيد « باروك » مع اللجنة الديمقراطية الوطنية سنة 1912، كمساعد سري للسيد « هنري موركنتا » الاكبر ، رئيس اللجنة المالية ، ووالد وزير مالية روزفلت الاول .

وقد اوحت حكمة « باروك » السياسية اليه سوف لن ينجح رئيس ديمقراطي في انتخابات 1912 تحت الظروف القائمة .. وكانت مهمته ايجاد رئيس ديمقراطي يخلف «تافت» .

كانت جاذبية الحزب الديمقراطي للفلاحين هي التجارة الحرة ، لرغبتهم في شراء ما يحتاجون اليه بابخس الاثمان . والتجارة الحرة كانت تسمح للانتاج الاوروبي الرخيص ان يدخل البلد بثمن بخس .

وكان الجنوب والغرب فلاحيان. وجاذبية التجارة الحرة جعلت الفلاحين يناصرون الحزب الديموقراطي .

اما جاذبية الحزب الجمهوري فكانت في الضرائب العالية . وكانت الصناعة والعمال بالشمال تفضلان الاسعار العالية لحماية ارباح الصناعة واجور العمال من اليد العاملة الاوربية الرخيصة . وبعد الازمة الاقتصادية التي نتجت عن حرية التجارة الديموقراطية انهزم الحزب الديموقراطي في الانتخابات سنة 1896 وخلفه الحزب الجمهوري المحبذ لارتفاع الاسعار .

وتمتعت الصناعة والعمال بالرفاهية مدة عشرين سنة تحت حكم الجمهوريين، وقانون ارتفاع الضرائب. وكان من المستحيل انتخاب رئيس ديموقراطي سنة 1912 بعد فشلهم السابق . فقد كانت الولايات الصناعية المزدحمة بالسكان والحائزة على اكبر عدد من الاصوات الانتخابية ، ضمانا لانتخاب رئيس جمهوري . وكان للولايات الفلاحية في الجنوب والغرب سكان قليلون واصوات اقل . لذلك كان يبدو انتخاب الرئيس « ويلسون » في سنة 1912 مستحيلا .

ولكن دهاء « باروك » خرج بالستراتيجية التي ضمنت نجاح الرئيس «ويلسون» في تلك السنة .

اقتنع «باروك» بامكان انتخاب رئيس ديمقراطي لو اتيح لحزب جديد ان يولد ويشطر الحزب الجمهوري شطرين . وبذلك يقسم اصوات الجمهوريين بين مرشحين منهما ، ويفوز الحزب الديمقراطي الموحد .

وذلك بالضبط ما حدث في انتخابات 1912 . لم يكن صعبا اخراج الرئيس السابق « روزفلت » من الكافور السياسي باقناعه انه رجل الساعة الذي لاغنى عنه . ومن ثم نشأ حزب « الثور والوعل » وعلى راسه «روزفلت» كمرشح ليخلف الرئيس « تافت ». وانقسمت اصوات الجمهوريين بين الحزب الجمهوري وحزب « الثور والوعل » ، فكانت النتيجة ان نجح الرئيس « ويلسون » ، مرشح الحزب الديمقراطي ، باقل من اغلبية الاصوات الشعبية .

وكما كان السيد « باروك » يقول دائما لكاتب هذا المقال : « كل شيء يبدو مستحيلا حتى يحدث ». وما اصدق ما قال !

وكاتب هذا المقال الذي عمل كمساعد سري لرئيس اللجنة المالية المتفرعة عن اللجنة الديموقراطية الوطنية ، كان قريبا من اعضاء اللجنة اثناء الحملة الانتخابية كلها ، وخصوصا السيد « باروك » والسيد «مورجنثا» الاب . عرف كاتب هذا المقال السيد «باروك» منذ ميلاد الكاتب حتى وفاة «باروك» . الدكتور «سيمون باروك» اب برنارد ، كان طبيب عائلة الكاتب والمساعد في ولادته . وقد رافق

« باروك » الصغير اخت الكاتب مدة طويلة . وكان زائرا مواظبا لمدينتنا ودارنا ولم تكن هناك اسرار في حملة 1912 عن اللجنة الديمقراطيــة الوطنيــة لــم يعرفها الكاتب .

مسـألة واحدة بقيت خفية عن الجمهور وما تزال حتى يومنا هذا ، وهي ان ممـولي حملــة الرئيـــس السابق « روزفلت » .

كان قد قيل لجميع المساندين ماليا « لويلسون »، انه لا امل في نجاحــه ما لــم يســانــدوا خصمــه الجمهوري « روزفلت ».

وكاتب هذا المقال يذكر كيف كان اعضاء اللجنة ، بعد انتهاء الاجتماعات الرسميــة في المــركز بـ 200 الشارع الخامس ، يلتفت بعضهم الى بعض ويتساءلون متضاحكين : « يا ترى ماذا يفعل مرشحنا الآخر ؟ »

ولم يعــرف مسانـدوا الرئــيس السابــق « روزفلت » مصدر الاموال التي جعلت حملته ممكنة .

بقي الرئيس « ويلسون » مدينا «لباروك» عـلى المهارة التي ابداها في خلق الحرب الثالث ، فاظهـر امتنانه له عقب نشوب الحرب العالمية الاولى بقليـل ، بتعيينه رئيسا للجنة الصناعات الحربية .

في بداية الحرب الاولى كانت ثـروة «بـاروك» تقدر بمليون دولار واحد ، واصبحت بعد الحرب تقدر بين 300 و 400 مليون دولار .

كانت الولايات المتحدة في بداية الحرب تعــاني ازمة اقتصادية خانقة، واسهم الشركات الكبرى كانت تباع بازهد الاسعار . وكان السيد باروك في وظيــف يؤهله لمعرفة الشركة التي ستمنح صفقات الصناعــة الحربية المربحة قبل ان تذاع على الجمهــور . وقـــد تصاعدت اسهم تلك الشركات حالا بعد عقدها تلــك الصفقات تصاعدا صاروخيا . وقد جمع « بـاروك » ثروته بالاستثمار الواسع في اسهم تلك الشــركات ، واقتنى شركة « ديلون ريد وشركاؤه » البنكية بعــد الحرب العالمية الاولى . وكان قد اصبح من القــوة السياسية قبيل الحرب الثانية بحيث كان في امكانه تعيين السـيد « جيمس فورسطال » مدير مؤسسـتـه البنكية « ديلون ريد وشركاؤه » وزيـرا للدفــاع في الحرب العالمية الثانية .

وبما ان وزير الدفاع كان صنيعة «باروك» فقد طالبه صهاينة الولايات المتحدة ان يعمل برايهم فيــما يخص اطماعهم في فلسطين . ورفض فورسطـال ان يتسلم اوامره منهم ، واصر على اتخاذ قراراته منهم عن الشرق الاوسط في صالح الولايات المتحدة ، وليس في صالح الصهاينة اليهود هناك . ومما لا شك فيه ان موته كانت لها علاقة قوية بموقفه هذا ، فقد كلفه اصراره صداقة «باروك» وحياته !

× × ×

بعد نشوب الحرب العالمية الاولى سنــة 1914 اذاعت بريطانيا على العالم ان الحرب ستنتهي في عيد الميلاد ، اي خلال ستة اشهر ، واعلنت الصحف الخبر بمنشيطات ضخمة : « الجنود سيعودون من الخنادق لاهلهم في عيد الميلاد ».

كانت فرنسا وروسيا حليفتــي بريطانيــا في الحرب الاولى، وكانت النمســا والمجــر ، وايطاليــا حليفات المانيا .

كانت المانيا المنتصرة في خريف 1916 قد منحت بريطانيا المهزومة شروط سلام كريم . عرضت ان تعيد لجميع خصومها سيادتهم السياسية ومستعمراتهــم التي كانت لهم قبل الحرب . وجاء عرض المانــيا السخي مفاجأة للعالم كله . كانت المانيا محتلة لجميع غرب أوروبا ، وغواصاتها قد حصدت جميع اساطيل بريطانيا التي كانت تحمل العتاد والذخيرة ، ولم يبق لبريطانيا من مخزون الطعام الا ما يكفي لاسبوع واحد. ومعنى ذلك انها ستواجه المجاعة لو استمرت الحرب. وكانت فرنسـا قد فقدت 700 الف من خيرة شبابها في سنة الحــرب الاولى في معركتــي « الصــم » و « ميوز » ، والفرنسيون يتساءلون لماذا يحاربون ؟

وكان الالمانيون في اعقــاب الجيـش الــروسي المنسحب بسرعة صعب معها عليهم البقاء على اتصال بهم . واضطر الجنرال البريطاني « هيج » ان يسحب جيوشه المقاتلة في فرنسـا الى الصفوف الخلفية لفراغ وفاضها من الذخيرة .

وفي خريف 1916 لم يكــن لبريطانيــا حليــف مستعد للحرب او قادر عليــها . فرنسا وروسيــا انتهى مفعولهما في الحرب ، واصبحت مساعدتهمــا لبريطانيا غير ذات جدوى . ورغم انتصار المانيا فانها لم تطلب خصومها بالتعويضات . وعرض السلام الذي قدمته كان سببه رغبتها في اعادة اوروبا الى حالهــا قبل بداية تلك الحرب . كانت رغبة المانيا صادقة في انهاء الحرب على ذلك الاسـاس كضمان لسلام أوروبــا الدائم في صالح المانيا .

وكان مجلس وزراء بريطانيا يدرس بجد قبول عرض المانيا فى الحال . وقاطع اجتماع مجلس الوزراء « جيمس مالكولم » بملتمس قدمه الى السيد « مارك سايكس » احد نواب وزير الحرب البريطاني .

والسيد « جيمس مالكولم » كان يهوديا صهيونيا من عائلة غنية فى ايران كانت تمثل المصالح البريطانية هناك من قرون . وكان «مالكولم» احد مستشاري الحكومة البريطانية عن الشرق الاوسط اثناء الحرب العالمية الاولى وله صلة رسمية قريبة بديوان الحرب البريطاني . لذلك اختير من طرف صهاينة بريطانيا ليتدخل لدى ديوان الحرب ، ويقدم ملتمسهم قبل ان تقبل بريطانيا عرض المانيا . ولم يضيعوا اي وقت !

وتقدم الدكتور حايم وايزمان ، الصهيوني البولوني ، والسيد ناحوم سوكولوف ، الصهيوني الروسي ، والسيد صامويل لاندمان ، الصهيوني البريطاني بملتمس المنظمة الصهيونية العالمية لديوان الحرب البريطاني، وكان ملخص العرض ان يضغط الصهاينة الامريكيون على حكومة الولايات المتحدة لتدخل الحرب حليفة لبريطانيا على ان تسلم هذه فلسطين لهم بعد الحرب .

وبعد دراسة قصيرة للعرض قرر ديوان الحرب البريطاني قبوله واعطاء الوعد بفلسطين بعد الحرب .

كان ديوان الحرب البريطاني يعتقد جازما ان المانيا يمكن ان تهزم لو دخلت الولايات المتحدة الحرب حليفة لبريطانيا. وهزيمة المانيا كانت تعني حل الامبراطورية العثمانية ، حليفة المانية ، وتوزيعها غنيمة حربية مغرية .

ونجح صهاينة الولايات المتحدة فى الدفع بها الى الحرب ضد المانيا فى 16 ابريل 1917 بدون مبرر ولا استفزاز من جهة المانيا . اعلن الرئيس ويلسون (المرشح الصهيوني) الحرب على المانيا لاغراقها الباخرة « ساسكس » فى القنال الانجليزي — وتبين بعد فوات الاوان انها لم تغرق !

واشنطن — احمد عبد السلام البقالي

— للموضوع بقية —





في دنيا الفكر الاسلامي شخصيات موهوبة ، تظل مهما تقادم عليها الزمن ، باهرة السنا ، قوية الاشراق ..

من هذه الشخصيات الحكيم الاشراقي شهاب الدين السهروردي ..

لقد عاش هذا الفيلسوف المفكر ، حياة قصيرة ..

ورغم قصرها فقد ترك للتراث الانساني الكثير من التأملات الفلسفية والنزعات الربانية ، ونفحات من الشعر الصوفي تفصح عن هواجسه الوجدية الوثيقة الاتصال بالذات الالهية ..

وقصة حياته مأساة من مآسي الفكر التي يواجهها الفلاسفة والمفكرون والمصلحون من اصحاب العقائد .

فقد ذهب ضحية التزمت وضيق الفكر في الفترة التي اكتمل فيها نضجه العقلي وكان من الممكن ان يترك للانسانية ذخائر من المؤلفات اكثر مما تركه، ـ وقد ترك الكثير الكثير ـ وكلها تتسم بالفكر المتمع ، والذهن الوقاد ، والنزعة الروحية ، والايمان الصادق في اطار من الفلسفة الاشراقية التي وضع اسسها وشرحها اوفى شرح .

. . . .

فمن هو السهروردي ؟

الذين عرفوا في تاريخ العقلية الاسلامية بالسهروردي اكثر من مفكر واحد . وجميعهم اشتهر بالفضل والعلم والادب ، ولكن الذى يعنينا من هذه اللمحة ، هو السهروردي الذى قتل في حلب لاتهامه بالتعطيل والزندقة بعد ان سجل الفقهاء وثيقة كفره.

ولد في سهرورد ، وهي بلدة في العراق العجمي ، قريبة من زنجان ، من اعمال اذربيجان ، لم يكد يشب عن الطوق ويأخذ بحظ من الثقافة الاسلامية حتى ضاق ببلده .. فعزم الرحال .. ليروي ظماه من العلم اكثر فاكثر .. وسرعان ما قرر السفر ..

اخذ يغذ السير ليل نهار في الطرقات الموحشة، يصعد الجبال ويهبط الاودية وما زال يطوي البلاد حتى بلغ مدينة حلب ـ المدينة التي تخفق عليها رايات صلاح الدين .

واذا علمنا ان منبت السلطان صلاح الدين الايوبي من « دوين » ، وهي بلدة من اعمال اذربيجان ادركنا الصلة التي تربطه بهذه الاسرة التي لعبت اكبر دور في تاريخ الاسلام السياسي في القرن السادس الهجري .. ولاسيما وكانت حلب في تلك الفترة في عهد الملك الظاهر ابي منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين ـ كانت تغص بافاضل الرجال من مختلف الطبقات .

فما كاد يصل الى مدينة الحمدانيين يحمل في وفاضه الحكمة والعلم والمعرفة حتى التف حوله العلماء ، رحبوا به اجمل ترحيب وانزلوه من نفوسهم ارحب منزلة .. وحين استقر في مدرسة « الحلاوية » ، وبعد ان حضر دروس شيخها الشريف افتخار الدين بدا العلماء يناقشونه في شتى فروع العلم

لقد تباحث معه الفقهاء من تلاميذ الشيخ وغيرهم ، ناظرهم جميعا فى عدة مسائل فلم يجاره احد منهم ، بل ظهر عليهم ..

وظهر فضله للشيخ افتخار الدين فقرب مجلسه وادناه .. وعرفت مكانته فى المجتمع الحلبي، ولاسيما عند الطبقات المفكرة ..

واحب الشيخ افتخار الدين ان يقدمه الى السلطان كموهبة من المواهب الفذة فى شتى شؤون المعرفة .. واعلم السهروردي بذلك فاضطرب لا من المقابلة بل من مظهره ، اذ لم يكن فى هذا المظهر الذى يليق به ان يقابل الملوك والوزراء .. لقد ازدرى كل شيء فى الحياة ، وقنع بكفاف العيش ــ اردرى نفسه كانسان فلم يهتم بما يهتم به الناس من مظاهر ، فكان زري الثياب ، زري الهيئة ، لم يكن يهتم الا بشؤون الفكر وقضايا النفس ، وهذه سمة ظاهرة للمفكرين العلماء ، بله المتصوفين الذين يعروهم الذهول فى الكثير من الحالات فينسون انفسهم ، ولا يهتمون للمظاهر العرضية بقدر اهتمامهم بما هم مشغولون به من جواهر الامور وحقائقها وصفا زريا منكرا[1] ..

كان ــ على حد قولهم ــ زري الخلقة ، دنس الثياب ، وسخ البدن ، لا يغسل له ثوبا ولا جسما ولا يدا !! ولا يقص ظفرا ولا شعرا

ولم يكتفوا بان حملوه كل هذه الاقذار الدنيوية بل زادوا عليها قولهم :

وكان القمل يتناثر على وجهه ، ويسعى الى ثيابه ، وكل من رآه يهرب منه !!

وما اظن انه كان فى هذه الحالة الزرية ، وهو على ما هو عليه من سمو الحكمة وفرط الذكاء .

ربما تغلبت صوفيته على مظهره وهندامه ولكن ان يكون بالمظهر الذى وصف به فهو لون من الافراط والغلو فى التشويه ..

ولا شك ان خصومه ، وقد تغلب عليهم فى مناظراته ، قد صوروه بهذه الصورة الكريهة البشعة ليحولوا بينه وبين مقابلة السلطان ..

ولكنا وقد عرفنا بعض خصائص الظاهر وميله الى العلماء والحكماء ــ مهما كان مظهرهم ــ نستطيع ان نجزم بانه لم يلتفت الى اقوال البطانة والحساد ، بل اخذ براى الشيخ افتخار الدين ، فاستقبل السهروردي فى قصره ورحب به اجمل ترحيب . وما كاد هذا العالم الشاب الذى تجلبب بلباس الحكمة والتصوف يفيض فى الحديث حتى لمح فيه سمو الحكمة واشراق الذهن ، فقربه ، واقبل عليه ، ــ وتخصص به كما يقول المؤرخون ــ مما ادى الى ازدياد غيظ حساده من انصاف العلماء ورميه بالزندقة والالحاد !..

الا ان الملك الظاهر لم يلتفت الى دسائسهم واكاذيبهم ، ولا الى دنيء حيلهم وخسيس مؤامراتهم، فقد تحدث اليه فى ادق الشؤون العقلية والدينية فعرف صفاء عقيدته ونقاء طويته فازداد عطفه عليه ، واحسانه اليه ، مما جعل حاسديه يزدادون غيظا ، وتثور ثائرتهم عليه وحنقهم على الملك !..

ــ 2 ــ

تساءل الفقهاء فيما بينهم كيف العمل وقد اصبح هذا الزنديق صفي السلطان ؟..

ولم يطل تساؤلهم .. ولم تطل حيرتهم فقد قر رايهم ان لا بد من مكيدة تودي بحياته ..

ويا ويل العلم حين تتألب عليه جموع الجهلاء
ويا لمصيبة الفكر اذا تآمر عليه الجامدون

ويا لمصرع الحرية اذا حوربت بجبروت الطغاة ..

وقد تنادى فقهاء حلب للقضاء على السهروردي الحكيم الاشراقي والمفكر الحر ..

ولا شك انهم خطبوا على المنابر ، واثاروا ثائرة الجمهور ، واستفزوا شعوره الديني .. ثم جمعوا جموعهم ووراءهم جيش من الدهماء وهرعوا الى قصر السلطان لمقابلته بشأن آراء هذا الزنديق ..

وجرت المقابلة الا ان الملك الظاهر وقد عرف هذا الحكيم واستمع الى رايه فى الدين وفى الخالق لم يلتفت الى خزعبلاتهم ، وازدرى دسائسهم .. وكأنى به قد اعتز ان يكون بين علماء مملكته امثال هذا الفيلسوف الشاب الذى اشرب قلبه بأصفى نفحات الدين . فازداد عطفا عليه ، وحبا له وايثاره على الكثيرين من المقربين اليه .

ولما اعيت الفقهاء الحيلة ، وايقنوا ان صاحب حلب لم يصغ اليهم ، لجأوا الى ابيه يستفزون عاطفته الدينية ..

وسيرة صلاح الدين مشهورة بالورع والتقى ، وببغضه كتب الفلاسفة وارباب المنطق وكل من يعاند الشريعة .

والسهروردي فيلسوف وحكيم ومن رجال المنطق

وقد صوروه فى صورة من يعاند الشريعة !.

ويا ويل من يجسر على من يعاند الشريعة او يثير نزعات الحادية فى ذلك العصر الذى يتميز بالطابع الديني !

ان اقل جزاء له هو القتل ..

ولما خابت جهود الفقهاء عند صاحب حلب كتبوا الى ابيه يخبرونه بفساد عقيدة ابنه !

وقالوا : ان صحبته ـ اي صحبة السهروردي للملك الظاهر ـ لن تقتصر على فساد عقيدته بل ستفسد عقائد الناس !..

فما هذا البلاء الذى صبه الله على حلب بنزول هذا الزنديق المعطل ارضها ؟

بذلك صرخ الفقهاء ..

ومما جاء فى رسالتهم الى صلاح الدين هذه الجملة المثيرة :

« ادرك ولدك والا تتلف عقيدته » !

فما كان من صلاح الدين الا ان كتب الى ابنه بابعاده ونفيه ..

ولكن الملك الظاهر ، وهو عليم باسرار المأساة التى اجادوا تمثيلها ، لم ينفذ امر ابيه ، فلم يبعد السهروردي ، وبقي فى حلب ، يحيط به الشباب ويحنو عليه الملك ..

وكانه قد خلق فى حلب حزبين : حزبا يؤيده وحزبا يناوئه ..

كان الشباب وعلى راسهم الملك الظاهر من انصاره

وكان الشيوخ وعلى راسهم السلطان صلاح الدين من خصومه ..

فلمن الغلبة ؟

• • • •

روى القاضي بن شراد ، وهو ثقة لانه عاصر الرجل وشهد مأساة هذا الصراع الفكري العنيف ، قال :

« .. اقمت فى حلب فرايت اهلها مختلفين فيه .. منهم من يصدقه .. ومنهم من يزندقه .. والله اعلم »

ومن المؤسف ان يمر القاضي بن شراد بهذا الصراع ، ويدون مثل هذه الحقيقة التاريخية التى تنير لنا الكثير من غوامض هذا الصراع دون ان يقول لنا رايه فى الرجل او فى هذه المأساة بالذات ..

وعلى كل فان اختلاف الناس فى امره وانقسامهم فريقين .. ثم حماية صاحب حلب له ـ كل هذا يدلنا دلالة ساطعة على ان السهروردي كالكثيرين من العباقرة الموهوبين الذين يختلفون الناس فى امرهم .. ويعتبر هذا الخلاف دليل عظمتهم ونبوغهم

ـ 3 ـ

ضج العلماء من سلوك الملك الظاهر وتحيزه للرجل الذى كشف جهلهم

وكان اكثرهم غيظا وضجيجا واشرهم نقمة الشيخان زين الدين ومجد الدين ابنا حميد .. فما كان منهما الا ان اثارا ثائرة العلماء من جديد فجمعوا جموعهم وتقدموا الى الملك الظاهر يطلبون بالحاح انفاذ امر ابيه ..

ويظهر انهم احرجوه عند ابيه وعند العامة معا . ورأى ان خير طريقة للخروج من هذا الاحراج ان يعقد مجلسا للمناظرة فيما هم فيه مختلفون .

واستمهلهم ان يكتب الى ابيه بذلك ..

فرضوا بهذا الحل ، وكتب الى ابيه .. ولا شك انهم كتبوا الى صلاح الدين ايضا .

ومن المؤسف ان لا تحتفظ لنا كتب التاريخ نص هذه الرسائل وهي وثائق ثمينة فى حرية الفكر ومأساتها الدامية .

• • • •

كتب الظاهر الى ابيه يقول لهانه لابد من مجلس يعقد للمناظرة قبل نفيه ..

فوافق صلاح الدين ، وعقد المجلس ، واحتشد العلماء .. وكان السهروردي اشبه بمتهم ؟

واية تهمة ؟

تهمة معاندة الشريعة وافساد العقائد !.

ولا شك ان جموعا كثيرة كانت ترقب الحكم عليه لانقاذ الدين من نزغات هذا الملحد الثرثار ، بعد ان صانه صلاح الدين من هجمات الكفار !.

. . . .

وناظره العلماء .. وطال الجدل والاخذ والرد وتوجيه الاتهامات ، ونسبة اقوال لم يقلها ، وشنون نقضها باليقين ، ولم يخرج عما جاء به الشرع المبين .. ثم قالوا له :

« .. انك قلت في بعض تصانيفك : ان الله قادر على ان يخلق نبيا .. وهذا مستحيل ..

قال : وما وجه استحالته .. فان الله القادر لا يمتنع عليه شيء ..

. . . .

وتقف كتب التاريخ عند هذا النص .. وما اظن ان المناظرة دارت حول هذه الفقرة فقط .. ولكن من ارخوا له اكتفوا بهذا .. وهي كافية لان يدينوه ..

وقد تداولوا فيما بينهم .. وبعد جدال غير طويل حكموا عليه : بالكفر وجردوه من نعمة الايمان ..

ثم كتبوا وثيقة كفره .. وما هي لحظات حتى اذيعت على الناس وهي تفتي بقتله ..

اين هذه الوثيقة ؟

لقد طوتها الايام ، وكم طوت من وثائق تتصل بتاريخ الفكر

ان جميع من ارخ للملك الظاهر وللسهروردي لم يورد نصها ، واكتفوا جميعهم بالالماع اليها الماعا ، وكنا نود ان نقف على تلك الاتهامات التي صاغها الفقهاء اشباعا لشهوات حسدهم وتغطية لخذلانهم ..

ولكن ما لنا ولتلك الحيثيات ..

فقد نجحت المؤامرة، ورمي السهروردي الذي امتلأ قلبه بالايمان — اتهم بالكفر والبهتان، وحكم عليه بالموت .

وبلغه ذلك .. كما بلغ الملك الظاهر ..

ولا شك ان الملك قد تأثر وجالت الدموع في عينيه ، وان الفيلسوف الشاب قد ايقن ان منيته قد دنت ، وان خصومه قد انتصروا عليه بدسائسهم لا بحججهم وبراهينهم .

وشاءت ارادة الله الذي لا يمتنع عليه شيء ان يكون مصرع هذا الحكيم على يد من اصطفاه وفضله على الكثيرين .

فقد انصاع الملك الظاهر الى فتوى العلماء وصدرت ارادته بتنفيذ الحكم

ولكن كيف ينفذ ؟

ايقتل ؟ ام يصلب ؟ ام يسلم الى عباد الله يقطعون جسمه اربا اربا ؟

يخيل الينا ان الملك الظاهر طلب من صديقه الفيلسوف ان يختار ميتته ، فطلب ان يحبس في مكان ما ، ويمنع عنه الاكل والشرب الى ان يموت ..

وكانما اراد السهروردي ان يمتحن نفسه ، وان يحقق نزعاته الصوفية بهذه الميتة التي ارادها له المتنطعون ..

فحياة الصوفيين لون من العذاب .. او هي الفناء في سبيل الحقائق العليا ..

وليس احب الى نفسه من ان يمتنع عن الاكل، وعن الشرب اياما ، وان يعيش زاهدا ، متقشفا الى ان يلقى ربه .

وهكذا كان الى ان فاضت روحه فيضة طاهرة

— 4 —

لقد حزن صاحب حلب حزنا عميقا لهذه النهاية المؤلمة التي انتهت بها حياة هذا الانسان الموهوب ..

واية ميتة ماتها ؟

في رواية ان الملك الظاهر سجنه ثم خنقه في سجنه بقلعة حلب !

وفي رواية أخرى ان السلطان امر بقتله وصلبه اياما !

وعن سبط ابن الجوزي في تاريخه عن ابن شداد انه قال :

« .. لما كان يوم الجمعة بعد الصلاة في العاشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة اخرج الشهاب السهروردي ميتا من الحبس بحلب فتفرق عنه اصحابه » !

نعم ، تفرقوا عنه وقبعوا في دورهم ينكرون هذا الطغيان الذي مس حرية الفكر

وانتصر القدماء على المحدثين ، او قل انتصر الشيوخ على الشباب

ولا شك ان كثيرا من اشياع السهروردي قد بكوه بدموع غزار ورثوه بقصائد تفيض بالحرقة والانين..

ولكن اين تلك القصائد الصادقة التعبير ؟

لقد ذهبت كماذهب السهروردي، ولم يجسر احد ان يدونها او يحتفظ بها ..

وكان الملك الظاهر في طليعة من بكاه .. فقد ندم على فعلته ، وحقد كثيرا على الذين جروه الى هذا المأزق الحرج الذي اودى بحياة شاب من انبه الشباب واذكاهم فكرا ودراية وعلما وتجردا عن الدنيويات !

نعم ، لقد ندم ولكن ماذا عساه يفعل انتقاما لذكراه ؟

يقول المؤرخون : انه نقم على جميع من افتوا بقتله ، فقبض عليهم ونكبهم وصادر جماعة منهم باموال عظيمة » .

– 5 –

ماذا ترك السهروردي الفكر الانساني خلال هذه الفترة القصيرة من حياته ؟

لقد ترك فيضا من الرسائل والكتب التي تشرح مواجيده الصوفية وفلسفته الاشراقية التي تقوم على « ان الله نور الانوار ، ومصدر جميع الكائنات، فمن نوره خرجت انوار اخرى هي عماد العالم المادي والروحي ، والعقول المفارقة ليست الا وحدات من هذه الانوار تحرك الافلاك وتشرق على نظامها» (1)

فالاشراق، بمدلوله العميق، هو « الكشف » .. اي ظهور الانوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالاشراقات على الانفس عند تجردها .

فمن كلماته ودعواته التي كان يرددها في خلواته :

« الاشراق سبيلك اللهم . ونحن عبيدك
« نعتز بك .. ولا نتذلل لغيرك
« لانك انت المبدأ الاول ، والغاية القصوى
« منك القوة وعليك التكلان
« أعنا على ما أمرت
« وتمم علينا ما انعمت
« ووفقنا لما نحب ونرضى
الــخ ... (2)

ان « الاشراق » هو سبيله الى « الفيض » العلوي – هذا الفيض الذي لا يتجلى الا على من اشرب قلبه بحب الحكمة ، ويرى ان اول الشروع في الحكمة

1 – الانسلاخ عن الدنيا
2 – مشاهدة الانوار الالهية
3 – ما لا نهاية له

لقد ورد السهروردي كل شيء في العالم الى نور الله وفيضه .. وهذا النور هو الاشراق

« واذا كان العالم قد برز من اشراق الله وفيضه ، فالنفس تصل كذلك الى بهجتها بواسطة – الفيض والاشراق – ، فاذا تجردنا عن الملذات الجسمية ، تجلى علينا نور الهي لا ينقطع مدده عنا » .

لا مجال لشرح فلسفة الاشراقية في هذه العجالة وقد شرح آراءه وبسط فلسفته في رسائله وكتبه وهي تؤلف سفرا ضخما في الحكمة الالهية والفلسفة المشرقية ، فمن كتبه : « هياكل النور » ؛ و «حكمة الاشراق » ؛ و « رسائل اصوات اجنحة اسرائيل » و « رسالة مؤنس العشاق » و «مجموعة في الحكمة الالهية » و « كتاب التلويحات اللوحية والعرشية » وهو في ثلاثة علوم : في المنطق والطبيعيات والالهيات وكتاب « المقاومات » و«الالواح العمادية » و « رسالة الغربة الغريبة » وعشرات الرسائل بالفارسية والعربية ، وقد قاربت الخمسين رسالة ، كتبها ولم يبلغ الاربعين من عمره ، فقد قتل وهو في السادسة والثلاثين من عمره الغض ..

. . . .

ونقف هنا لحظات لنعيش مع السهروردي في فيض من مواجيده التي رسم هواجسها في قصائد ومقطوعات ، وهي نفحات كان يتنفس بها عن حالات الوجد التي كانت تنتابه . ولعل اكثر قصائده شيوعا في اروقة الصوفيين قصيدة :

---

(1) هياكل النور ص 28 ، 29
(2) المشارع والمطارحات ص 196

ابـدا تحـن اليـكـم الارواح
ووصالكم ريحانهـا والـــراح
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم
والى لذيذ لقائـكـم ترتـــاح
وارحمـة للعـاشقين تكلفـوا
ستر المحبة والهوى فضـــاح
بالسر ان باحوا تباح دماهـم
وكذا دماء العاشقين تبـــاح
واذا هم كتموا تحدث عنهـم
عند الوشاة المدمع السفـاح
وبدت شواهد للسقام عليهم
فيها لمشكل امرهـم ايضـاح
خفض الجناح لكم وليس عليكم
للصب في خفض الجناح جناح
فالى لقاكم نفســه مشتاقـة
والى رضاكم طرفه طمـــاح
عودوا بنور الوصل في غسق الجفا
فالهجر ليل والوصـال صبـاح
صافاهم فصفوا له ، فقلوبهـم
في نورها المشكاة والمصبـــاح
فتمتعوا والوقت طاب بقربهـم
راق الشراب ورقت الافـراح
يا صاح ليس على المحب ملامة
ان لاح في افق الوصال صباح
لا ذنب للعشاق ان غلب الهوى
كتمانهم فنمى الغرام فبـاحوا
سمحوا بانفسهم وما بخلوا بها
لمـا دروا ان السمـاح ربــاح
ودعاهم راعي الحقـائق دعـوة
فغدوا بها متانسـيـن وراحــوا
ركبوا على سنن الوفاء ودمعهم
بحر، وحادي شوقهـم مـلاح
والله ما طلبوا الوقوف ببابـه
حتى دعوا واتاهـم المفتـاح
لا يطربون لغيـــر ذكر حبيبهـم
أبدا فكل زمـــانهم امـــراح
حضروا فغابوا عن شهود ذواتهم
وتهتكوا لمـا راوه وصاحـــوا
افناهم عنهم وقد كشفت لهم
حجب البقا فتلاشت الارواح
فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهـم
ان التشبـه بالكـرام فـــلاح

قم يا نديم الى المـدام وهاتهـا
فبحانهـا قد دارت الاقـــداح
من كـرم اكـرام بـدن ديانـة
لا خمرة قد داسهـا الفـلاح

ومن شعره الذي يصور دعوته وعزلته وشوقه الى الرحيل قوله :

اقول لجارتي والدمع جـاري
ولي عزم الرحيل عن الديـار
ذريني ان اسيــر ولا تنـوحي
فان الشهب اشرفها السواري
واني في الظـلام رايت ضـوءا
كـان الليـل بـدل بالنهـار
الى كم اجعل الحيـات صحبي
الى كم اجعل التنيـن جـاري
وارضى بالاقامـة في فـلاة
وفي ظلم العناصر اين داري ؟
ويبدو لي من الزوراء بـرق
يذكرني بهـا قـرب المـزار
اذا ابصرت ذاك النـور افنـى
فما ادري يميني من يسـاري

وجارى ابن سينا في عينيته المشهورة :

هبطت اليك من المحل الارفـع
ورقـاء ذات تعـزز وتمنـــع

فقـــــال :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمـى
وصبت لمغناها القديم تشوقـا
وتلفتت نحو الديار فشاقهـا
ربـع عفت اطلالـه فتمزقـا
وقفت تسائله فرد جوابهـــا
رجع الصدى ان لا سبيل الى اللقا
فكانمـا بـرق تالـق بالحمى
ثم انطوى فكانـه مـا ابرقـا

بعد تالق برق هذا الفيلسوف الحكيم وهـذا الشاعر المتصوف ، ولكن سرعان ما انطـوى ؛ الا ان روحه وفلسفته وكتبه ورسائله ، قد تخطت الزمـن، وما تزال صورة حية من تراثنا الاسلامي ، وما تـزال تعطي النور والاشراق ..

حلب : سامي الكيالي

زيارة الوفد المغربي للاتحاد السوفياتي

للأستاذ محمد بنعبد الله

- 3 -

تمتاز مدينة طشقند عاصمة الجمهورية الاوزبكية بحركة علمية واسعة ، ونشاط ثقافي رائع، وتقدم تقني ممتاز، يلحظه الزائر في كل مكان، ومعاهدعلمية للدراسات الاستشراقية ، وقد كشف النقاب اخيرا عن وجود خمسة عشر الف مجلد من المخطوطات العربية تحتوي على ثمانين الفا من المؤلفات القديمة المدونة باللغات العربية والفارسية والاوزبكية واللغات الشرقية الاخرى تضمها مكتبة الاستشراق في طشقند ، وان المخطوطات التي صدرت مؤخرا في هذه المدينة العظيمة تقع في اربع مجلدات ، احتوت على وصف جميع المخطوطات الموجودة في مكتبة اوزبكستان

وان سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية تميزت بتوفر عدد كبير من العلماء الشبان على الدراسات العربية ، اذ هناك خمس عشرة رسالة علمية لنيل الدكتورة قد نوقشت خلال السنوات الاخيرة في الاتحاد السوفياتي تناولت دراسة علمية وادبية واسعة لمؤلفات عدد كبير من الادباء العرب .

وقد وافق اخيرا مجلس وزراء اوزبكستان على مشروع بناء قصر لاتحاد الكتاب والرسامين والمهندسين والصحفيين والملحنين في طشقند حيث بلغت مساحة هذا النادي الضخم 17 000 متر مربع سيكون عبارة عن مجموعة من المراكز المخصصة لعمل الاتحادات على اختلافها .

كما اصدرت اكاديمية العلوم في اوزبكستان كتابا مهما حول الفارابي ودوره في تاريخ الفلسفة حيث تحدث الفيلسوف مظفر كيروليفومو من طشقند في هذا الكتاب عن دور الفارابي في تطوير الفلسفة والعلوم الاجتماعية العربية ، ومكانة افكار هذا المفكر في الفلسفة العالمية ...

وقد زرنا في يومنا الاول لدى اقامتنا بمدينة طشقند مكتبة الادارة الدينية الصاقبة للمركز الاسلامي صحبة الشيخ الجليل المفتي السيد ضياء الدين بباخانوف وهذه المكتبة اسست في عام 1944 حيث كانت لا تحتوي ، اذ ذاك ، الا على شيء قليل من الكتب ، وهي تضم اليوم ما يربو على عشرين الف مجلد من بينها نحو الالفين من المخطوطات التي لا توجد الا في هذه المدينة .

وهي ملك للادارة الدينية ، واكثر كتبها يتعلق بالشؤون الاسلامية كالقرءان والتفسير والحديث والتاريخ والحضارة الاسلامية وعدة كتب بمختلف اللغات الاسلامية .

وفيها من الآثار النفيسة والاعلاق الثمينة نسخة فوتوغرافية من مصحف عثمان رضي الله عنه ، وهو يعتبر من الآثار التي قدمتها الدولة السوفياتية الى المسلمين حيث اهمتت الحكومة بأن تعيد الى المسلمين مقدساتهم وذخائرهم الدينية ..

ففي سنة 1868 ، اي بعد استيلاء القوات القيصرية على سمرقند بوقت قصير عثر حاكم تركستان العسكري على هذا المخطوط القديم القيم في مسجد « خواجه احرار » وارسله الى « المكتبة الامبرطورية » ببطرسبورغ ..



السيد المفتي ضياء الدين يقدم « مصحف عثمان » الشريف الذي يوجد بالمكتبة الى الوفد المغربي .

قالوا : وبايعاز من لنين اعادت السلطة السوفياتية على الفور الى المسلمين هذه الذخيرة القومية التي يحترمونها احتراما عميقا ..

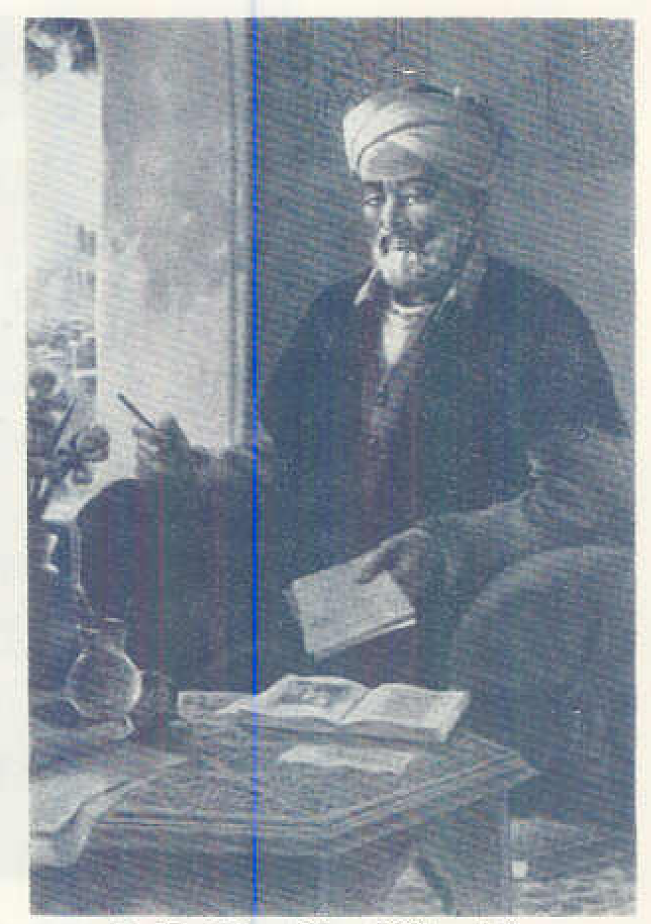
وهكذا اصبح في طشقند ، وفي خزانة الادارة الدينية مصحف عثمان الذي اصبح من جديد من الممتلكات القومية للشعب الاوزبكي ..

وقد ابدى فضيلة الاستاذ سيدي عبد الله كنون شكه في نسبة هذا المصحف الشريف الى سيدنا عثمان ، لان الفن الدقيق الذي كتب به ، وابعاد الحروف الهندسية الجميلة للكلمات، كل ذلك كان بعيدا عن شكل الكتابة المتداولة في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه حيث كانت رسوم الكلمات اذ ذاك غير مستحكمة في الاجادة .

وتقع المكتبة في موقع جميل تحفه الرياض والغياض ، وتجوس المياه خلال دياره ، ويحيط به النور من جميع جهاته ، كما نظمت رفوفها تنظيما يدل على رهافة الذوق، وشعور قوي بالجمال، وعناية بالغة من الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاغستان بشؤون الفكر والثقافة والعلوم الانسانية والاسلامية.

وفي الايام الاخيرة اصدرت هذه المكتبة مجلة شهرية مخصصة لحياة مسلمي شرق الاتحاد السوفياتي باللغة الاوزبكية من مالها الخاص كما انها طبعت نسخا من المصحف الشريف طبعة انيقة ...

اما ادارتها فهي تحت اشراف الشاب الفاضل الاستاذ السيد ابو تراب ابن يونس الذي تخرج في السنوات الاخيرة من كلية القرويين بالمغرب



الشاعر الاوزبكي الكبير عليشر نافوي

وقد وجدنا اثناء اقامتنا بمدينة طشقند مفكري هذه المدينة يستعدون استعدادا كبيرا للاحتفال بذكرى مرور 525 عاما على ولادة الشاعر الاوزبكي السيد عليشرنا فوي ، حيث توافد الى طشقند فى الخريف الماضي عدة ضيوف لحضور الاحتفالات التى اقيمت في الاتحاد السوفياتي بمناسبة ذكرى ميلاد هذا الشاعر الفذ الذى يعتبر موهبة متعددة الجوانب . اشتهر كفيلسوف ومؤرخ ومرب ، وموسيقي ورسام ودبلوماسي ولغوي ...
كما وجدنا علماء اوزبكستان ــ كما اسلفنا آنفا ــ يهتمون بقوائم مؤلفات عليشرنافوي الموجودة بالخارج ... وقد عاد رجل العلوم فى جمهورية اوزبكستان البروفيسور الدكتور فى العلوم اللغوية السيد حميد سليمان من باريس وقد اطلع على كنوز المكتبة الوطنية، حيث ساعده الفرنسيون على اعداد نسخ مصورة، وافلام عن اهم مؤلفات نافوي وارسالها الى متحف نافوي الادبي الذى افتتح اخيرا فى مدينة طشقند التى يوجد بها اكثر من الف قائمة بمؤلفات نافوي ..

ولعل عظمة هذا الرجل الذى يحتفل به احتفالا شيقا فى هذه السنة بمدينة طشقند ترجع الى الدور العظيم الخطير فى تطوير اللغة الادبية الاوزبكية .. ففى مؤلفه اللغوي الشهير « محاكاة اللغتين » بين ان اللغة الاوزبكية التى هي من اقدم لغات الشرق تملك امكانيات واسعة . فبفضل غنى المفردات ، والبنيان الفراماطيقي ، ودقة التلاوين يمكنها ان تكون وسيلة سليمة رائعة للاعراب عن اي فكرة كانت ، وقد كان ابداع عليشر نافوي برهانا ساطعا على ذلك ، فابداع هذا الشاعر يمثل مرحلة هامة فى نهضة الشعر الكلاسيكي فى الشرق .

ويعتبر تراث نافوي الادبي اليوم مدرسة للتربية الخلقية والجمالية لاجيال عديدة فى مختلف البلدان ، فد رعى نافوي فى عصره القاسي العلم والفن والادب ، وناصر فى شعره ونثره العقل وحرية الانسان والوجدان ، وتغنى بالحب الحقيقي ، والصداقة الطاهرة ...

ولهذا الشاعر خمسة دواوين شعرية تربو على 56 الف بيت ، وست قصائد من اكثر من 58 الف بيت ، ومنها لوحات شعرية رائعة مثل « فرحات وشيرين » و « ليلى والمجنون » وقصائد « الكواكب السبعة » و « سد الاسكندر » و « لغة الطيور » ، وله ايضا : ابحاث كثيرة علمية وفلسفية ولغوية وتاريخية ...



تمثال الشاعر والمفكر الاوزبكي الكبير عليشر نافوي الذي عاش فى القرن الخامس عشر

وفى الشهور الاخيرة عثر معهد الاستشراق باكاديمية العلوم الاوزبكية على ديوان هذا الشاعر الذى لم يكن معروفا حتى الآن ، وكان الكتاب موجودا فى مكتبة خاصة فى طشقند ، وهو يحتوي

على اكثر من ستة آلاف سطر . وقد نسخه الكاتب الشخصي للشاعر بخط يده عندما كان حيا ، ويعتبر العثور على هذا الكتاب بمثابة العثور على نسخة بقلم الكاتب نفسه .

وقد ولد نافوي في اواسط القرن الخامس عشر ، في مدينة هراة عاصمة خراسان ، وامضى عهد طفولته وشبابه في بلاط التيموريين ، وتعلم في سمرقند وعاد الى هراة ، وصار كبير وزراء السلطان حسين ، وحامل اختامه ، كما اشترك في تصريف الدولة .

مادبة غداء مع علماء الاسلام بمدينة طشقند :

اقام فضيلة الشيخ المفتي السيد ضياء الدين حفلة غداء تكريما للوفد المغربي بقاعة كبرى مناوحة لمكتبه وادارته .

وقد تناول طعام الغداء على مائدة مسلمي هذه المدينة الحافلة بما لذ وطاب، من انواع الطعام والشراب، علية القوم، واعيان البلد، وكبار الشخصيات العلمية والاسلامية تم فيها تعارف متين بين اعضاء الوفد المغربي وبين اخوانه المسلمين في تلك الاقطار ..

وعقب الانتهاء من هذا الحفل الكريم الرائع الذى تم عن تقدير مكين ، واهتمام بالغ بالوفد المغربي قام السيد ضياء الدين بباخالوف فالقى كلمة رقيقة باسم مسلمي آسيا الوسطى رحب فيها بالوفد المغربي ..

وللعواطف الرقيقة ، والمشاعر النبيلة التى تضمنتها كلمة سيادته فاننا نثبتها للقارىء الكريم ليقف بنفسه على الروح الاسلامية ، والمشاعر الجياشة ، والاخوة الصادقة التى اظهرها المسلمون فى آسيا الوسطى بالاتحاد السوفياتي لاخوانهم المسلمين بالمملكة المغربية . قال سيادته :



السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية يقدم « مصحف الحسن الثاني » عقب الغداء بالادارة الدينية الى السيد ضياء الدين بباخانوف

الحمد لله الذى اعزنا بالاسلام ، وجعل الاخوة الاسلامية اعظم رابطة الى سبل السلام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين ما انقشعت به فى العالم كله ظلمات الكفر والاوهام ، وعلى آله وصحبه الذين سعدوا بكل خدمة للاسلام ، والايمان الى يوم القيام .

اما بعد ، فيسرنا فى هذه اللحظة المباركة ان نرحب بقدوم الوفد الكريم الميمون، فى مدينة طشقند، هذه المدينة القديمة التاريخية ، عاصمة اوزبكستان، وقلوبنا مفعمة بعواطف الاخوة الاسلامية التى تكرمتم بها ، ونعتبرها اثمن ما تملك فى هذه الحياة . ومن فضل الله علينا ، انه قد اقيمت فى هذه الآونة الراهنة العلاقات الدولية على أساس الاخوة والصداقة بين الدول العربية وبين الاتحاد السوفياتي على العموم وبين المملكة المغربية وبينه على الخصوص التى قامت بزرعها وسقيها وبهذه المشاعر نرحب بكم نيابة عن مسلمي آسيا الوسطى وقازاغستان فاهلا بكم وسهلا ومرحبا .

ومما نعتز به اليوم ، ونفتخر به ، ان جمهورية اوزبكستان قد كسبت شرفا عظيما ، بأن تشرف فى رحابها وفد كريم من المملكة المغربية الصديقة زبدة افاضل العصر ، ونخبة فطاحل المغرب ، وعلى راسهم معالي الوزير السيد احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية وبرفقة سعادة السفير المغربي بموسكو ورجال العلم ، وقادة الرأي ، من شتى البلاد المغربية الاسلامية ، ونحن اعضاء الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى نتقدم اليكم بأحر التهاني ، واكمل التحيات ، لقبولكم الدعوة التى وجهت من قبل هذه الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى قازاغستان، ونعرب عن ارتياحنا البالغ وتشكراتنا العميقة لما لقيتم من مشقة السفر التى اخذتكم فى طريقكم الى ارض الاتحاد السوفياتي فجزاكم الله عنا وعن الاسلام خير الجزاء .

وان العالم كله ، وخصوصا العالم الاسلامي ، صار مبتلى بازمات خطيرة على ايدي القوى الاستعمارية ، والدوائر الظالمة ، ولا يزال سماء العالم الاسلامي ملبدا بسحب الاخطار الجسيمة والتحديات الخطيرة ، وهذه مرحلة من احرج مراحل التاريخ ، والمسلمون فيها احوج مما كانوا الى الاستمساك بالقرآن والاستناد اليه ، وان الله يرفع بهذا القرآن اقواما ، ويضع به آخرين والقرآن يدعونا اليوم الى ان نعي ما اودع الله فيه من النواميس والتعاليم ، ان الازمات الماثلة امام اعيننا ، وجبهات المؤامرات ، والجروح الدامية التى اصيبت بها الاقطار الاسلامية العربية على ايدي الاستعمار والصهاينة ، والقوى العدوانية فى الفترة الاخيرة لا تزال آلامها تتفاعل فى القلوب ، ان الكارثة قد ادمت قلب كل نفر من المسلمين .

اصحاب السماحة والفضيلة

نرى من الواجب علينا ان ننقل اليكم شعور المسلمين فى آسيا الوسطى وقازاغستان ، ان طريق البقاء والسلام هو ليس الا طريق التضامن والتكافل على اسس الاخوة واواصر الصداقة ، وسرنا جدا ان تزداد هذه الصداقة التى ترضى كلا الطرفين .

وختاما : فانني اشكر من صميم قلبي قبولكم دعوتنا الى بلاد اخوانكم ليقوى التعارف الذى امرنا الله به بين الشعوب ، كما اشكر جلالة الملك المعظم عاهل المملكة المغربية الحسن الثاني حفظه الله لسماحه بتلبيتكم لهذا التعارف بيننا ، راجيا من المولى العليم ان يقوي التعارف والتعاون الفعلي بين البلدين مع كل من يعمل لاقرار السلام فى الارض . نكرر ابداء ابتهاجنا بلقاء وجوهكم الباسمة المتهللة ، ابقاكم الله ذخرا لخدمة الاسلام ، وانشاء الروابط بين البلاد .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وقد اجابه رئيس الوفد المغربي معالي الوزير الاستاذ السيد احمد بركاش بكلمة مرتجلة جامعة جاء فيها :

« سماحة المفتي ، حضرات السادة : انه لشرف عظيم حظينا به فى هذه الايام السعيدة للاتصال باخواننا المسلمين بآسيا الوسطى وان مولانا صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وايده لم يتردد فى قبول الدعوة الموجهة الى حكومته للقيام بزيارة وفد من مملكته الشريفة الى الاتحاد السوفياتي وآسيا الوسطى .

لقد كان الفضل الاكبر فى هذا اللقاء يرجع الى سماحة المفتي ضياء الدين بباخانوف ذلك الرجل الفذ الذى يعمل على نصرة الاسلام ، وتقريب المسافات الفاصلة بين المسلمين ، وانني بهذه المناسبة لابلغ الى مسلمي آسيا الوسطى والاتحاد السوفياتي تحيات صاحب الجلالة الملك

مدير الادارة الكهربائية بمدينة « تشرشق » يقدم بيانات للوفد المغربي عن المنجزات التى تقوم بها ادارة الكهرباء الحديثة .



صلاة باحد المساجد الموجودة قرب مدينة « تشرشق » الحديثة .

الحسن الثاني نصره الله وايده وتحيات الشعب المغربي المتطلع الى احوال اخوانه المسلمين في الدين والعقيدة.

اما ما ذكره سماحة المفتي من أن العالم يتخبط في كوارث دامية ، سببها الصهاينة والقوى العدوانية في الآونة الاخيرة فانني احيط شريف علم اخواني الكرام بأن صاحب الجلالة نصره الله وايده كان اول من استجاب للدفاع عن الكيان العربي والاسلامي ، فبعث الجيوش والعتاد وارسل الاموال والمساعدات ، وكان حفظه الله اول من دعا الى عقد مؤتمر للقمة تجتمع حوله كلمة الاسلام ، ويستقطب رؤساء العرب والمسلمين لصد العدوان ، ومحاربة الظلم والطغيان » .

وقبل أن نغادر مكان الاحتفال قدم السيد الوزير لامام المسجد نسخة كريمة من مصحف الحسن الثاني وكسوة مغربية خاصة كما اهديت لخزانة المكتبة والمسجد عدة كتب انجزتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ..

في مدينة تشرشق :

في صبيحة يوم الاحد 26–5–1968 توجهنا الى مدينة تشرشق التي تعتبر مدينة حديثة انشئت في عام 1934 . وتضم اليوم هذه المدينة نحو مائة الف نسمة ، وتبعد عن العاصمة ، طشقند ، بنحو ثلاثين كيلومترا .

وقد استقبلنا بحفاوة بالغة ، وتكريم جم ، والي المدينة الصغيرة عند مدخلها ، فتوجهنا ، توا ، الى زيارة المسرح القومي الذي يضم ستة عشر فرقة اهلية تقدم مسرحيات غنائية موسيقية فضلا عن الاغاني الشعبية التي وضعت على أسس جديدة عصرية .

ان بمدينة تشرشق عدة مؤسسات اجتماعية ما بين ثقافية ورياضية يبلغ عددها نحو السبعين مؤسسة ، وقد زرنا احدى المحطات الكهربائية ، وخزان الماء العظيم الذي ينبع من سفح الجبال بفزارة عظيمة . الا ان ادارة المدينة قد نظمته تنظيما محكما اتوماتيكيا بحيث لا تضيع منه اثناء سيره في مجاريه اي نقطة واحدة ...

ويسير ادارة هذه المدينة واجهزتها مسلمون اكفاء ، تخرجوا من اعظم وارقى الجامعات بموسكو والشرق العربي ، وقد عرفوا باللطف والظرف ، ودماثة الاخلاق، وحسن السمت، وجمال التواضع الجم حيث استقبلونا ببالغ الاكرام ، وجميل الحفاوة ، وكريم القرى ...

وفي مسجد « بيت فورغان » الواقع في الطريق الى طشقند تلونا مع جماعة المومنين آيات بينات من سورة « طه » ، وسورة « يس » تخللها درس جامع لبعض الآيات البينات من طرف الاستاذ السيد عبد الرحمان الدكالي الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ختمه بالدعاء الصالح لجماعة المسلمين ، وصالحي المومنين ، ولمولانا المؤيد بالله في جو خاشع مؤثر يغمره الطهر والصفاء .

وقد انثال على هذا المسجد سكان القرية ، واظهروا من الفرح والابتهاج ما يعجز عنه الوصف والبيان ...

وقد تناولنا طعام الغداء على ترعة جميلة في قرية نموذجية للري الجماعي ، شاهدنا خلالها مؤسسات ثقافية ومعيشية في الكولكوز الذي يعتبر نظاما بموجبه ينتقل المزارعون تدريجيا الى نظام الشيوعية ، فقبل سنة 1927 كانت الملكية الزراعية في الاتحاد السوفاتي مجزاة ومشتتة ، وكانت في سنة 1920 تجمع على قرابة 22 مليون استقلالية زراعية وقع التوفيق في وضعها في النظام المعروف بالكولخوز

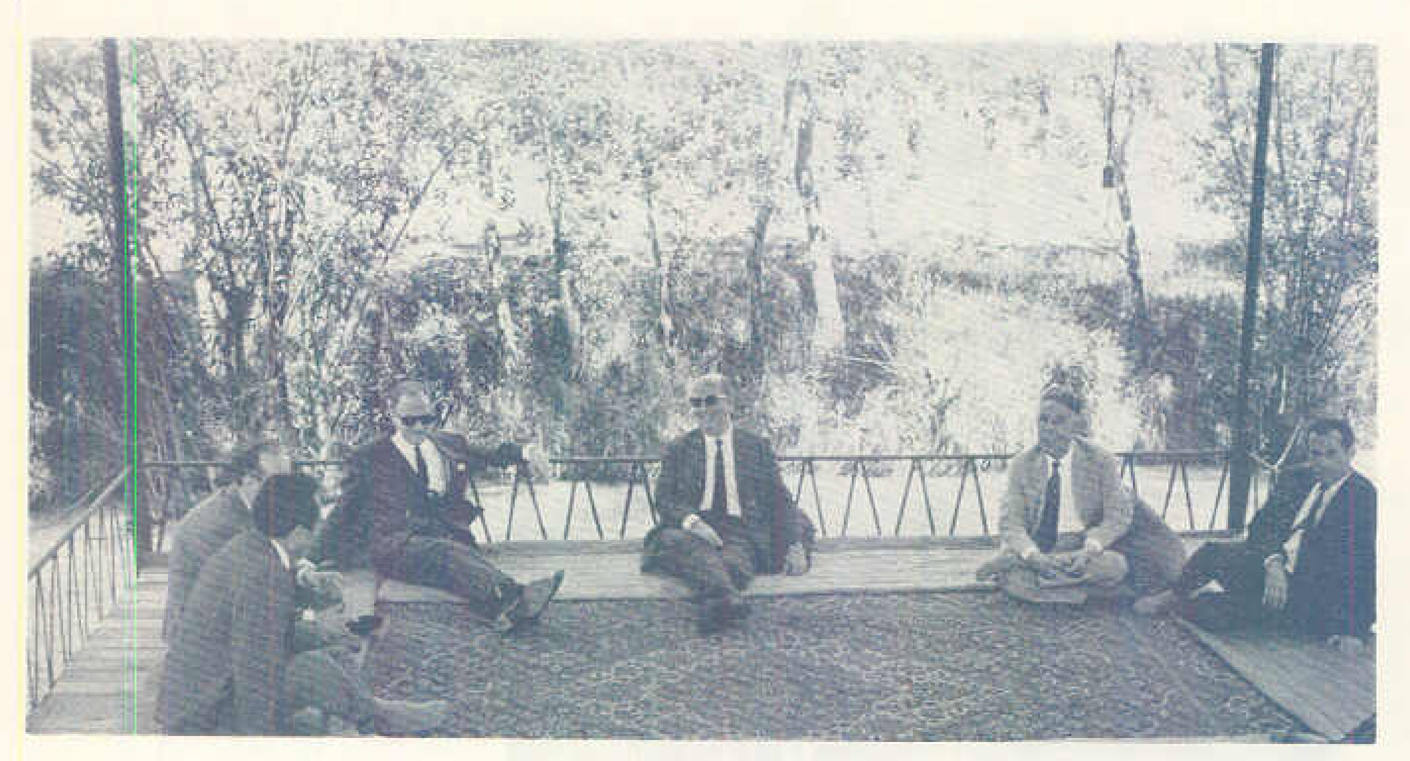
ففي هذا النظام الكولخوزي يعمل المزارعون عملا جماعيا ، ويتقاضون اجرا بقدر ما يقدمون من اعمال، فتقدم المنح للمنتجين ، وبعكس ذلك تفرض العقوبات على عديمي الانتاج وهي طريقة تؤدي الى الرفع من مداخيل المزارعين على اساس زيادة انتاجية عملهم .

ويتمتع كل عضو من اعضاء الكولخوز بضيعة عائلية ذات هكتار او هكتارين ملاصقة لمحل سكناه ، كما له الحق في تربية قطيع يكفي لعائلته .

وقد حضر معنا في هذه القرية النموذجية مهندسون فنيون وكلهم مسلمون مومنون تلقى جلهم دراسته الفلاحية بمعاهد موسكو ومصر وغيرهما من الاقطار

... الى سمرقند :

لقد تعمدت الهيئة المشرفة على رحلتنا ان يكون السفر الى مدينة سمرقند بواسطة السيارات حتى يتسنى لنا ان نقف على المنجزات الضخمة التي تقوم بها ادارة الجمهورية الازبكية في الميدان الفلاحي ..



... تـجـري مـن تحتـهـم الانــهـار ...

وسمرقند تبعد عن العاصمة ، طشقند ، بنحو اربعين وثلاثمائة كيلومتر ، زرنا اثناءها محطة مكننكة وكهربة الزراعة التى تتوفر على احدث الآلات لجني القطـــن وتصفيته مما لا يتوفر وجوده فى مكان آخر فلاحي ..

وفى وقدة الحر ، وحمارة القيظ حيث الشمس اللاهبة تلفح الوجوه ، قطعنا مسافة طويلة كانت قبل اليوم عبارة عن صحراء قفراء ، وصخور جرداء ، ورمال وعساء ، وارض ميتة ، وعطش وجوع اصبحت اليوم بعد عمليات التشجير والتعمير والتطوير ، ومنذ سنة 1934 ، عبارة عن جنات معروشات ، وحدائق غلباء ، وبساتين مغروسات ، وارفة الظلال ، دانية الثمار ذات ريع عميم ، وماء ثر دافق ، وعيون وكنوز ومقام كـريـــم .

وقد قابلنـــا فى قريـــة نموذجيـــة بـ « سهـب الجوع » السـيد خان لظـروف رئيـس استصـلاح الاراضي ، فقدم لنا بيانات مدققة عن المراحـل التى قطعها « سهب الجوع » وفى تطوير العمران وتعميره مبينا لنا كل ذلك على خريطة توضـح لنـا المناطق المجدبة ، والاراضي الماحلة التـى اصبـحت بفضـل السـواعد المفتولة ، والاعضاء المجدولة ، توتي اكلهـــا كل حين باذن ربها ...

و « سهب الجوع » هذا يوجد على الضفـــــة اليسرى لسير داريا - Syr Dana - الذى يعد من انهار الكبرى بآسيا الوسطى ، ومساحة هذا السهب يقدر بمليون ومائتي الف هكتار ، ثلثاها توجد باراضي اوزبكستان ، وتنتج اكثر من نصف مليون من القطن ، اي نفـس مـا كانت تنتجه تقريبا اوزبكستان كلها قبيـل الحـرب العالمية الثانية بيد ان القطن ليس هو الكنز الوحيـد الذى يستخرج اليوم من « سهب الجوع » فهنـــاك فواكه وعنب ، وحبوب وخضر تـوتي اكلها شهيـــا مريئا ..

وما فتئت الدولة الاوزبكستانية تنفق امـــوالا طائلة لتحويل هذه الصحراء القاحلة الجرداء الى جنان خضر ، وحدائق ناضرة يانعة ، كما تخصص لها آلات عصرية من احدث طراز ، وقد انشأت قاعدة مهمـــة لصناعة ادوات البناء ، ووسعت المصانـع والمعامـل ، ومدت السكك الحديدية ، وعبدت طرقا شاسعة ... فالخطوط الكهربائية ، والهاتفية وقنوات الماء والغـاز دخلت الى السهب والرمال التى كـانت قبـل اليـوم محرومة من الحيـــاة ..

لقد بني فى «سهب الجوع» سد اشاردين الذى تبلغ طاقته 5،7 مليار متر مكعب « الف كلم تقريبا من قنوات السقي وازيـد مـن 1300 كلم اخـرى من القنوات تحت الضغط » كل هـذه التدابـير تمكن

جمهوريات آسيا الوسطى وخاصة جمهورية اوزبكستان من تادية مهمة غزو السهب والنواحي المحيطة به فى السنوات العشر المقبلة بحيث قد يصل انتاج القطن السنوي مليون و 300 الف طن ، ومضاعفة انتاج الارز والفواكه ، والعنب ..

فـ «سهب الجوع» يكون اليوم مخبرا عظيما من الاراضي المسقية ، حيث المشاكل العويصة تجد حلها ، ومنطقة سقوية تمكس المستقبل الباسم الذى سيقود الى حياة افضل ، وعيشة راضية .

لقد انشيء فى بداية الامر خمسة عشر كلخوزا صغيرا ، على ان المزارعين قرروا جمع تلك المنشآت الصغيرة الى كلخوز واحد كبير بعد مشاورة فيما بينهم ...

ويعد الكلخوز اليوم بمثابة مدينة صغيرة تحتوي على سبعمائة عائلة ، عدد سكانها ستة الاف نسمة ، تقريبا ، من مختلف الجمهوريات بات كلهم يكون عائلة واحدة ...

واذا تكلمنا عن المنجزات والمنشآت الزراعية والاراضي الخصبة، واستعمال التقنية الزراعية العصرية والنهضة الرائعة للكلخوز ، فان هناك عاملا اساسيا حقق بدون منازع، كل انتصار الكولخوزيين، الا وهو اليد العاملة ، وعملها الجدي .. فالطبيعة كتاب يصعب على الفرد قراءته غير ان الرجال الاوزبكيين الاقوياء، الجادين، احسنوا قراءته ، وتمكنوا من فهمه ، فحالفهم التوفيق والنجاح .

ولا غرو اذا رأينا الكولخوزيين يميلون بطبعهم الى الثقافة والعلم ، فالكبار يتعلمون ، والعائلات تشترك فى الجرائد والمجلات، كما ان جميع البيوت تحتوي على خزانات شخصية مما يساعد على تعميم الثقافة، وذيوع المعرفة، وكثرة الاقبال على الافلام الجيدة ، والسهرات الفنية التى يقيمها الفنانون الهواة ...

ومن المعلوم ان الخطوة الاولى فى حركة الاصلاح الزراعي هناك ان السلطات المركزية الغت الملكيات الكبيرة، والاوقاف المربوطة على الشؤون الدينية !!!

والحقيقة أن الاعمال جارية فى هذه المنطقة الشاسعة التى يتحدث عنها حكام الاتحاد السوفياتي على النظام الكولخوزي فى كل مناسبة ...

ومنذ كانت — قديما — بلاد ما وراء النهر ، التى تشمل شرق نهر جيحون ، وهي تمتاز بارضها الكبيرة، ورقعتها الواسعة، ومواردها الغنية، وسكانها الكثيرين الذين تبدو عليهم علائم الرخاء، ويظهر على اهلها طابع النعمة حتى قال عنها البشاري :

« هذا الجانب اخصب بلاد الله تعالى ، واكثرها خيرا ، وفقها ، وعمارة ، ورغبة فى العلم ، واستقامة فى الدين ، واشد باسا ، واغلظ رقابا ، واسلم صدرا، وارغب فى الجماعات مع يسار وعفة ومعروف وضيافة وتعظيم لمن يفهم »

وقد واصلنا السير طوال الطريق ونحن نلتقي بالعشرات من الشاحنات الضخمة ، والمواسير ذات الحجم الكبير التى تنبيء بالجهود المضاعفة التى تبذل فى هذه المقاطعة لانعاشها اقتصاديا وعمرانيا الى ان وقفنا ، معتبرين ، بالممر العظيم الذى زحف فيه « تيمور (*) » بجيوشه الجرارة الهائلة وسنابك خيوله الى آسيا الصغرى والشرق الاقصى والذى تنحني الرؤوس امامه خاشعة ، وتعود الى الذاكرة تلك الامجاد العظيمة ايام كانت خيوله تذرع اراضي آسيا واوربا وتستولي على الدهر فتى

وبعد سفر طويل وشاق ، اشرفنا على مدينة سمرقند الجميلة عاصمة الصغديين، ومركز تيمورلنك التى كتب فى وصفها ماركو بولو فقال :

« انها مدينة عظيمة ينطق كل حجر فيها بنبل محتد سكانها ، وفيها من الحدائق الغناء ما لا يصل اليه مدى البصر ، وتحوي من الفاكهة والزهور والرياحين كل ما يشتهيه الانسان ، وما تسر لمرآه الاعين »

امام ضريح الامام البخاري

— يتبع — **محمد بنعبد الله**

(*) ولد تيمور عام 736 هـ . فى بلدة كش جنوب سمرقند بنحو 50 ميلا ، وقد عرف فى التاريخ باسم تيمور لنك . ويقصد منها تيمور الاعرج .



الخلاص في الأدب الفرنسي

للأستاذ محمد زفزاف

ان القاريء للادب الفرنسي من غير المسيحيين، ستثيره من غير شك ظاهرة تمسيح هذا الادب، واعطائه الصفة الدينية المحضة، وجعله قالبا واداة شكلية تتضمن مادة ضخمة، هي في جوهرها مباديء دينية مسيحية. ان ظاهرة التمسيح يمكن ان نلمسها في ادب ما قبل القرن العشرين، ثم في هذا القرن بالذات. نقرأ لقصاص ثائر مثل غوستاف فلوبير، قصاص لا يحترم العادات ولا يحترم التقليد، لا يعترف بالمعهود والمألوف، فنجد ان هذه الثورة في نفسه ما هي الا ثورة انسانية على القبيح والرديء والرذيل، من اجل الجميل والحسن والفاضل، ثورة انسان طيب على عالم شرير.

نقرأ في قصته المشهورة « قلب بسيط « Un cœur simple » قصة فتاة كلها انسانية، كلها خير، تحدب على الجميع ولا تكره احدا. تتمنى الموت لنفسها والمرض اذا ما حل موت او مرض بفرد من الاسرة التي تعمل لديها. انها لا تعتقد مع نفسها ان سيدتها او ابناءها يمكن أن يصيبهم مكروه من دونها. ان للقصة اخلاقا مسيحية، فهي مليئة بالحب والايثار. وقصته الاخرى « خرافة القديس جوليان المضياف La légende de St Julien l'Hospitalié

هي قصة – ان شئنا – مسيحية مائة بالمائة. فهي قصة ذلك القديس جوليان الذي يقتل اباه وامه دون قصد (وجدت الحكاية مكتوبة في كنيسة ما.)

وتحت وطأة الذنب غير المقصود يدفع حياته ثمنا وفدية. انه كبطلة قصة « قلب بسيط » يحب كل شيء. فهو في نهاية القصة يعانق رجلا مريضا حتى الموت. وهو قبل ذلك يحاول أن ينقل الناس على ظهر مركبه الرمزي الى شاطيء النجاة. ومثلما نقرأ عن هذه الروح الانسانية لدى فلوبير نقرأها لدى هوجو في اشعاره، ولدى شارل بيغي Ch. Péguy من بعده. كما نقرأها لدى كلوديل وفرانسوا مورياك. فكثيرون هم الذين يحاولون تمسيح الادب، وبالتالي انسنته. او بمعنى أصح، أن ادبهم يريد أن يقول: « المسيحية انسانية » (هكذا وبصورة مباشرة جدا.) ان المرء ليستطيع ان يقف ذاهلا امام عبقرية شعرية خلاقة لدى قراءة قصيدة « الحطاب Le Bûcheron » الطويلة لبيغي او قراءة قصيدته الاخرى « الليل La nuit » انك وانت تقرأ القصيدتين اللتين تستغرقان الصفحات لتشعر بالرهبة امام الملكوت الاعلى. فالكلمة المجنحة تطير بك فوق بساط سحري الى عالم سحري. انت حطاب، ومع ذلك فانت تملك كل شيء. الغابة لك رغم انها لا تملكها. لك فأسك والفاس من الغابة. لك جسدك والجسد يتغذى من الغابة (والغابة في نهاية الامر هي لله.).. اترك لك ابناء من بعدك واعطهم اخلاقا من عندك، اخلاقا انسانية مسيحية (موروثة). لان الناس بعد موتك سيقولون هؤلاء ابناؤك وانت ابوهم فنعم الاب ونعم الاولاد. واحمد ربك على ما في حوزتك لانه مقدورك، واعتمد على

نفسك قبل أن تعتمد على غيرك لان من اعتمد على غيره وجد في ذلك هلاكه ، ولا تثق بأحد في هذه الدنيا لانه كما يقول الكتاب : « بئس هو الانسان الذي يضع ثقته في الانسان . » ان الادب ، وان الكلمة الملونة تستطيع لدى فلوبير ان تقول الكثير والاهم ، وهي لدى بيغي تستطيع ان تقول القليل والأهم . انها في كل ذلك تعبر عما يراد التعبير عنه ، وتؤدي مدلولها الانساني بثقة واخلاص تؤديه في نقاء وصفاء، وبروح نقية طاهرة مخلصة . ان الكلمة اذا وقعت اداة في يد متمرنة حولتها هذه الاخيرة الى شكل صالح ومفيد . سيكون بامكانها ان تحمل اي مدلول يراد لها ، وهي تفعل ذلك ببساطة ، دون هرج او مرج .. لنقرأ كلوديل مثلا في مسرحيته المعروفة « حصة نصف النهار » Partage de Midi فخلف المعنى الشعري ، وخلف الشطحات السحرية للغة ، يسكب الكاتب في ارواحنا ارادته الطيبة وهدفه من الكتابة ، بمعنى ان يبسط لنا الموقف بشكل مريح لا لا يتطلب اجهادا او عسرا في الهضم (هنا اسلوب المباشرة). وسنفهم بسهولة ان هدف المسرحية ما هو الا معالجة موضوع بسيط ، موضوع انساني ملح . موضوع هو في المبادىء المسيحية جدير بالعلاج : « الجسد يرغب في ما لا يرغب فيه العقل ، والعقل يرغب في ما لا يرغب فيه الجسد . » هذا هو الصراع الازلي الذي سيدوم بدوام الانسان على الارض ، وهو صراع اليم .. يستطيع ان يعالج كلوديل الموضوع بهدوء وبرودة اعصاب . ثم ان بامكانه ان لا يقول ما قاله الآخرون بصدده . انه لن يضيف شيئا بالطبع . فالحل موجود . وكل ما في الامر انه يرشدنا اليه . ومن خلال الصراع الدامي ، صراع الغرائز وطغيان الملذات تتولد الدراما : مأساة الانسان على الارض . ولكي يجد الخلاص فهو في الاخلاق المسيحية يلتمس الموت بين يدي الله . اذ كما يقول باسكال : «سعداء هم الذين يموتون ، بشرط ان يموتوا في سبيل الله . او كما يقول القديس اوغسطين St Augustin في الاعترافات « لقد خلقتنا من اجلك ، وستظل قلوبنا في حيرة الى ان تستريح بين يديك ». هذا هو الخلاص ، وهذا هو المبدأ . نقرأه لدى فلوبير ونقرأه لدى هيجو ولدى بيغي ولدى كلوديل . ثم نقرأه — ليس عند هؤلاء فقط — ولكن ايضا عند اندريه جيد . لنفتح كتابه « الباب الضيق « La porte étroite فهذه الرواية ليست في واقع الامر قصة حب بسيطة : رجل وامرأة يتحابان، ولكنها تحملنا الى الملكوت الاعلى . تنقل حبنا من الحسية والحيوانية الى ما فوق ، حيث لا شيء هنا ، في هذا العالم ، اروع من هناك . وسوف نرى هذا بوضوح لدى اليزا ، احدى بطلات القصة التي يحبها جيروم ، البطل الرئيسي في الرواية. ما ان نبدأ في قراءة القصة الا ويحدد لنا اندريه جيد اتجاهه . فكأن مصير الابطال موقوف على المصير الذي اختاره لهم الكاتب . كان جيروم في بداية القصة يستمع في الكنيسة الى الاب يقرأ : « اجهدوا انفسكم للدخول من الباب الضيق ، لان الباب الواسع والطريق الفسيح يؤديان الى الضلال . وكثيرون هم الذين يمرون من هناك . لكن الباب والسبيل اللذين يؤديان الى الحياة ضيقان . وقليلون هم الذين يعثرون عليهما .. » كانت هذه الكلمات بمثابة الحافز لجيروم كي ينهج في حياته سلوكا معينا . في الرواية آلى على نفسه الدخول من الباب الضيق الى الحياة . فقد اباه وهو صغير . وكان عمه وامه هما السندين الرئيسيين له في حياته . اما عمته (وهي امرأة تغلب فيها نداء الجسد على نداء الروح). فلم تكن بذات قيمة في حياته . ان القصة كما قلت قصة حب .. جيروم يحب اليزا حتى العبادة ، وهو يخشى ان يكون حبه عبثا . لكن في نهاية القصة يكتشف القارىء ان اليزا تحبه بدورها حتى العبادة . ويصادف ان اختها جولييت هي الاخرى تحب جيروم ، بطل القصة . وعندما تعلم انه لم يعد في امكانها ان تمتلكه تسقط في اغماءة . انه حب عنيف ، حب قوي ورهيب . تحاول اليزا مع ذلك — شاعرة بمعاناة اختها — ان تضحي بنفسها وحبها من اجلها . لكن جولييت تتزوج ، وحب جيروم واليزا يفشل .. يموت العم ، تموت العمة ، ثم اليزا .. جولييت تلد خمسة اطفال . جيروم دخل الى الحياة من باب ضيق كلفه كثيرا .

ان ما يثيرنا في رواية اندريه جيد هذه هي شخصية اليزا بالذات ، ان الكاتب اكسبها اخلاقا باسكالية . انها مشبعة بالاخلاق المسيحية ، فحبها لله لا يحد ولا يقدر ، واتحادها به هو املها الذي تعيش عليه حتى نهاية حياتها

لنقرأ هذا الحوار الذي يدور بين جيروم وبينها. قال جيروم :

— ان ما ساصبح عليه في المستقبل ، لك وحدك اريده

— ولكن ، يا جيروم ، فانا ايضا استطيع ان اهجرك

— اما انا فلن اهجرك ابدا .

ـ الست بمستطيع السير وحدك ؟ ان كلا منا سيلاقي الله على انفراد

ـ ولكن انت التي سترينني الطريق

ـ لماذا تبحث عن دليل ءاخر غير المسيح ؟ (1)

ومثلما نقرأ هذا عن اليزا البطلة نقراه عن جيروم البطل الرئيسي فى الرواية . « لقد وجهت نظراتي نحو الله ، نحوهذا الذي تصدر عنه المؤاساة الحق ؛ وكل رحمة وكل عطاء . » (2) لكن قمنا قلت ؛ فشخصية اليزا هي الشخصية الوحيدة المثيرة فى الرواية، ان اخلاقها المسيحيةتثير الاعجاب والاندهاش. انها تضحي من اجل الكل ، وسعادتها فى سعادة الآخر. ان حبها الارضي ، لن يعادل ـ طبيعة الحال ـ حبا الهيا اسمى . فهي فى ابتهالاتها اقرب الى الصوفية : « فاذا كانت روحي تنتحب لفقدانه ، اليس من اجل ملاقاتك (يارب) عما قريب » (3) . سوف تظل اليزا امراة محيرة الى نهاية القصة ، حيث تتسرق على شخصيتها . لقد ملأ اندريه جيد روحها بحب لا يوصف ، حب لله ، ورفض لسواه . فهي تدعو الله ان ينقذها من حب جيروم ، تدعوه وتبتهل اليه .. لعله يحقق رجاءها . كل ذلك لتتفرغ لحبه وحده ، وفى النهاية للقائه . اذ ان كل واحد سوف يلاقيه على انفراد . يذهب باسكال فى «الخواطر» الى انه يجب الا نتحاب بحيث نتعلق ببعضنا . لان كل واحد منا سيشغل الاخر ، وسيسرق منه اغلى شيء فى هذا العالم وهو الله الذى يجب ان يملأ كل قلب . ليس معنى هذا ان نتنكر للانسان ، ولكن الولاء لله هو الاولى . ونجد فى هذا المعنى ان اليزا تكتب فى مذكراتها بأن عليها ان تنفصل عن جيروم وان تضحي بحبها ، لانها اذا بقيت متصلة به ، فستكون «الصنم» الوحيد الذى يشغله عن محبة الله ويبعده عن كل فضيلة . وهكذا فان حياة اليزا انما هي حياة المرأة ـ الامكان ، كما يقول كلوديل « انها امكان حدوث شيء » فالقصة هي قصة مشبعة بالمبادىء المسيحية . انها قصة مكملة لخواطر باسكال ، لاشعار بيجي ، وهي لا تختلف عن مبادىء كلوديل وموورياك . انها نزعة صادقة الى تمسيح الادب . لن اتحدث عن الشكل الفني للقصة ، ولكن جيد ككاتب عالمي يستطيع ان يبهرنا بهذا الشكل الذى ليس فيه خلل ، والكلمة لديه رائعة سلسة . وفى الختام ، فان الباب الضيق رواية مسيحية موفقة ، رواية تسجل بصدق مأساة الانسان على الارض قبل لقائه بالله، هذا اللقاء الذى يمثل خلاصا ليس بعده خلاص . ان الرواية تسجل ، مع ذلك ، ـ لا اقول نقطة انطلاق ـ فى الادب المسيحي ، ولكن خطا امتداديا افقيا . ومن الواضح انها صورة نابعة من عقلية مجتمع ما ، لا تبتعد قليلا او كثيرا عن تيار ادبي ، سار فيه الثائرون على العادات والتقاليد والزيف (فلوبير) وسار فيه المتدينون المؤمنون امثال موورياك وكلوديل وتيلار دو شاردان وشارل بيغي وغيرهم . وستظل فكرة الخلاص هي النهاية المستهدفة لابطال قصصهم ، كما انها ستظل المعاني الخلفية لقصائدهم . انها ظاهرة تستحق الاهتمام ، بعيدا عن جميع الاعتبارات الخاصة للناقد والدارس للعمل الفني والادبي ، لانها تعكس قضية مصيرية ، ولانها من ناحية اخرى اثارت اهتمام الكتاب انفسهم ، بوصفهم المعبرين عن قضايا الملايين متدينين كانوا او غير متدينين .

البيضاء : محمد زفزاف

---

1 ـ ص 34 ـ 35 ، طبعة كتاب الغد ، ارتيم فايار 1956 (الاصل الفرنسي)
2 ـ نفس الطبعة . ص 88 .
3 ـ ص 169
4 ـ مقدمة مسرحية Partage de Midi الطبعة الشعبية Le Livre de Poche



للأستاذ : عبد القادر زمامة

146 – امر القاضي بحلق لحيتهـا ...!!

فى الجزء الخاص بجغرافية الاندلس واوربا من كتاب : «المسالك والممالك» لابي عبيد البكري ص 90

– وكان بتطيلة . بعد الاربعمائة من الهجرة او على راسها ، امراة لها لحية كاملة سابغة كلحى الرجال ...!!! وكانت تتصرف فى الاسفار وسائر ما يتصرف فيه الناس . حتى امر القاضي نسوة من القوابل بالنظر اليها ...!! فاحجمن عن ذلك ..! لما عاينه من منظرها ..! فاكرهن على ذلك ..! فاذا بها امراة ...!!!

فامر القاضي بحلق لحيتها ..! وان تتزيا بزي النساء ..! ولا تسافر الا مع ذي محرم ..!!

147 – كذا قيل لابي بكر ..!

فى كتاب نيل الابتهاج للسوداني ص 80
فى ترجمة احمد بن علي الفيلالي ..

= كان يصلي لركن جامع القرويين فعمل الناس فيه عقدا بذلك ثم احضره القاضي فكلمه فقال : انا مقر بهذا العقد ..! قال : ولم تفعل ...؟ قال : انا عارف بعلم القوم .. وقد اداني اجتهادي بان القبلة فى الموضع الذى اصلي له ..! وان كان ثم من يعرف شيئا نتكلم معه ..! فاما ان يرجع الي .. او ارجع اليه .. قال له القاضي : اما سمعت قول الناس .. اخطأ مع الناس .. ولا تصب وحدك ...!! قال :

– كذا قيل لابي بكر حين اسلم وحده ..! واخطأ الناس كلهم ..!!

148 – فقيهات ...!

فى كتاب نيل الابتهاج للسوداني .. فى ترجمة مفتي فاس وعالمها عبد الله العبدوسي .. ص 157

= قال الشيخ احمد زروق : كان ابو محمد العبدوسي عالما صالحا مفتيا حملت اليه وانا رضيع (*) ..! ولم ازل اتردد اليه فى ذلك السن لكون جدتي تقرا عليه ...! مع اختيه : فاطمة .. وام هانيء ... وكانتا فقيهتين صالحتين ...!

149 – نعم ..! ورأيت كتابه فى الكتاب ..!!

فى درة الحجال لابن القاضي .. ج 1 ص 188 ..
فى ترجمة محمد الطرسوني ..

= وكانت له فطنة وذكاء .. قال له يوما رئيس الكتاب ابو الحسن بن الجياب .. يتنكت عليه لما ارتسم به من رسم التأديب ...

– هل وقفت على كتاب الجاحظ فى المؤدبين ؟؟ فقال الطرسوني ...

– نعم ..! ورأيت كتابه فى الكتاب ..!!! =

150 – امشي بجنبه ...!!

فى درة الحجال ج 1 ص 19 .. فى ترجمة ابن فركون ..

(*) من المعلوم ان الامام زروق توفي والداه معا قبل سابع ولادته فربته السيدة الصالحة جدته .. تلميذة الامام العبدوسي .. وزوجة القاضي احمد بن العجل الوزروالي ...

=وله ذكاء ..! وكان سريع الجواب ..! يحكى عنه حكايات منها : ان امراة حكم عليها بالذهاب مع زوجها .. فقالت :

ـ والله ... لا امشي وراءه ...!

فقال لها :

ـ امشي بجنبه ..!!

151ـ الغماري الاندلسي ...؟

وجدت فى نهاية الجزء الاول من كتاب احسن المحاضرة) لجلال الدين الاسيوطي .. ص . 231 و ص. 235 وص.239 . ط الموسوعات مقطوعات شعرية لابي الحسن بن علي بن سعيد العنسي مكمل كتاب « المغرب فى حلي المغرب » .

لكن المقطوعة الاولى منسوبة هكذا ...:

نور الدين علي بن سعد الغماري الاندلسي ..!!

كانما النهر صفحة كتبت
اسطرها والنسيم منشئها
لما ابانت عن حسن منظرها
مالت عليها الغصون تقرؤها

والمقطوعة الثانية منسوبة هكذا ...!

نور الدين علي بن سعد الاندلسي ...

لله دولاب يفيض بسلسل
فى روضة قد اينعت افنانا
قد طارحت فيه الحمام بشجوها
وتجيبها وترجع الالحانا
فكانه دنف يطوف بمعهد
يبكي ويسأل فيه عن من بانا
ضاقت مجاري طرفه عن دمعه
فتفتحت اضلاعه اجفانا

اما المقطوعة الثالثة فقد نسبت هكذا ...

لعلي بن سعد المؤرخ ...

من فضل النرجس فهو الذي
يرضى بحكم الورد ان يراس
اما ترى الورد غدا قاعدا
وقام فى خدمته النرجس

والمقطوعات كلها من بنات افكار الشاعر الاندلسي المؤرخ الرحالة نور الدين علي بن سعيد العنسي مكمل كتاب المغرب فى حلي المغرب .. وهي مذكورة فى ترجمته من نفح الطيب كما ان المقطوعة الثانية مذكورة فى كتاب « رايات المبرزين » المطبوع بمدريد سنة 1942 م ..

152 ـ قاض ... اربع مرات

فى درة الحجال لابن القاضي ج 2 ص 320 الترجمة رقم 881 وهي لمسعود بن يحيى المحاربي قاضي الجماعة بغرناطة ... « وهو قاض بن قاض بن قاض بن قاض ... اربع مرات وكان طلبه ضعيفا ...! وكيله فى العام طفيفا ... ! »

153 ـ فانني منه لا أتوب

فى « الحلية » لابي نعيم ج 10 ص 335

« وانشدني محمد بن الحسين قال انشدني الورثاني لابي عبد الله المغربي ...؟؟؟

يا من بعد الوصال ذنبا
كيف اعتذاري من الذنوب
ان كان ذنبي اليك حبي
فانني منه لا اتوب

154 ـ دكانة تطوان بالقرويين ..!

وجدت فى فهرسة المهدي ان سودة المتوفى سنة 1294 هـ. عند ذكر ترجمة شيخه احمد بن عبد السلام السريفي ...

« ولما جلسنا مجلسه سنة ست وكان بين « الخلوة » وبين « دكانة تطوان » من القرويين .. اخذ يحدثنا .. الخ .. »

ثم وجدته اشار الى هذه الدكانة فى ترجمة شيخه ابي عبد الله السنوسي ...

« وكان صاحب الترجمة يدرس مختصر خليل على الدوام بالقرويين بين « دكانة تطوان » و « المستودع » » .

155 ـ بشرك الله بالخير ..!!

فى كتاب نيل الابتهاج السوداني ص 202 عن ترجمته لعلي التجيبي المعروف بالحرالي ..

« ان رجلا راهن جماعة على ان يحرجه ...!! فقالوا : لا تقدر ..! فاتاه وهو يعظ ... وصاح قائلا له : كان ابوك يهوديا ...!! فاسلم ...!!

فنزل من الكرسي .. فظن الرجل انه غضب.. وانه تم له ما رامه .. ! فوصل اليه فخلع عليه قرظية واعطاها له وقال :

ـ بشرك الله بالخير ..! لانك شهدت لابي بالاسلام .

156 — وانالي عكاكيز ..

وجدت في فهرست الرصاع المخطوطة ..

« وذكر لي بعض من كان يلازم الشيخ سيدي أبا القاسم البرزلي رحمه الله وكان صباغا يحفظ اسئلة كثيرة ..! قال : سألت الشيخ سيدي ابا القاسم العبدوسي عن المعلم الصباغ هل يطلب في حقه أن يكون له ثوب للصلاة .. لكثرة ما يرد عليه من اثواب البادية النجسة ..! قال . فاجابني : يستحب له أن يكون له ثوب يصلي فيه كما ذكروا في المرضع ..! قال : فشق ذلك علينا ..! فاتيت الى الشيخ الامام (1) رحمه الله تعالى .. فسألته عن ذلك فقال : يصلي ولا يطلب في حقه ذلك..! وكررت عليه ذلك.. وقلت له يا سيدي : فلان(2) افتى بكذا ...! فقال : لا اقول بهذا .. ودين الله يسر ..! فقلت له يا سيدي .. اتلدك .. واعكز عليك ..؟ فقال :

— تلدني .. وعكز علي .. وانا لي عكاكيز .. اعكز عليهم.

157 — لم يشرب الماء خمس عشرة سنة ..!

في درة الحجال لابن القاضي ج 1 ص 67

في ترجمة احمد بن ابراهيم بن محمد بن شداد

« واصابته علة تسمى الداء الشيخوخي ...! طالت نحو خمس وعشرين سنة ..! وبدلت مزاجه .. حتى اقام نحو الخمس عشرة سنة متوالية لم يشرب فيها ماء .. ! وهو متصرف على قومه في عداد الاصحاء..! »

158 — وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ..!

في درة الحجال ج 1 ص 105 .

في ترجمة ابراهيم بن هلال مفتي سجلماسة ..

« وكانت بينه وبين الشيخ ابن غازي صحبة . وهو الذي بعث لابن غازي باصناف التمر .. لما سأله ابن غازي .. الى ماذا يتنوع بسجلماسة ؟ فبعث اليه بحمل فيه تمرتان من كل صنف . وكتب له مع ذلك .. سألتني عن أصناف التمر . وها هي تصلك .. وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ..! »

159 — اولياء الله ...!

في ترجمة محمد بن عبد الرحمن الانصاري الشاطبي من عنوان الدراية ص 69 .

— سئل الجنيد عن أولياء الله .. فقال ..

— هم شهود القاضي ..! لانهم لا ياتون كبيرة..! ولا يواظبون على صغيرة ..!

160 — فالآن أصبغه حبر يا ..!

في الترجمة التي جمعها ونقلها الشيخ احمد بابا السوداني لابي الفضل ابن النحوي صاحب المنفرجة الشهيرة ..

« ومن ظرفه وكريم خلقه ان شابا من الطلبة بادر للسلام عليه .. فاراق الحبر على ثوبه .. : وكان ابيض.. فخجل .. !

فقال الشيخ : كنت اقول اي لون اصبغ ثوبي ..! فالآن اصبغه حبريا ... ! فبعث به الى الصباغ » .

161 — ... واما ان تطلقني ...!

في كتاب نيل الابتهاج للسوداني على هامش الديباج ص 108 في ترجمة الحسن بن عطية المكناسي..

« حج صاحب الترجمة مع خلق كثير . ورجع لفاس وهم ان يتفرغ للعبادة ..! حتى يموت ..! فقالت له امرأته :

— اما ان ترجع للقضاء .. واما ان تطلقني ..! فانني استأنست ان يخدمني النساء ..! فرجع الى القضاء ..! فبقي خمسة عشر يوما ثم مات .. !

162 — هل هو رجل أو امراة ..؟

في كتاب نيل الابتهاج ص 104 في ترجمة حسن ابن علي المسيلي ..

« ولي قضاء بجاية .. ودخل عليه الموارقة وهو قاضيها .. فالجؤوه لبيعتهم .. ! واكرهوه مع غيره عليها وكانوا يتلثمون ..! ولا يبدون وجوههم ..! فامتنع من البيعة ..! وقال :

— لا نبايع من لا نعرف .. هل هو رجل او امراة..؟»

163 — عاد الدر الى وطنه ... !

في الترجمة التي كتبها ابن القاضي في درة الحجال ج 1 ص 14 لاحمد الرصافي حكاية عنه .

---

1) يقصد البرزلي

2) يقصد العبدوسي

« قال : اخبرني شيخي بمدينة سبتة ابو الحكم مالك بن المرحل قال : كان معنا ابو اسحاق ابراهيم ابن سهل . وقد حسن اسلامه ولازم الجماعة والقراءة. وكان من جملة كتاب ابي علي بن خلاص صاحب سبتة.. الى ان عين ابن خلاص واده رسولا الى المستنصر الحفصي ملك تونس .. ووجه ابن سهل معه .. فركبا البحر في غراب(1).. وسارا الى ان هاج البحر بالسفينة التي كانا فيها ... فغرقا معا ..وكل من كان فيها .. ولم يخرج منهم احد ...!!

ولما اتصل بالمستنصر وفاة ابن سهل في البحر قال : عاد الدر الى وطنه .. !! »

164 — الغصن يحكي قوامك

وجدت من شعر ابي حفص الفاسي هذه الابيات

يا راشق القلب مني
أصبت فاكفف سهامك

ويا كثير التجني
منعت حتى سلامك

وخنت ذمة صب
ما خان قط ذمامك

فاردد علي منامي
فلا عدمت منامك

فمن رأى سوء حالي
بكى علي ولامك

كتبت دالا وميما
لما تسخت لامك

قاسوك بالبدر حسنا
ما الحسن الا غلامك

من أين للبدر قد
فالغصن يحكي قوامك

165 — بهي في بهي في بهي ..!

في رحلة العبدري قصيدة رواها لشيخه : حسن ابن علي القسنطيني المعروف بابن القكون .. وصف فيها رحلته من قسنطينة الى مراكش الحمراء .. جاء فيها ..

ولما جئت (وجدة) همت وجدا
بمختت المعاطف معنوي

وحل رشا (الرباط (2)) رشى رباطي
وتيمني بطرف بابلي

واطلع قطر (فاس) لي شموسا
مغاربهن في قلب الشجي

وما (مكناسة) الا كناس
لاحور ذي جمال يوسفي

وان تسأل عن ارض (سلا) ففيها
ظباء صائدات للكمي

وفي مراكش يا ويح قلبي
اتى الوادي فطم على القرى

بدور بل شموس بل صباح
بهي في بهي في بهي

166 — واصبر على خلطة الكلاب ..!

وجدت من نظم العبدري صاحب الرحلة هذين البيتين :

دنياك مهما اغتررت فيها
كجيفة عرضت للنهاب

ان شئتها فاحتمل اذاها
واصبر على خلطة الكلاب

167 — لجين في عقيق .. وعقيق في ذهب ..!

في آخر الترجمة التي كتبها ابن القاضي لشيخه الفقيه الفرضي يعقوب اليدري .. في درة الحجال ج 2 ص 504 قال :

« ومن انشائه ما انشدنيه :

بكيت وبكيت لخوف الفراق
ففف تر في مدمعي عجب

فهذا لجين جرى في عقيق ..!
وهذا عقيق جرى في ذهب ..!

فاس : عبد القادر زمامة

---

1) نوع من السفن كان معروفا في ذلك العصر ..
2) يعني رباط تازة

ديوان المجلة



لخديها لمقام العالى بالله

الأستاذ محمد معمري الزواوي

خير ذكرى محامد الابرار ... تبعث النور موقظ الاحرار
يستفيد المفكر الحر طرقا ... يقتفيها مريد حسن الثمار
واذا سادت العواطف قلبا ... كان بالطبع منبع الابتكار
يزرع الخير من حواليه حتى ... يحصد الثمر كل من فى الجوار
من قريب تسوقه وحدة النسـ ... ـبة ميلا الى جميل اختيار
او بعيد يريد فى مثل شبه ... ان يعد الكريم فى الاختبار
يسرع الكل فى اكتساب فسيح الـ ... مجد بين الورى بنور افتخار
يزهر الكون من نتائج تاسيـ ... ـس الهدى والهنا ونور الوقار
فلذا نتهج السبيل لذكرى ... من انار الحياة بالآثار
اذ بذكراك يذكر الفضل فيما ... خصك الله فيه من اسرار
من مزايا تفيض قلبك عطفا ... عم كلا بسيله المدرار
وتوليت يافعا عرش ملك ... مزقته اعتدا يد الاشرار
كل جزء يئن تحت ثقال الـ ... ـظلم عسفا بسيئات اعتبار
ذاك يرنو اعتدا لبث احتلال ... باحتيال او قاهر الاجبار
او بتفريق وحدة بنزاع ... بين اخوان نسبة او جوار
لم تزل واصلا جهود اعتدال ... راتقا بالرشاد سوء انكسار
غير وان ومسديا كل خير ... دافق السيل فى السعادة جاري
دائم السعي فى الدفاع عن الاو ... طان والشعب مرضيا للباري
حارس الدين مزهر العلم راع ... لفلاح الرعايا سبل انتشار
والعدو اللدود فى نصب اشرا ... ك قهر العباد بالافتقار
لم تقنعه فى حماية جرم ... سطوة لجحنه فى لظى استعمار

فتجافى اعتدال سير لظلم   سام اهل البلاد شر الضرار
حاكما مجرما غدورا ينفي   لامير البلاد اقصى الديار
نصر الله عبده بعد صبر   ثم اخزى العدو بالاحتقار
ابت للدار حامدا مستقلا   فزت نصرا وانت بالخصم زاري
وجمعت البلاد في وحدة الحكـ   ـم مديرا شؤونها بقرار
حكمة الله في البلاد تجلت   ساطعا نورها بغير تواري
ومن اللطف من اله كريم   ان حباك بفضله الستار
نجلك البر مستحقا لعهد   وارث العرش وارث الاسرار
أن تفض للرعايا فضلك عطفا   فى جميع الوجوه والاختبار
ان سماك في ثقافة مولا   نا الامام يفوق بالاعشار
صنت تهذيبه مثقف رشد   ومجيدا طرق اقتنا الانوار
راعيا منتهى المصير بحزم   يضمن اليسر بعد حسن اختيار
ساعدتك الجهود فيه فاضحى   حسن الورد محكم الاصدار
تابع الرشد في محجتك البيـ   ـضاء حتى انتهت بخير الثمار
فلذا كان خير من ورث العر   ش بحق اذا فاز بالانتصار
مرضيا منك ناجحا في رشاد   في ارتقا المغرب الفسيح الدار
ساعيا للعلا بشعب مطيع   مخلص الحب طاهر الاسرار
فاتحا باهتدا خزائن يسر   للرعايا بنعمة الايثار
فارس العلم فاتحا بكتاب اللـ   ـه اسا لبعث خير انتشار
باذل الجهد كي يكون اعضا   ء اقتدار عماد كل اطار
بانيا للسدود كي يزهر الار   ض بسقي انتاج حسن الثمار
مرشد الصانع اللبيب لاتقا   ن صنيع يفيد ربح اتجار
ربنا انك المجيب لمن يد   عو اضطرارا وكلنا في اضطرار
لك يا رب فاستجبنا اذا ما   جئنا ندعوك كاملي الانكسار
لتديم الفتح المبين ونصرا   لامير العباد والاقطار
انبت الله نجله في كمال الـ   ـعقل والدين ناصع الانوار
ليفيد البلاد منبته الفـ   ـض بحسن الثمار والازهار
فيزين الكمال نيل رجاء الـ   ـحسن الثاني روح خير ازدهار

خديم المقام العالي بالله
محمد معمري الزواوي لطف الله به



طلعت على الدنيا باجمل طلعة ... فسرت بك الآمال والعين قرت

حللت بها مثل العروسة اشرقت ... محاسنها للناس في خير حلة

وابديت للانظار ما تعشق النهى ... وارسلت اشعاعا الى كل مهجة

فطافت بك الافكار تقتبس السنا ... وحفت بك الاحداق من كل وجهة

وهام بك العشاق منذ تالقت ... معانيك في دنيا الوجود وحلت

وابصرك النقاد اجمل روضة ... تفوق بازهار الحجى كل روضة

جمعت ضروب الزهر من روض حكمة ... وقدمت للاذهان اجمل تحفة

ونسقت منها باقة بعد باقة ... تشم بها الاذواق اعطر نفحة

وادنيت للابصار حسن صوامع ... تردد ذكر الله في كل بلدة

وابرزت ما قد ابدع الفن والنهى ... وما اتقن الفنان من نقش قبلة

فهامت بك الافكار ترقص نشوة ... وماست بك الفصحى دلالا وغنت

بزغت بزوغ الشمس في فلك النهى ... ونورت آفاق الحجى بعد ظلمة

وانقذت من قد غره الجهل فاقتفى ... مذاهب بغي او مسالك حيرة

وعشت لسان الصدق يدحض حجة ... يجيء بها البهتان من بعد حجة

ازلت عن الاذهان سحب ضلالة ... وبددت من اجوالها كل غيمة

انرت لها سبل الرشاد فشمرت ... ولولا السنا والنصح منك لضلت

دعوت الى الحق المبين فاسرعت ... اليك قلوب المؤمنين ولبت

وعشت منارا للهداية ساطعا ... يبدد جهل الملحدين بحكمة

وعشت لدين الله اقوى مدافع ... يرد تيار البغي عن خير ملة

وجندت للاصلاح حولك عصبة ... فكانت كما قد شئت اجدر عصبة

مزاياك لا تحصى ونفعك شامل ... ونعماك في الدنيا عن الحصر جلت

انيري لنا سبل الرشاد ونظفي ... عقول بني الانسان من كل وصمة

ودومي كما قد عشت للحق دعوة ... وعيشي كما نهواك افضل دعوة

عليك مع الاجلال الف تحية ... ولولا انتقاد الزوج ارسلت قبلتي

فاس ـ محمد بن علي العلوي



لاحت رباها الخضر شاحبة الرؤى خلف الحدود
حسناء ترفل في السلاسل والقلائل والبرود !
اجري وراها في جنون وهي تمعن في صدودي
كالفجر طلعتها الوضيئة، في ابتسامات الورود
قد قاومت كر الزمان كأنها بنت الخلود !
وأبت روابيها الشوامخ ان تطاطىء للسجود
شمخت بعزتها كما كانت على عهد الجدود
وقفت تراقب من بعيد زحف فتيتها الاسود

❊ ❊ ❊

لاحت فكفكفت الدموع وتاه عقلي في شرود
هذي مغانينا التي خفقت بها حمر البنود
وتجاوبت اصداؤنا فيها كأصوات الرعود
وسقت جحافلنا رباها بالدماء وبالصديد
ابصرتها في النار غارقة وفي كتل الحديد
وسمعت انتها الجريحة في الحنايا كالوقود
ورأيت فيها سادة بالامس كانوا كالعبيد
يتفيأون ظلالها في نضرة العيش الرغيد
في ناطحات للسحاب تطل كالبحر المديد
ورأيت اخوتنا هناك بيوتهم شبه اللحود

غرباء في نظراتهم معنى السيادة والمسود !

يتطلعون على شقائهم الى الافق البعيد

* * *

ولقد وقفت على الديار فلم يطب فيها قعودي

لم تصبني فيها الحسان ولا انثنيت مع القدود

فطفقت اسالها سؤال متيم صب عميد

عصر الحنين فؤاده وبكى وفاء بالعهود

ومتى استطاع الدمع تحطيم الحواجز والسدود ؟

ومتى تحررت الممالك بالأماني والوعود ؟

* * *

يا سبتتي ! رغم الانوف ورغم عجرفة الحسود

هل انت الا درة في تاج مغربي الفتيد !

سرقتك في وضح النهار يد تطالب بالشهود !

ظنوا ابتلاعك لقمة ستساغ يوما بالجحود

ستعود فتيتك الاسود متى افاقت من هجود

تشدو على ربواتك الخضراء قدسي النشيد

ويرفرف العلم المخضب في سماها من جديد

* * *

يا سبتتي ! رغم الانوف ورغم عجرفة الحسود

قسما سيجمعنا الزمان ونلتقي في يوم عيد !!

تطوان ـ محمد الحلوي



« الى رجال قوات العاصفة وأبطالها الاحرار وشهدائها الابرار»

تمزقي الما يا ارض وانصهري ... وازهري غضبة حمراء وانفجري

وعربدي فى دجى الاغلال عاصفة ... هوجاء لاهبة محمومة الشرر

وداهمي بؤر الطغيان هادرة ... كالموت .. كاللعنة النكراء .. كالقدر

واوغلي فى ظلام الليل صاعقة ... واطلقي الرعب فى الآفاق وانتشري

ودمري كل اركان البغاة .. ولا ... لا ترحمي ادمعا صفرا .. ولا تغري

وطوقي كل سجن .. كل معتقل ... واغرقي الارض بالبركان .. وانهمري

ما عز نصر على ايد مقاتلة ... الا لمرضاة وجه الحق لم تثر

اني اكاد ارى الغربان واجفة ... مذعورة تتحاشى الريح بالحذر

والمح الحية الرقطاء واجمة ... امام سيل من النيران مستعر

تجيل اعينها الجرباء خائفة ... امام بحر من الطوفان منحدر

وتصفع الليل اصوات مجلجلة ... تكاد تخطف ظل السمع والبصر

تشق اصداؤها الجوزاء معلنة : ... الله اكبر يا صعلوكة البشر

ما ضاع حق لدى يوما وصاحبه ... حر .. عزيز .. نقي القلب والأزر

انا هنا لم نزل سدا مزمجرة ... حتى نهيل عروش البغي فى الحفر

انا هنا لم نزل ريحا مدمرة ... لم يات ذكر لها فى غابر السير

انا هنا ثورة لا تنتهي ابدا ... حتى يعود صفاء الشمس والقمر

من قال قد مات فينا الثأر وانطفأت ... فينا الشهامة فى دوامة الغير ؟

من قال بعنا الى القرصان موطننا ؟ ... حاشا الرجولة ، حاشا لعنة العصر

* * *

حياكم الله يا ابطال عاصفة ... فى كل سفح لها فتح ومنحدر

حياكم الشرق يا احرار قافلة ... فى كل يوم لها وعد مع الظفر

حياكم الشعر ثوارا يوحدهم ... ثار الملايين رغم المنطق الحجري
تالله والشمس فى الآفاق غائمة ... واللص ينهش ما فى الحقل من ثمر
ما رف حلم على جفن به شجن ... وما جرى نغم حلو على وتر
ولا غفت مقلة وسنى منعمة ... ولا شدا بلبلا فى روضه الفضر

* * *

طلائع الفجر انا ههنا مقل ... ترنو الى موعد للثار منتظر
ترنو معانقة ريحا مقدسة ... تهب لاهبة محمومة الشرر
انا هنا لم تزل تتلو مفاخركم ... وقد غدا الفخر تجوى كل مفتخر
ما ضاع حق وخلف الحق قافلة ... غضبى تخط يداها صفحة القدر

ممدوح مولود

من وحي ذكرى نزول القرآن الكريم

قصة الوحي

للشاعر علال بن الهاشمي الفيلالي

يا ليالي الصيام ما انت الا ... امل عاد .. يا ليالي الصيام
انت ذكرتنا باعظم يوم ... هو ذكرى بداية الاسلام
ونزول القرآن ، والوحي يوحي ... قيل : اقرا .. فانت هادي الانام
فرح «الغار» وانتشى .. وتجلى ... «جبل النور» راقص الاحلام
« (1) رجع الهادي في ارتجاف فؤاد ... «زملوني» .. فالنور يخطو امامي
تلك « زوج الامين » تحنو عليه ... لا تخف .. انت واصل الارحام
كم رحمت الفقير .. والضيف ياوي ... اجتاب من فرحة وابتسام »

* * *

قام يدعو لله والكفر حقد ... لم تهذبه سيرة الايام
ما يزال القوي فى الارض يطغى ... يتباهى بالاثم والاجرام
مكرت مكرها قريش .. وسارت ... مثل اعمى في حالكات الظلام
فجرت غيظها .. ولم يغن شيئا ... ما لديها من قدرة واحتكام
ان للحق ثورة تتحدى ... سطوة المعتدي، وهول الصدام
انه النور شع فى كل قلب ... اي ضرب يجدي ، واي انتقام

* * *

اجمعوا امرهم .. وهموا بغدر ... كيف اعمى الجفون طيف منام
ونجا الصاحبان .. لا عنكبوت ... كان يجدي ، ولا هديل حمام
غير ان الاله شاء حياة ... لوجود عن الهدى متعام

« طلع البدر » فى المدينة اشـهى ... من اغاريد حلوة الانغام

كثر المسلمون .. وانتصر الحـ ... ـق ، وعاش الانسان عيش الوئام

عالم الزيف والخداع تلاشى ... كل ركن من الهوى لانهدام

يا نزول القرآن يا ثورة الفكـ ... ـر على عالم من الأوهام

يا نزول القرآن .. يا ثورة الرو ... ح لتحطيم هالة الاصنام

ما تزال الاصنام فى عصرنا هـ ... ـذا ، وفى حلة من الاعظام

فلسفات من الغواية والشر ... ك ، طغى اليوم موجها المتطامى

يا رسول الاسلام .. انا انتصرنا ... يوم كان القرآن خير نظام

كلما جد موقف .. او تراءى ... اي خطب .. اوصفنا فى انفصام

نستشير القرآن .. ان هداه ... فوق مر السنين والاعوام

اقتصاد ، وشرعة ، واجتماع ، ... ونظام فى حربنا والسلام

ثم تهنا مع المذاهب .. حتى ... ضل عنا سبيلنا المتسامي

ان وحي الاله اسمى واعلى ... بئس فرض الظنون والاوهام

ان ضللنا عن السبيل ، فانا ... سوف نحيا فى وحدة الاسلام

امل قد يطول .. لكن قلوب ... تؤمن اليوم بالغد البسام

* * *

يا ليالي الصيام .. انت خشوع ... انت ذكرى للوحي والالهام

ليلة القدر تغمر الروح حتى ... مطلع الفجر بالمعاني العظام

قسما .. ما غفا بقيثارتي اللحـ ... ـن ، ولكن طلعت ، والجرح دام

فاحمليني على جناحك « للقد ... س ، وصوني عهود قوم كرام

علال بن الهاشمي الفيلالي

---

(1) الابيات الثلاثة التالية اشارة لما جاء فى «صحيح البخاري» من حديث بدء الوحي ء

« ... فرجع بها رسول الله (ص) يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ،فقال : زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة، واخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا، والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ،وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .. »



« الى الذين يكابدون الظما والسراب، والاماني الكذاب ، ويجاهدون الاعداء والعملاء من الخونة الاذناب واشباه لاصدقاء

الى ضحايا القحط الروحي والمادي والعنصرية والديكتاتورية فى كل مكان ولاسيما مكانها مثل امريكا الشمالية وافريقية الجنوبية وآسيا الشرقية واوربا الوسطى.. وفى فلسطين كلها اليوم جمعاء

الى الذين يشهرون السلاح والكلمة والصلاة

الى المحارب والكاتب والراهب

يا الهي ! اين موسيقى المآسي الضاحيه
كنت اشدو واغني للحياة الفانيه
كنت احتال واسقيها كؤوسا باقيه
يا الهي ! لم تاهت عن آساي القافيه
كيف شاهت مثل اسراب الحمام العاويه !
لم تعد تشدو ولا تهتف الا باكيه
لست ابكي مثلها يوما .. واشدو ثانيه
ضاع مني كل شيء ودهتني داهيه !!

* * *

يا الهي لا تشد امنيتي فى راويه
شاب فجري ؛ وطما النهر بارضي العاميه
لم تفجره .. وتنظره الليالي الصاديه
انت ان شئت تدع كل لغاتي شاديه
حرة شادية من صلواتي ساقيه
وتهجر لاغاني القلوب الجافيه
وتظللها بريحان ضلوع حانيه
وتعاجلها بكاس من دماء شافيه

* * *

انت ان لم تهدني تشق الفنون الهاديه
وتجيء جناتها فوضى ونارا كابيه
وتنم اضواؤها بين القلوب الرائيه
كيف امسى نائما مثل قطيع الماشيه
لا ارى فى النغم الضخم يدا او ناصيه
يا الهي مد لي كف الأمان الآسيه
انت يا رب الهي واله الطاغيه
والضحايا والرعايا كلهم والراعيه
لم اجد مثلك امنا فى البلاد العاصيه
انت – سبحانك – لا تاجر اذنا واشيه
او اذى عبد مشوق لقتاد الطاهيه
ليس فى شرع ولا طبع الظلال الراسيه

ليس فى صدق ولا نطق شريط الحاكية
ليس فى بغي قوانين التجني الباغيه

* * *

سوف اشكو الآن يا رب شكاة خافيه
حين تعمى عن صلاتي لك عين صاغيه
وذليل يرتقي بين الرؤوس الجاثيه
مسخته لعنة الرعب حقودا واريه
وشكوكا فتحت فيه كبيت الزانيه
وارى الناس انتحوا عن دعواتي ناحيه
وغفا هاوي المزايا بيننا والهاويه
وشفاه احبلتها اللمزات النابيه
سلحتها شهوة الجوع بنار حاميه
ليس فيها صائم عن جيفة او جافيه
ليس فيها ساكت عن دعوة او داعيه
ليس فيها - رغم كل الحب - قوس حانيه
ليس فيها طوبة مبنية او بانيه
سمم الجبن رؤاها بدماء قاليه
فمشت ترتاب لا تبقى لحب باقيه
لم تعد تلمق الا دم نار ذاويه
او تعري جثة فى ثوب جاري عاريه

* * *

سوف اشكو الآن لا اخشى افتئات الحاكيه
كان للطاغوت مرعى من رقاب عاليه
وله مشنقة من سقي اهلي زاكيه
خلتها مشنقة عزلاء .. ليست شاكيه
حين امست تفتل الشعب حنوطا قانيه
اسرع الناعي الى اعوادها والناعيه
قال : يا بشرى ! انتهى الناس وجاع الطاغيه
وذوت - والحمد لله - المراعي الزاهيه
مات فنى اجسادها كبر الروابي الزاهيه
وخبا العطر واضواء الدماء الساريه

* * *

رب عدني وتعهدني برؤيا صاحيه
باعاصير واشواق ونار واقيه
وابل مجدافي .. ومحرائي بريح عاتيه
واسقني ومضة امن فى الليالي القاسيه
اعط احبابي واعدائي الغنى والعافيه
احي امواتي واحيائي حياة ثانيه
ليذوقوا مرة طعم الحياة الناجيه
من تقارير ومن لغو المنون الهاذيه
واتهامات واحكام جبان طاغيه
.. من منايا لم تمت مثل الحياة الباليه
من وهاد سميت يوم انهدادي ساميه
وغدت - من فرط اخلادي بلادا راقيه

* * *

يا الهي اتقى دمي نقس الندى والقافيه
يملأ النور صحارانا عيونا جاريه
رب لا تله الاعاصير ببيد خاويه
لا تدع اهلي - اذن - مثلي جلودا كاسيه
احيهم قبلي وامم صلواتي الزاهيه
احيهم يا رب واشنقني وصادر كاسيه
لا تذرهم سجناء الظلمات الخاليه
يعصرون العمر عميانا كثور الساقيه
لا تذرهم جثثا خلف الحياة الناسيه
واجرهم من عذاب النار يوم الغاشيه
يوم لا تخفى - لحسن الحظ - منهم خافيه
حيث لا يقتل مقتول بشكوى ثانيه
لا .. ولا يؤخذ وسنان بنجوى غافيه
ويفدى قابض النهر وبصدى الراويه !!
ثم لا يرجى لمسكين بريء راجيه

* * *

نحن يا رب بقايا غارة فى الباديه
وكما تعلم عنا انت ـ لا جيرانيه ـ
لعب فى حفلات وفخاخ غاتيه
لم تكن اعمارنا قبل المنايا ناجيه
القيت يوما علينا كلمات داويه
مثلما راحت «نجازاكي» سدى فى ثانيه
.. وكما تعلم جيل من حبال واهيه
لم تسعها يد فرعون برقيا شافيه
او تدعها تبطل السحر وتجري ساعيه
وتذري ما بنته الصرخات العاليه
بل غدونا خالدين اليوم خلد الساقيه
وارتعاش الموج من مرج السياط السافيه

❊ ❊ ❊

ساقنا الخلد الى نفس خطاه الماضيه
فمشت آمرة حول عصاه .. ناهيه
خلقتنا ـ لعنة الله عليها ـ ماشيه
فتداعينا عصيا وخطوطا تاليه
مثلما يرفو الاسى قافية من قافيه
وكما تطهو عصا موسى شياها شاغيه

❊ ❊ ❊

رب لا تستبق من آلام عصري باقيه
شاد مستقبله من ذكريات آتيه
ومشى يعبد فى جزاره او داجيه
واشفني مما بقومي واشفهم مما بيه

❊ ❊ ❊

رب امن ـ جهرة ـ صمت القبور الشاكيه
واسقهم كأس الردى مبصرة لا عاميه
اعطهم ـ لا تعطني ـ ملك الغنى والعافيه
بعثر القبر على عرس النجوم العاريه
واعد من شاء منهم لافتراس الهاويه
هب لهم ما تشتهي بادية من غاديه

واجلب الجنة فى الدنيا قطوفا دانيه
واسكب القشدة والتفاح ملء الآنيه

❊ ❊ ❊

والذى ارتاح الى شربة زيت داميه
من عصير الناس فى المعتقلات الصاديه
رب طهره وكبره بفأس بانيه
واستتبه لا تعذبه بليس النافيه

❊ ❊ ❊

يا الهي ! لا تذرنا فى الملاهي الذاريه
اعطهم ـ لا تعطني ـ سيل الكنوز الثاويه
انا ابقى ثروة اخرى لنفسي غاليه
فاستجب لي يا الهي دعواتي الباقيه
لا توفق ساعيا فى قرية او ساعيه
لا تحقق لجبان املا فى رابيه

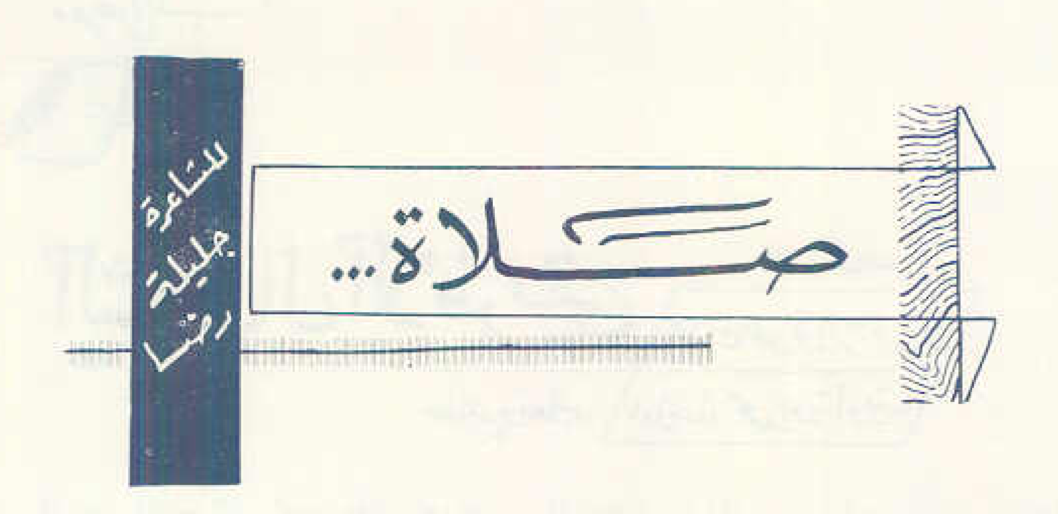
❊ ❊ ❊

ارسل الناس الى الناس قلوبا شافيه
ولفات ـ فى الاسى المظلم ـ تمشي واعيه
اشعل الحكمة نورا فى الظنون الداجيه
واغسل الآراء من نار البطون الخاويه
يتساووا مرة واحدة فى العافيه
ويعيشوا امة مهدية او هاديه

❊ ❊ ❊

ليس كالجوع مساواة وقربى وافيه
كلما جعنا تشبعنا بحرب طاويه
وتربعنا على الغاب شياها ضاريه
وتمتعنا بقطعان العبيد الباقيه
فتقاربنا وقربنا الحدود النائيه
وتساوينا تماما رغم انف الطاغيه
وغدا الكل كاقدام الشعوب الناميه
امة تضرب بالنعل واخرى حافيه

الجزائر ـ محمد الوزير



عندما يلهث السراج برفق   لهثات الذبول بعد اللهيب
ويمر الشقاء في درب عمري   زاحف الخطو في الظلام الكئيب
فيموت الكلام فوق شفاه   اخرستها مرارة التقطيب
واحس العظام تصطك رعبا   وسط بحر من الصقيع رهيب

◆ ◆ ◆

عندما تغدر الحياة وتقسو   ويفيض الحنان من جنبيها
والسياط الغضاب تلهب ظهري   والدماء الغزار فوق يديها
وتدور العيون حول عيون   تنشر العطف والحنان عليها
فاذا الكون عابس الوجه الا   نظرات الجفاء منه ... اليها

◆ ◆ ◆

انت ! من انت ؟ من تمر بروحي   باسما خلف ظلمتي وجمودي
انت ! من انت ؟ من تمر بقلبي   باعثا فيه نشوة التغريد
للصباح الجديد ، للنغم الحاني   لهمس الربى وعطر الورود
للضياء المطل ، للامل الزاهي   لطيف المنى وسحر الوجود

◆ ◆ ◆

انت يارب شعلة من ضياء   تسكب الدفء والحنان بنفسي
انت يارب نظرة من صفاء   وهدوء تجتاح ثورة يأسي
انت روح الوجود ! سر وجودي   وخيال الرجاء ساعة رمسي
رب ! ان الحياة كأس عذاب   فاعني على تناول كأسي

القاهرة ـ جليلة رضا



الشمال الافريقي

لمؤلفه : الادن هوتي برودريك

تقديم وتعليق الأستاذ محمد بن تاويت

هو وان كان من الكتب التي الفت خلال الحرب العالمية ، اذ نشر سنة 1943 ، بوساطة مطابع جامعة اكسفورد ، الا ان له قيمة خاصة ، تطلعنا على نظر الانجليز الى هذه البلاد آنذاك ، والتكهنات التي تكهنوا بها لمستقبلها ، ومدى دراساتهم التي تناولوا بها بلادنا هذه ، على ايجاز ما عليه هذا الكتاب ، الذي لا تصل صفحاته الصغيرة الى المائة، ومع ذلك فهي دراسة متعمقة بناها صاحبها على مشاهداته وعلى قراءاته الكتب وتقارير اوربية وغيرها .

وقد جعله صاحبه في احد عشر فصلا ، وخاتمة .

الاول ــ عنونه صاحبه بهلال الاسلام ، بداه بالبقعة الجغرافية التي يعمرها الاسلام ، مطلا عليها من الطائرة ، حيث المواصلة لها اهميتها الخاصة ، في تلك الظروف الحربية ، الى جانب وصف البقعة من الناحية الطبيعية والبشرية ، بصفة خاصة كذلك ، وقد لاحظ المؤلف ان الاوربي الآتي من الشرق، اذا ما انتهى الى تونس، فانه يجد شيئا آخر مخالفا لما خلفه في الشرق، فهو هنا في وسط قريب الى ادراكه جدا، وهكذا كلما اتجه نحو الغرب، وان اختلفت العادات والازياء، فالمناظر الطبيعية هي المعهودة في اوربا بجمالها وزهرها فانت ايها الاوربي في ارضك التقليدية ، شاعرا بانك في بيتك ، ان ارض البربر قطعة من اوربا الابيض المتوسط ، مظاهرة للصحراء

وفيما يخص دين الاسلام ، فذكره بدين الصحراء، وهو غباء المسيحيين ، الذي لم يستطع المؤلف التخلص منه هنا ، بالرغم من كونه تخلص منه الى حد ، فيما سيصف به الاسلام فيما بعد ، عجيب هؤلاء الاوربيون المسيحيون ، فقد رسب فيهم رواسب التعليمات الكنيسية العبيطة ، فهم ان حاولوا ذكر الاسلام بخير ذكروه بدين الصحراء ، فلم لا يذكرون المسيحية نفسها بهذا الوصف ؟

وعلى كل حال فتعرضه للاسلام هنا عرضي ، بل مهمته في هذا الفصل ان يذكر البقعة الاسلامية التي قال انها تمتد من السنغال الى سيبكينك بالصين، وان كان غرضه منه المغرب الشامل للاقطار الاربعة ، التي نقل فيها ما قاله ملك ايطاليا عمنويل الثالث في حديثه مع السفير الامريكي : « اننا قد حصلنا على عظم الفلذة » وعلق عليه بقوله : «ان المغرب في الواقع يمكن ان يشبه للاسد الهائل بانه فلذة ، ويكون المغرب الاقصى منه اشهى لحم والارض المحدودة بالجزائر وتونس صالحة للاكل ، لكنها قطع متفرقة من اللحم ، اما ليبيا فالعظم نفسه ، خال من كل طعم ، بالنسبة للانسان على الاقل .

الثاني ــ في تربة بلاد المغرب ، التي نقل فيها ما قاله الفرنسيون ، والمرشل اليوطي الذي خص المغرب الاقصى بذكر مزاياه الاقتصادية وموقعه من اميركا ، وعقب المؤلف على ذلك بقوله ان المغرب الاقصى حديقة بلاد البربر وبستانها ، فسهله على المحيط الاطلسي يمتاز عن غيره بالخصب والنماء ، كما انه يتوفر على معادن عديدة ، وانه انفرد بآبار البترول في بتيجا (سيدي قاسم) الى غير ذلك ، وان كان من الصعب ان نذعن الى ان المغرب يمكن ان تصير به مراكز صناعية هامة .

الثالث ــ في الاقسام الثلاثة للمغرب ، او ما

سماه الرومان (آفريكا) تونس ، و (نوميديا) الجزائر ، و (موريطانيا) المغرب الاقصى وفيه ذكر ان تاريخ هذه البلاد عرف منذ الاستيطان الفنيقي ، اواسط القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فمدينة قرطجنة البونية التي شهرت تقدمها آثار اعرق منها توجد بليبيا وتونس والجزائر ، نص عليها ، وبالرغم من سقوط البلاد في يد الرومان ، فان الآثار الثقافية ومنها اللغة ، ظلت راسخة فيها الى ما قبل الفتح الاسلامي بقليل او الى الفتح نفسه ، فكانت اللغة الفنيقية منتشرة بالبلاد على العهد البزنطي انتشار العربية بها الآن ، وبقيت اللاتينية في مثل الحيز الذي هي عليه الفرنسة اليوم ، على حين كانت البربرية تستعمل في مسائل عامة ولا شك ان انتشار الفنيقية مما مهد لانتشار العربية هذا .

وتنقل في تاريخ المغرب الكبير من الرومان الى الفتح الاسلامي مشيرا الى بعض الاحداث التي لها اهميتها التاريخية والاجتماعية الى ان انتهى الى تاسيس امارة الاغالبة ، وذكر ان المغرب ظل محافظا على استقلاله الى سنة 1912 وانتقل الى انقسام الخلافة بين العباسيين والفاطميين ثم الى هجرة بني هلال الذين نقلوا من جديد دماء عربية الى بلاد البربر بقرانهم مع البربريات ، فكان كما قال حدثا هاما غير وجه الارض وكيف الحياة وتقاليد الناس .

الرابع — في دين الصحراء ، كما قال الضال ، مستهل الفصل بقوله : « ان الاسلام دين الاقطار الصحراوية من الارض وما يصاقبها » وان ارض الايمان تمتد من السنغال الى الصين منحدرة مخترقة الهند الى انسلنديا جزر ملزيا ، والمومنون يصل عددهم الى 300 000 000 ، وهم بخلاف باقي الاشياع يكونون كتلة متينة ، والاسلام ما قبع في ارض ميلاده كباقي اديان الرسل بل ومرة كان دين الرسول فاتحا تماما للاقطار وتمكن منها وقد وجد الكردنال لافيجري ام مهمة الاباء البيض في تبشيرهم بين الشعوب الاسلامية البربر ما كان لها اثر باستثناء شرذمة من الايتام تبناهم الكردنال نفسه وعمدهم وسرعان ما ادمجوا في غيرهم ، على حين عملهم في افريقيا السوداء جد موفق .

الاسلام دين اجتماعي ، يسوي بين المسلمين ولا يجعل لهم افضلية الا على الكافرين ، وبهذا فقد عم تماما الشمال الافريقي ، وليس به من المسيحيين الا الاجانب ، وان كان ثمة اقلية من اليهود واصحاب البنوك والمصاريف ودور السلف وباعة الجواهر منهم وقد علق على هذا بتعليق قارن فيه بين اليهود المغاربة الذين يزاولون عملهم في حرية بينما اليهود في فرنسا محظور عليهم ان يكونوا اصحاب بنوك او وكلاء سماسرة او صحفيين او مساهمين في الطباعة او الاذاعة بالراديو .

الخامس — في البربر ، وقف في الاول موقف الحائر في اصل البربر ، وان كان خصائص هؤلاء السكان يشاركهم فيها الاسبان والبرتغال وعلى كل حال فالوسط المغربي الكبير تتمثل فيه خصائص الابيض المتوسط اكثر من اي شيء آخر ، وهم متاثرون بالدماء العربية اقل مما يظن ، كما ان الطابع العربي ليس عاما ، وان كان عرب الجزيرة وبربر الشمال الافريقي كلاهما من شعوب الابيض المتوسط والشيء الواحد الذي يفاجيء المسافر الى ارض البربر ان المظهر غير شرقي ، اذا نحن استثنينا اللباس ، والمنظر الاوربي يقوى شيئا فشيئا كلما امعنا صوب الغرب ، وفي شمال المغرب الاقصى نهش لمظهر الرجال والنساء (لان اغلبهن غير محجب كما يقول ولعله راى البدويات) الذي يضرب الى شمال اوربا اكثر من جنوبها ، والنتيجة انه من الصعب التفرقة بين العرب والبربر ، وخصوصا بين من تعربوا من البربر ومن تبربروا من العرب ، واكثر من ذلك اهل المدن الذين تعربوا ، وفيما يخص اللغة فلا متكلم بالبربرية في ليبيا ، وفي تونس قليل وفي الجزائر بربر لا يعرفون العربية او لا يستعملونها ، واكثر من نصف سكان المغرب الاقصى بربر في العادات وطرق المعيشة واللغة اكثر ونظامهم الاجتماعي يقوى في الجبال بالجزائر والمغرب معا ، وهو اقرب الى النظام الاخوي المسمى سوف وفي الصين طنك الكنفرطيرتيتي

وفي اخلاق البربر ، نقل قولة احد كتاب الفرنس موسيو بواسي ، ورد فيها ان البربر غير مقاوم ولكنه جد صامد .

البربري متشبث بنظامه التقليدي في الحياة ، فالكسكس يستعمل يوميا مثلا ، والمسيحية لم تغر منه ، فالقديس سبريان والقديس اوغسطن واريوس ودوناتوس العظيم كانوا في تقاليدهم بربرا خلصا

والبربري رجل حرب بطبعه ، واحسن الفرق في الجيش الفرنسي الفرقة المغربية ، واهل الريف لم يساعدوا فرنكو على فتح اسبانيا فقط بل ساعدوه على وضعه حيث هو .

وفيما يخص الاديان فالمغرب ما كان الا صدى للشرق ، ومن سقوط غرناطة سنة 1492 ما طرق المغرب شيء من الغرب حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر ، وحتى الطرق الدينية ما هي الا فرق محلية نشأت بالمشرق ، والآن فان نور الاسلام العصري ينبعث من مصر .

السادس ــ في ليبيا ، استهله بوصف ليبيا وصفا جغرافيا طبيعيا وعمرانيا ومواصلة ، ثم اشار الى الوجود الايطالي بها والسياسة الفاشستية التي اخذ الناس بشعارها ، وبالرغم من تحسين المعاملة التي انتهجت اليه فان شبح كرزياني السفاح لن يزايل ذكريات الناس ثم انعطفه الى حيث بدأ الغزو الايطالي لليبيا ، فذكر انه بينما كانت تركيا منهمكة في حربها للبلقان سنة 1911 ــ 1912 احتلت ايطاليا الساحل الليبي لداع استراتيجي ومقابلة للوجود الانجليزي في مصر والفرنسي في تونس فهب الليبيون بقيادة السنوسيين لمقاومة الطليان ، فوفقوا في بعض المعارك ، لكن الطليان استطاع سنة 1925 ان يحتل طرابلس مرة اخرى .

ومن هنا عاد الى التاريخ فذكر ان طرابلس كانت فيما مضى مركزا للقراصنة ، وان الاسبان استولوا عليها من سنة 1510 الى 1520 فبنوا القصبة التي هي اهم اثر في المدينة ، ثم ان فرسان القديس جون المالطيين استولوا على المدينة ، لكن الاتراك اجلوهم عنها سنة 1711 ، وبانتصارهم هذا ، كان احد الطرابلسيين القرمنلي ، يجعل نفسه ثم عائلته مستقلا بالبلاد ا وكرمنلي هذا ليس طرابلسيا ، بل مملوكا تركيا ، منسوبا الى قرمان بآسيا الصغرى ، وما زال من احفاده محافظ المتحف بطرابلس اجتمعت به سنة 1962 .

ثم في سنة 1835 عاد الاتراك الى مد سلطانهم على البلاد بعد ما كانوا يكتفون من قرمنلي بخراج سنوي واستمروا حتى سنة 1911

ثم عاد الى وصفه الجغرافي وذكر عدد السكان ، الذي كان سنة 1938 لا يتجاوز 888.401 ، حيث ان الطليان اتخذوا ليبيا لانفسهم مستقرا ، ولما تكلم على بعض سكان صحراء ليبيا قال انهم يبدون جدا مثل اي مكان من الحدود الفارسية الى تخوم السنغال ، فالاكسية الزرقاء والنساء غير المحجبات واسعي الصدر وغالبا يشبهون بأوجههم الوجوه المنغولية ، وملابسهم كلها مصبوغة مشبكة بمشابك فضية كبيرة ، والخيام من شعر الجمال الاسود الواطئة ، والطارقي الصديق الحر يبدو في اوجه الرجال للفلاة ، ولم يزد على هذه الاشياء في ذكر القطر الليبي .

السابع ــ في طرابلس ، بداه بالطريق الموصلة الى تونس من ليبيا ثم الحديث عمن يسكن هذه الجهات المصاقبة من بربر تعربوا وذكر ان جربة آخر ملجأ للبربر في تونس وان لغتها الاصيلة قد ماتت تماما كما حصل للدانية في كرنوول بانجلترا ، وتعرض لوسائل النقل التي على رأسها القطار ، كما تعرض لوصف القرى والمدن الصغيرة التي يمر بها وصفا مقتضبا جدا ولكنه ينص على اهميتها الاقتصادية كما فعل في توزر وصفاقس او التاريخية كما فعل في القيروان وسوسة .

ثم تعرض للتاريخ فذكر ان تونس استقلت سنة 1612 حيث جعل مراد القرصي نفسه حاكما مستقلا بها تدريجيا فأسس عائلة حاكمة لها استمرت حتى سنة 1705 حيث اعلن حسين بن علي وراثة الحكم عن رجنسي ، وعاد الى ما تعرضت له تونس والجزائر والمغرب الاقصى من غزو الاسبان الذين تواطأوا مع البرتغال في حروبهم الصليبية وغزوهم للبلاد الاسلامية، الى ان اعترض سبيلهم بابا عروج واخوه خير الدين، فوضعا حدا للغزو الاسباني في تونس والجزائر .

وبخلال 300 سنة بعدما كانت تونس متأثرة بالشرق ، في فن العمارة والطهي والعادات وحتى المذهب الديني الذي صار الحنفي ولم يعد المالكي وحده الذي كان مذهب الشمال الافريقي عامة

ثم تعرض لنظام الادارة بالقطر الذي كان يترأسه الفرنسي مساعدين بالقواد التونسيين كحكام ثم المدعويين بالكاهية ثم الشيوخ ، وهناك المجلس الاعلى الذي كان يضم في مغلبه الفرنسيين فالتونسيين ، والحاكم العام في الواقع كان المقيم العام الفرنسي ، يعين من وزارة الخارجية الفرنسية حيث ان تونس كانت محمية ، ولم تكن كالجزائر ، وهنا تعرض لكيفية وضع تونس تحت الحماية الفرنسية سنة 1883 باتفاق مع ايطاليا التي كانت تعارض في الاحتلال الفرنسي سنة 1881 فاستوطن 100 000 من الطليان بتونس فيهم اليهود وغيرهم ، الى جانب الاسبان الذين كانوا يعيشون في بؤسهم كما كان الفرنسيون نحو 15 000 مزيجا من الفرنسيين الحقيقيين والذين هم من الشمال الافريقي واليهود والمالطيين وغيرهم ، وما انقطعت ايطاليا

تطالب بتونس ومالطا وكورسيكا .

ثم انتقل الى ملاك الاراضي ، فقال ان العائلة الباي على راس هؤلاء الملاك فهي ملكية اقتصادية ، على حين يملك الاحباس 200.000 كيلومتر مربع على الاقل .

والاهالي المدنيون ليسوا بذلك البؤس الذى عليه الجزائريون او المغاربة لاسباب اجتماعية ذكرها، واخيرا قال ان تونس امتداد طبيعي للجزائر ، ونسبة الروابي اقل من السهول وهي مع ذلك اقل غابة واقل امطارا ، ولكن الاقاليم الشمالية منها تمطي الجميع وان كانت الاعوام الرديئة جدا لها تاثير على الخيرات الخصبة الذى قليل من الجهات توجد عليه فى حاضر الجزائر .

الثامن — فى الجزائر وكعادته ابتدا بطرق المواصلات التى تؤدي الى الجزائر من تونس بالقطار الذى يستمرفى طريقه حتى مراكش ، كما يتمكن بالسيارة من اختراق بلاد البربر كلها

ويقول عن بيزرطا انها من اجمل ان لم تكن اجمل البلاد المرفئية على الابيض المتوسط ويتابع سيرها متنقلا من مدينة الى اخرى ذاكر اهميتها التاريخية او الاقتصادية او الطبيعية كما يذكر المواقع الجغرافية المختلفة معلقا عليها تارة بما كان فيها من كائنات واناسي اول وما صارت اليه من تغيير فى البيئة .

وذكر ان الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي كان يعتمد على القرصنة ، ولهذا وجد الفرنسيون بها مليوني جنيه استرليني ذهبا ، بينما مجموع دخل الحكومة لا يصل الى 000 175 سنويا

وعاد الى التاريخ فذكر ان الاسبان فى سنة 1541 انهزموا امام الجزائر فانقضت قوتهم على محاولة استخلاص الاراضي الواطئة وعلى ثراء الهند لجمع اقتصادها

وحتى القرن الثامن عشر ما كانت هناك من دول الابيض المتوسط من تستطيع مصارعة القرصنة التركية ، ثم ذكر ان الجزائر ما خضعت للاتراك خضوع تونس وليبيا بالمرة بل كانت مقسمة بالبليوات ثم الديات المستقلين حقيقة عن الاتراك ، وحتى لما كانت امريكا فى حرب مع الجزائر اعتبرت وشنكطون انها تحارب الداي ، لا تركيا ، واهم اسباب الحرب عزمها على استخلاص المحيط وبعدما كانت القوات الانجليزية الالمانية تقذف قنابلها على الجزائر سنة 1817 جاءت فرنسا سنة 1830 واحتلت الجزائر متدرعة بذلك السبب الذى لم يكن فى الواقع الا ظاهريا وما يدعيه الفرنسي من ان الجزائر دخلت فى حكم فرنسا غير صحيح فهناك فوارق كثيرة ، فالمراة ، وعدم الرضى السياسي ... من هذه الفوارق ، ان مصاعب ستواجهنا فى الهند كما ستواجه فرنسا مصاعب فى الشمال الافريقي ان غالبة الجزائر لا حق لهم فى الانتخابات ، فهناك من جنسيته فرنسية وهناك من ليست له هذه الجنسية ، لم لا ؟ والجواب انه للحصول على المواطنة الفرنسية ، على المسلم ان يترك القرءان وشرعه ويتبع قانون نابوليون، ولترك العمل بشريعة القرءان فان الجزائر يقطع نفسه اربا (الحمد لله ...)

التاسع — فى المغرب الاقصى ، القولة المأثورة : « تونس امراة والجزائر رجل والمغرب الاقصى اسد تصدق الى اقصى حد » هكذا قال المؤلف ، ولا ندري من اين سمع هذه القولة المأثورة ؟ المغرب يختلف عن الجزائر فى اشياء منها ان جميع الاعلانات بالعربية ، كما هو فى تونس ، والمغاربة لا يرتدون البرنوص الابيض الفضفاض والعمامة (الحواق) بل فى الغالب رداء غميق اللون وغطاء للراس مناسب الضيق، والعربية القحة تنطق فى صفير واختزال تصك مكا غريبا مسامعك ، ثم انطلق يصف فى ايجاز وصفه الجغرافى لطبيعة البلاد ومدنها وطرق مواصلاتها ، مع مقارنات مع الجزائر غالبا .

ثم تكلم عن مولاي اسماعيل باعتباره — كما يقول — اعظم ملوك هذه الدولة .

ثم تكلم عن طوائف البربر بالمغرب ، وجعلها ثلاثة : الريف وبربر الجنوب وبربر مصمودة القارة تماما : بينما بربر الجنوب اصحاب ماشية وخيول ، والاول سكان الجبال الموحشة المريعة واما الناطقون بالعربية فهم سكان السهول والمدن ، مما جعل الفرنسيين يقدمون على الظهير البربري ، تفرقة بين سكان الجبال البربر وسكان السهول والمدن المتعربين .

وهذه المحاولة كانت للتفرقة والحكم (فرق تسد) ولذا لقيت معارضة ضارية من المغاربة والاحزاب الوطنية ثم ذكر ان المقيم العام هو وزير الخارجية للسلطان ، ولهذا كل اتصالات الدول تكون عن طريقه ، وان كان موقف امريكا فى منتهى الحرج ، حيث انها لم تعترف بفرض الحماية على

المغرب وبقي وزيرها مقيما بطنجة ، ثم تعرض الى هيئة المخزن ووزرائها ، واختصاصاتهم ، وان كان في الواقع كل شيء بيد الفرنسيين ثم انعطف نحو التاريخ ، فذكر ان المغرب طرد سنة 788 ممثل الخليفة واقام الدولة الادريسية التي تمثل فيها لاول مرة استقلال المغرب كدولة ذات سيادة ، اقامت عاصمتها فاس ، بينما كانت الخلافة الاموية تؤسس بقرطبة سنة 756 واستمرت حتى سنة 1001 ، وكان من قبل قد ظهر نبي (كما قال مخطا بغباء) بالمغرب سمي اتباعه بالمرابطين ، فاحتلوا اسبانيا المسلمة ومدوا سلطانهم تجاه الشرق فاجلوا الفاتحين الترمند (كما قال) وهكذا فان ملوك اسبانيا الاسلامية ما حكموا المغرب بل كان المغاربة هم الفاتحين لاسبانيا ، والضربة القاضية التي اصيب بها خلفاء المرابطين ، الموحدون باسبانيا ، كانت موقعة العقاب سنة 1212 تبعا انتثال الامبراطورية المغربية ، حتى كانت سنة 1257 فانتهت دولة الموحدين في اوربا ، وصار الوجود الاسلامي يتقلص شيئا فشيئا الى الجبال الاندلسية واستمر الموحدون قليلا في المغرب حتى سنة 1269 حيث قضى عليهم المرينيون ، ومن آنذاك صار ملك المغرب مقتصر عليه (بل كانت للمرينيين جهات من الاندلس اغفلها) وان كان ملوك الاندلس ما فتئوا ينظرون الى المغرب باعتبار انه الفاتح لها . ومن هنا انتقل الى العائلة العلوية ، مغفلا كذلك السعديين الذين كانوا على اهمية عظيمة في التاريخ ولهم علاقة وطيدة بانجلترا، ما كانت لغيرهم من دول المغرب اطلاقا ، ولم يشر اليهم حتى في موقعة وادي المخازن التي ذكر نفسه ان ملك البرتقال سقط فيها .

وفي كلامه على العلويين قال ان السلطان لا يعتبر امير المؤمنين فحسب بل هو مليء بركة لذا شاهد بنفسه في طريقه بطنجة والناس يتهافتون عليه مقبلين اطرافه ورداءه، وفي صفحة 66 ذكر ان اودونيل احتل مليلية سنة 1860 ، مع انها محتلة من قبل بمائات السنين والاحتلال كان لتطوان لا مليلية.

وفي صفحة 67 ذكر ان حرب الريف تسببت في الاطاحة بالملكية في اسبانيا ،، وهذه ملاحظة هامة

وفي صفحة 69 ذكر ان فرنسا وعدت اسبانيا بعد حدود منطقتها الى وادي سبو حينما تنتهي الحرب العالمية ، فكون فاس بذلك داخلة في المنطقة، بناء على اتفاق الجزيرة الخضراء المشئوم .

العاشر — في مستقبل بلاد البربر، وفيه ذكر ان مصر لها تأثير على العالم الاسلامي والبربري بالخصوص ، والبربر متعلقون بها تمام التعلق ، وقد اجتمع ببعض الجزائريين الذين كانوا بفرنسا ويتكلمون لغتها ، فقال له وقد زار القاهرة : انه ماكان يظن انه يوجد على وجه الارض مدينة مثل مدينة القاهرة .

قال ان مصر تتمتع باستقلالها التام كما صارت سوريا كذلك تتمتع به ، فلم لا يكون ذلك لتونس والجزائر والمغرب ؟

وتناول الحركات الوطنية بالمغرب ، وتعرض للمنطقة الخليفية التي كانت لا تسر هؤلاء الخلفاء ، فقال ان بها زعماء تمدهم الاموال الاسبانية والالمانية، وان لهم صحفا ذكرها وذكر اصحابها احزابهم احزابا (فرقوزية) ، وهذا طبعا ما يكون من انجليزي محارب للالمان حلفاء فرنكو آنذاك، والا فان اولئك الزعماء قد جازفوا حقا وادوا بمجازفتهم هذه خدمات جمة للقضية الوطنية ، مهما قال القائلون وانتقد الناقدون . .

الفصل الحادي عشر — في المواصلات الصحراوية والنظام الجديد فيها ، وفيها نقل ما قاله موسوليني من ان افريقيا ستصير بيضاء ، موطنا للرجل الابيض وبها مستقبله .

ثم قال ان للنازية تصميما عظيما تنوي تطبيقه على افريقيا وقادة النازية منتشرون بها حتى السنغال ونهر النيجر المتاخم للمستعمرات الانجليزية هناك ، وافاض في فوائد هذا النهر الذي قال عنه انه لا يقل عن النيل لو اصلح وان ما يقل يزود فرنسا والمانيا بما تحتاجه في هذه الحرب ، وبأرخص الاثمان، وفي تعرضه للاثمان ذكر بالمغرب آنذاك 1943 من القوة الشرائية لعملتنا ما لا يصدق الآن ، وهي حقيقة واعظم منها ما كان قبل الحرب مما تضاعف الآن ، الى الآلاف او اكثر في بعضها .

وفي الصفحة 90 اشار للاباضية بتنكرهم بيهود الاسلام، لدهائهم (كما قال)

وانهى كتابه بخاتمة ، تعرض فيها للوجود الالماني بالشمال الافريقي آنذاك وتخوف منه وهذا لا يعنينا الآن وان كان يعني التاريخ لا محالة

وعلى الجملة فالكتاب مفيد وليس به الا اخطاء قليلة نبهنا عليها .

تطوان — محمد بن تاويت



ليس كتابنا هذا حديث العهد، بل ظهر لاول ما ظهر، سنة 1949، ثم جدد طبعه بزيادات سنة 1958 واخيرا ـ وليس آخرا ـ اعيد طبعه للمرة الثالثة سنة 1966 ، مع زيادات ضافية وتحقيقات معضدة بوثائق ونصوص تاريخية .

وهذه النسخة هي التى نريد التحدث عنها فى 518 ـ عدا الفهارس ـ من القطع المتوسط ومتب الاستاذ عنان فى غنى عن التحدث بقيمتها ونفعها ، وقد تحدثنا عنها فى غير ما مرة ، فهذا منها قد بذل فيه الجهد الجهيد، وحشد فيه ما يمكن حشده من دراسات يمتد نفسها مدى القرون والاجيال ، تعتورها عدة لغات قديمة وحديثة وتتجاذبها نزعات معتدلة ومتطرفة، وكل ذلك استفاد منه المؤلف الكبير، وكل ذلك صبه فى بوتقة انصهرت بها ، فخرج الكتاب وقد افرغ وسبك سبك المهرة الافذاذ .

الى جانب تلك الوثائق التى طاف البلاد للحصول عليها ، بعضا فى ايطاليا واغلبها فى اسبانيا واخرى بالمغرب ولم يكن من السهل على غير الاستاذ عنان التوفيق لهذه الوثائق ولا كان من السهل على غيرها تسخيرها ، لما سخرت له ، ثم ظناك مظان لا يهتدى اليها الا من رزق حاسة خاصة ، كحاسة استاذنا المرهفة ، وتلك موهبة من المواهب التى اختص بها قليل من الناس ، وتلك هداية يهدي بها الله من يشاء .

لقد جعل مؤلفه فى كتب اربعة :

الكتاب الاول فى مملكة غرناطة ، منذ قيامها حتى ولاية السلطان ابي الحسن النصري

والكتاب الثاني فى نهاية دولة الاسلام فى الانـدلس

والكتاب الثالث فى مراحل الاضطهاد والتنصير

والكتاب الرابع ، فى نهاية النهاية (التى عنون بها الكتـاب)

وجعل هذه الكتب فى فصول ، فالاول منها فصله على تسعة :

فالاول فى الاندلس العاربة، وفرش هذا دول الطوائف المرابطون والموحدون، سياسة الاسترداد النصرانية ، سقوط القواعد الاندلسية فى يد النصارى، موجة الاسترداد القاهرة فى القرن السابع ، شعور أهل الاندلس بمصيرهم ، مدينة غرناطة صفتها ايام الدولة الاسلامية ، ما بقي من خططها ومعالمها الاندلسية .

وفي الماعه برؤوس هذا البحث ، نعود فنلاحظ عليه ، موقفه الجائر من المرابطين ، الذين لا يوفيهم حقهم او بعضه حتى يكر عليهم بالنعي ، فهم ـ كما يقول ـ سرعان ما انقلبوا على اخوانهم وحلفائهم واجتذبتهم نعماء الاندلس وثرواتها فحطموا دول الطوائف ، وبسطوا حكمهم على الاندلس .

وهي نغمة باردة مسمومة ، صدرت من اعداء

الاسلام الحنقين على انتصاراته ، كدوزي وامثاله ، وهي نغمة باردة برود النفس المهيمنة التى هان عليها تحمل قيود العبودية ، وما صدر من اولئك الاندلسيين الكارعين فى الملذات المخمورين بسكر الانانية والمخدرين عن كل احساس بالشرف والوفاء ، وعلى راس هؤلاء المعتمد ابن عباد ، الذى كان مصدر المصائب ، والذى نسي التاريخ او اريد له ان ينسى، ما ارتكبه آباؤه من جرائم وغدر ، بل ما ارتكبه هو من وحشيات ، كان ابن عمار احدى ضحاياها .

عجيب وعجيب جدا ، هذه الحيرة من استاذنا ، وعجيب جدا هذه الوقفة التى يقفهامثل استاذنا احمد امين — عليه الرحمة — من المرابطين المجاهدين بحق ، فيقول فى يوسف من «ظهر الاسلام»: بدوي جلف لايفهم كثيرا معنى الانسانية ، فقد كان يستطيع ان يحبس ابن عباد فى قصر فخم يليق به .

اننا والله حيارى امام اساتذتنا ، الذين لم يقولوا شيئا ، فى الفظائع التى ارتكبها المعتمد وآباؤه ، ولا قالوا شيئا فى تلك المشاهد المؤلمة الفظيعة التى شاهدها الناس او بعضهم والرؤوس تطيح والابدان تحرق حية والمشانق تنصب والرصاص يدوي ، فيسقط الصرعى ، وفيهم البطلة جان درك ، والملكة ماري انطوانيت وزوجها والقيصر نيقولا الثاني وزوجته واولاده واخيرا مجرمو الحرب . نعم ، ان هؤلاء كما سماهم المنتصرون ، مجرمون ، وان اولئك قال فيهم قومهم او خصومهم بالاجرام فالاعدام والاحراق ، ولكن اما كان كافيا فى عقوبتهم ، حبسهم فى قصر فخم ، كما اراده المرحوم احمد امين للمعتمد ابن عباد !؟؟

نقول هذا ونلتزم الصمت فيما عداه ، والفاهم يفهم ، كما يقول المثل المغربي . . .

ثم فى نفس الفصل ، نرى الاستاذ يجعل مملكة المرابطين تمتد الى تونس ، وهو سهو منه ، فانها كانت تتاخم قلعة حماد .

والثاني فى نشاة مملكة غرناطة وقيام الدولة النصرية ، تناول فيه غرناطة منذ عصر الفتنة الى ظهور محمد ابن الاحمر والاحداث التى خاضها ضد النصارى ومعهم ، الى وفاته عام 671 .

والثالث فى طوائف الامة الاندلسية فى عصر الاحلال ، تناول فيه، حدود غرناطة وسكانها والمدجنين وما لاقوه من قسوة الكنيسة ، وقارنهم بالمعاهدين من النصارى فى ظل الحكم الاسلامي ، وختمه بصفات الغرناطيين وخلالهم

ونلاحظ انه يخلط بين المستعربين والمدجنين ، مع ان الفرق متباين تماما ، فأولئك نصارى معاهدون واولئك على العكس مسلمون فى ظل الحكم المسيحي ، وفى هذا الفصل يقول : وكان الشعب الغرناطي يدين بمذهب مالك .. ولم تتاثر غرناطة فى نزعتها المذهبية ولا تقاليدها الدينية السمحة ، بما توالى عليها من سيادة المرابطين والموحدين حينا من الدهر

وهذا كلام لا ندرك له مغزى ولا نفهم له قصدا ، وخصوصا بالنسبة للمرابطين

والرابع فى طبيعة الصراع بين الاندلس واسبانيا النصرانية ، تكلم فيه عن المعركة الخالدة بين الاندلس واسبانيا النصرانية ، وختمه بطبيعة حرب الاسترداد ، وصبغتها الدينية فى مراحلها الاخيرة ، وفيه عرض لظاهرة اجتماعية من جراء التزاوج الذى كان يقع بين المسلمين ونساء النصارى والتعاون الذى كان بين المسلمين والنصارى ايام السلم

والخامس فى تاريخ اسبانيا النصرانية ، منذ اوائل القرن الحادي عشر حتى قيام مملكة غرناطة، تناول انقسام اسبانيا النصرانية فيه ، ثم اتحاد قطلونية وارجون ، ثم اجتماع كلمة الممالك النصرانية ضد المسلمين ، ثم غزو فرنندو الثالث للاندلس الاسلاميه واستيلاؤه على قرطبة وشبيلية وغيرهما ، واخيرا غزو ملك ارجون خايمي لممالك اخرى وسقوط بلنسية بيده .

والسادس فى مملكة غرناطة عقب وفاة ابن الاحمر ، وعصر الجهاد المشترك بين بني الاحمر وبني مرين ، تناول فيه باختصار بني مرين ومبدا امرهم واعمالهم العظيمة لنجدة الاندلس ، ثم توجس بني الاحمر منهم وغدرهم بالتفاهم مع النصارى الذين انتزعوا طريف من المرينيين ، كما انتزعوا هم مالقة واخيرا سبتة ، مما يسر لفرنندو ان ينتزع جبل طارق من المرينيين وفيه يقول: كان السلطان ابو يوسف المنصور من اعظم ملوك المغرب قاطبة ونرى ان لا محل لقاطبة هنا .

والسابع فى مملكة غرناطة فى النصف الاول من القرن الثامن الهجري وذروة الصراع بين بني مرين واسبانيا النصرانية التى صار ينضم الى صفوفها متطوعون من الانجليز .

وفيه تكلم عن نجدة ابي الحسن لملك غرناطة

بولده ثم بنفسه ، وتعرضه لكارثة طريف الفظيعة وما تلاها من هزائم فى البر والبحر وختم الفصل باستعراض للعلائق بين بني الاحمر وبني مرين

والثامن فى الاندلس بين المد والجزر ، وفيه تكلم عن جواز الغني بالله وابن الخطيب الى المغرب مستصرخين بملكه ابي عنان ثم عودتهما الى الاندلس مظفرين بمعاونة الوزير المغربي عمر بن عبد الله ، ثم فرار ابن الخطيب الى المغرب وقد تقلص نفوذه لدى سيده وما جر على المغرب من مصائب تلت مقتله تجرعها المغرب من هؤلاء الاندلسيين الذين لم يحجموا فيما بعد عن الاستنجاد بالمغرب ، ولكنهم عادوا فيما بعد يصدون الجيوش المغربية التى اتت لاحتلال جبل طارق بدعوة من اهله ، وهكذا بقيت غرناطة تعاني غدر ملوكها وامرائها وسوء تصرفاتهم ودسائس رجالهم الى ان كان الدبير للقضاء عليها نهائيا .

والتاسع فى تاريخ اسبانيا النصرانية ، منذ قيام غرناطة حتى اتحاد مملكتي قشتالة واراجون ، وفيهم تعرض لتكرر زحف القشتاليين على غرناطة واستيلائهم النهائي على جبل طارق، ثم تعرض لمملكة اراجون وما كان بها من احداث الى ان اقترن اميرها فرنندو بالاميرة القشتالية ايسابيلا فكان ان اتحدت فيما بعد مملكتا اراجون وقشتالة وعزم الملكان على سحق مملكة غرناطة المنحلة ، وقد توحدت اسبانيا النصرانية ، وبهذا الفاصل ينتهي الكتاب الاول من نهاية الاندلس

اما الكتاب الثاني فيحتوي على فصول اربعة :

الاول فى الاندلس على شفا المنحدر ، وفى هذا الفصل تعرض للزواج المختلط واثره فى انحلال المجتمع الاندلسي ، ثم الاحداث التى حدت بابي عبد الله الى الثورة على أبيه ، وما تلاها من فرار ابي الحسن وجلوس ابنه على العرش ثم محاربته للنصارى ووقوعه اسيرا بيدهم فى قرطبة ، ثم تنازل ابي الحسن لاخيه ابي عبد الله الزغل ، ثم تسريح النصارى لابن اخيه وامداد فرنندو له فى الحرب التى حصلت بينه وبين عمه ، مما ادى الى انقسام غرناطة على نفسها .

الثاني فى بداية النهاية ، وفيه تعرض لمهاجمة النصارى لمالقة التى دافع عنها الزغل دفاعا مجيدا ، كما استغاث بملوك الاسلام ولكن المدينة سلمت مضطرة للعدو الذى نكث بشروط التسليم ، واستمر فى احتلال باقي المدن التى تتاخمها الى ان انتهى الى المرية، فراى الزغل ان لا مناص له من الخضوع لفرنندو ، فتنزل عن حقوقه بشروط وجاز الى المغرب ، وابن اخيه متربعا على عرش غرناطة .

الثالث ، فى الصراع الاخير ، وفيه تعرض لمطالبة الملكين الاسبانيين بتسليم غرناطة وما نتج عن ذلك من حروب مدمرة استبسل فيها المسلمون ، ولكنهم اضطروا للتسليم اخيرا بشروط وضمانات دخل اثره النصارى غرناطة وفارقها ابو عبد الله متجها الى فرنندو الذى استقبله فى محلته على ضفة نهر شنيل .

الرابع ، فى ختام المأساة ، وفيها تعرض لصدى المأساة فى المغرب ، الذى جاز اليه ابو عبد الله ، بعد التنازل عن حقوقه الخاصة للملكين الكوثوليكين ، كما استعرض فيه موقف هذا الملك فى معترك تلك الفتنة الغرناطية وتبعته ، وانهى الفصل بنبذة عن الحمراء وتاريخها وما تعرضت له من تشويه وما قيل حولها من اساطير ، وبهذا الفصل انتهى الكتاب الثاني.

الكتاب الثالث فى مراحل الاضطهاد والتنصير ، وهو فى فصول ثلاثة :

الفصل الاول ، فى بدا التحول فى حياة المغلوب ، وتعرض فيه لهجرة الاندلسيين الى المغرب، واستعباد الذين بقوا بالاندلس حيث نكث الاسبان عهودهم وحاولوا تنصيرهم واحرقوا الكتب العربية ، فوقعت الثورات فى بعض جهات الاندلس ، ثم امر بحشد المسلمين والموريسكوس فى احياء خاصة ، وحرم عليهم احراز السلاح والاشتياق لغرناطة وبيع املاكهم .

الفصل الثاني فى ديوان التحقيق الاسباني ، ومهمته فى ابادة الامة الاندلسية ، وفيه تعرض للاعمال الاجرامية التى قام بها رجال الدين المسيحي بما ارتكبوه من انواع التعذيب والتنكيل بهؤلاء المسلمين بل حتى اولئك الذين اظهروا خضوعهم للتنصير واستغاثة الموريسكوس بالسلطان بايزيد ، وختم الفصل بوثيقة عربية عن احوال هؤلاء الموريسكوس وآلامهم .

الفصل الثالث فى ذروة الاضطهاد وثورة الموريسكيين ، وفيه تعرض للاضطهاد الذى عاد ايام شرلكان ، بعدما اظهر سياسة الرفق فثار المسلمون مرة اخرى ، وفى عهد ولده فليبي الثاني كان التنصير يعم جميع الموريسكوس ، وحرم استعمال العربية وتقاليد المسلمين ولباسهم ، فحاولوا الثورة مرة اخرى واستعانوا بأمراء الاسلام ، ففتك بهم فى غرناطة

واجتاح النصارى المناطق الثائرة وصدرت قوانين اخرى فى حقهم فانهارت هذه الثورة التى كانت قد انتشرت فى عدة جهات ، وبهذا انتهى الكتاب الثالث.

الكتاب الرابع ، فى نهاية النهاية ، وهو يحتوي على فصول ثلاثة :

الاول فى توجس السياسة الاسبانية وعصر الغارات البحرية الاسلامية ، وفيه تعرض للمجتمع الموريسكي واهميته وتراثه الروحي والادبي ثم الصلات التى كانت تربط سرا بينهم وبين مسلمي افريقيا وتركيا ، وما نتج عنها من غارات المجاهدين أهل البحار على شواطيء اسبانيا ، وما كان من توفق الاتراك لاحتلال الجزائر وتحطيم المشاريع الاستعمارية الاسبانية لسواحل الشمال الافريقي، ثم تعرض لحوادث المغرب ، التى حدثت بعد المنصور ، وكان منها فرار الشيخ الى اسبانيا مستصرخا فليبي الثالث واخيرا الصراع الذى قال انه كان بين زيدان واسبانيا : وبسبب منه استولى الاسبان على كتبه التى كانت محملة على سفينة ونعلق على هذا بان الصراع كان بين زيدان واخوته وابنائهم وبعض الثائرين ولم يكن صراعا سافرا بينه وبين الاسبان ، وان كان فى نيته استخلاص المعمورة منهم او الاحتفاظ بها مستعينا بالاراضي الواطية. كما ذكر ان خير الدين استولى على معظم الثغور المغربية ، والواقع انه لم يتعد الجزائر.

الثاني فى مأساة النفي ، وفيه تولى مشكلة الموريسكوس وما تعرضوا له اخيرا من النفي ومقاومتهم فى بعض الجهات ثم الاعتداء عليهم.

الثالث فى تأملات وتعليقات على آثار المأساة ، وفيه عرض للانحطاط الذى اصاب اسبانيا بسبب مأساة الموريسكوس ونفيهم كما عرض لآراء الكتاب الاسبان وغيرهم فى هذه المأساة ، ثم اتى بتعليق النقد الحديث عليها ، وبهذا انتهى الكتاب الرابع ونلاحظ فيه انه ذكر فى صفحة 149 انه بعد ثلاثة قرون من الخضوع لبث الموريسكيون فى عصر فليب الثالث » فلعلها ثلاثة ارباع قرن .

الكتاب الخامس ، فى نظم الحكم والحياة الاجتماعية والفكرية فى مملكة غرناطة ، ويشتمل على فصول : الاول فى نظم الحكم فى غرناطة وخواصها الاجتماعية تعرض فيها لمكانة الحضارة الاندلسية عامة، وازدهارها ايام الخلافة، ثم ذوبها بعيدها فانتعاشها ايام الطوائف ثم ركودها ايام المرابطين — كما قال — وانتعاشها مرة اخرى ايام الموحدين ، ثم تركزها اخيرا فى مملكة غرناطة ، ثم تعرض للون الحكم فى ظل بني نصر وانه كان حكما مطلقا يقوم عليه وزراء طغاة ، وفصل فى مهام الوزارة وخواصها وقيادة الجيوش ، كما تعرض للقضاء والحسبة والشرطة ، وعطف النظر بعد ذلك الى الاقليم الغرناطي وموارده وتقدم الزراعة والفراسة فيه والصناعات التجارية ، وختم الفصل بتكوين الامة الاندلسية ومجتمعاتها ومظهر القومية فيها، ونلاحظ على هذا الفصل انه ذكر ان الحركة الفكرية سرعان ما انكمشت عقب استيلاء المرابطين على الاندلس وكان اولئك البربر الصحراويون قوما غلاظا ، تغلب عليهم افكار الرجعية المتيقة الى آخر ما نعت به هؤلاء المرابطين الذين وجدوا من ينصفهم حتى من الدارسين النصارى فى عصرنا ، فكان من هؤلاء المستشرق الانجليزي نيل بربر الذى القى كلمة طيبة عنهم منوها باعمالهم العظيمة واخذهم بصبغ الحضارة ، وذلكم فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد ببلنسية 66 ، وفى كلامه على ابن رشد الفيلسوف يقول انه اتصل منذ فتوته بابي يوسف يعقوب بن عبد المومن ، ولا شك انه خطا مطبعي بدليل ، قوله فيما بعد وتولى اثناء ذلك منصب الطبيب الخاص للخليفة ابي يعقوب يوسف ثم لولده الخليفة يعقوب المنصور وبعدما يشيد بحظوة ابن رشد عند الموحدين ، يقول : كانت الفلسفة ايام الموحدين قرينة الالحاد والزندقة ، هكذا ونحن لا نراه موفقا .

الثاني فى الحركة الفكرية فى مراحلها الاولى ، تعرض فيه للحركة الفكرية اوائل القرن السابع ، واتى بشخصيات تمثل هذا الدور الذى برز فيه بعض الامراء النصرانيين ووزراؤهم وكتابهم ، وان ركدت الحركة العلمية خاصة : باستثناء بعض النبهاء فيها

ونلاحظ عليه انه جعل — كاحمد امين — وصف ابن الخطيب فى الاحاطة للمجتمع الغرناطي، وصفا للمجتمع الاندلسي ، مع انه ليس كذلك .

الثالث فى عهدالنضج والازدهار، وفيه تعرض لتقدم للحركة الفكرية ، واتى بتراجم لرجال لها ، خص فيها ابن الخطيب بحظ وافر ثم عقبه بترجمة تلميذه ابن زمرك ، وختم الفصل ببقية الشعراء والادباء ثم الفقهاء والمؤرخين

وفى مأساة ابن الخطيب يعلق عليها بقوله : وهكذا ذهب الكاتب والمفكر الكبير ضحية الجهالة والتعصب والاحقاد السياسية الوضيعة ، وكان فى الفصل اقتصر

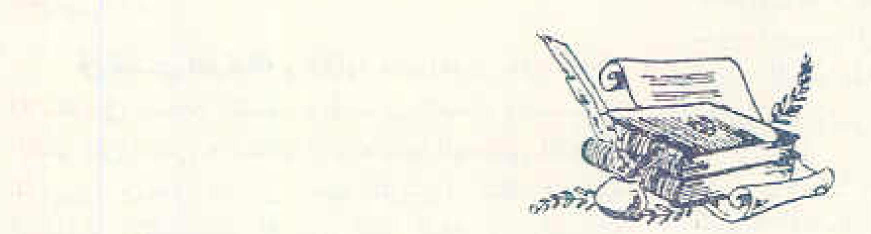
فى هذه الضحية على التعصب السياسي ، وهو حق هناك؛ اما الجهالة فلم يكن لها يد فيها ، ونذكر تعليقا على التعليق 3 من الصفحة 485 ان نثير فرائد الجمان فى نظم فحول الزمان ، قد طبع بتحقيق محمد رضوان الداية سنة 1967 ، كما سنتعرض له ، وتعليقا على التعاليق (1) من الصفحة 486 نذكر ان الكتاب بعينه كتاب روضة النسرين الذى نشره ليفي بروفنسال فى المجلة الاسيوية سنة 1923 ثم صديقنا عبد الوهاب بن منصور ضمن مطبوعات القصر الملكي سنة 1963 ، فبالعنوان الاول قدمه المؤلف لابي العباس احمد المريني ، وبالعنوان الثاني قدمه لابي سعيد عثمان لا انه وصل فى هذا ما انقطع من الاخبار حتى عام 807 واضاف اليه نبذة من اخبار بني عبد الوادي ، فالنتيجة ان الكتاب الذى ذكر بالعنوان الاول طبع مزيدا عليه بالعنوان الثاني .

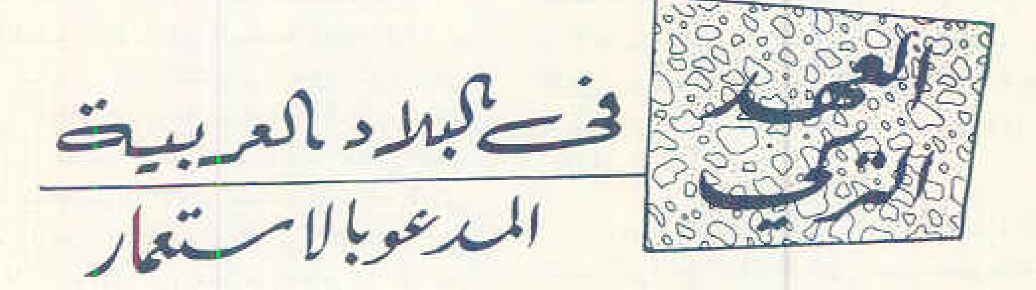
الفصل الرابع ، فى العصر الاخير والآثار الباقية؛ تعرض فيه لركود الحركة الفكرية ، واتى ببعض تراجم رجالها ، ثم تعرض للقضاء على العربية بعد سقوط غرناطة، ونشأة كتابة الخميادو ولغة الموريسكيين السرية واتى بنماذج من تراث الخميادو ثم تعرض لمكتبة الاسكوريال وانتفاع البحث الحديث بمحتوياتها بعدما حجبت عن اعين الباحثين ، ثم انتقل الى الفن فى الاندلس وتطوره الى ركوده ايام المرابطين والموحدين، الذين وصفهم بأنهم « الغزاة البربر الذين كانوا يضطرمون بروح دينية محافظة لم يقدروا الفنون والآداب » عفا الله

وبهذا الفاصل انتهى الكتاب القيم ، الذى ذيله بثبت للمراجع العديدة التى تضم مطبوعات بالعربية وغيرها ، ومخطوطات من كتب ووثائق فى مختلف المكتبات العالمية . .

ولا يفوتنا ان نعلق على التعليق (1) من الصفحة 489 بان تحفة الحكام منظومة فى الفقة وليست كتابا كما ذكر المؤلف

تطوان ــ محمد بن تاويت





للأستاذ عبد القادر القادري

ألقت الى المدفنة نسخة من الجزء الثاني لكتاب مدرسي يحمل عنوان « المطالعة النموذجية » من تأليف اساتذة مغاربة ومصريين .

وقد لفت نظري فيه فيما يخص العهد التركي في البلاد العربية ما يلي : .. « وحارب العرب **الاستعمار التركي** الذي حاول ان يقضي على البلاد العربية وظل جاثما على صدر العرب نحو اربعة قرون من الزمان .. ونحن العرب لن ننسى سياسة الاستعمار ومكايد المستعمرين وارتكابهم افظع الجرائم الوحشية في الوطن العربي الكبير .

لن ننسى «تركيا» وتنكيلها بالمجاهدين على اعواد المشانق في ساحة الشهداء بدمشق الفيحاء ولبنان الاشم ولن ننسى « ايطاليا » وتعذيبها الوحشي للاحرار الليبيين .. ومعنى هذا ان العهد التركي في البلاد العربية استعمار كالاستعمار الاروبي لهذه البلاد . وواقعيا ومنطقيا ان المسلم لا يستعمر اخاه المسلم لان الاستعمار يحارب فيما يحارب ديانة اهالي المستعمرة لتنصيرهم . فكيف يعقل ان ينعت العهد التركي في البلاد العربية بالاستعمار رغم ان الاتراك يدينون بالديانة الاسلامية التي يدين بها العرب .

ولا خفاء ان الكتاب العرب المسيحيين هم اول من سمى ذلك استعمارا تركيا تغليطا منهم للتاريخ وللراي العام العربي وتشويها للعهد التركي في البلاد العربية فحذا حذوهم في ذلك الكتاب العرب المسلمون بالمشرق العربي حتى وصلت العدوى الى كتاب المغرب فثبتوا ذلك في كتاب المطالعة النموذجية التي اعتمدته وزارة التربية الوطنية المغربية للتدريس بمدارسها الثانوية .

ومن نافلة القول ان الحكم التركي للبلاد العربية لم يكن حكما بالمعنى الضيق لهذه الكلمة وانما كان اشرافا فقط لان الحكم كان بيد العرب في اكثر الاحوال ما عدا الجيش الذي كان تركيا مائة في المائة لحماية أرض الاسلام من كل غاز . فوالي نجد كان عربيا من بيت آل سعود وكان الشريف غالب يحكم هو واسلافه العلويون مكة المكرمة منذ القرن العاشر الهجري وكانت سوريا ومصر في القرن التاسع عشر المسيحي قد انتهت الى ما يقارب الاستقلال في ظل احمد باشا الجزار والمماليك وقس على ذلك ليبيا وتونس والجزائر .

وقد تبوأ كثير من العرب مناصب رفيعة في الدولة التركية العثمانية فالشيخ أبو الهدى العيادي كان فقيه البلاط وهو سوري الاصل وكان عزت باشا العابد وهو عربي من سوريا سكرتيرا خاصا للسلطان عبد الحميد الثاني . وشارك كثير من الضباط العرب في الحروب التي خاضتها تركيا العثمانية ضد الروسيا من امثال جعفر باشا العسكري الزعيم العراقي المشهور وعزيز علي المصري والشاعر المصري محمود سامي البارودي الذي قال في حرب القرم :

واصبحت في أرض يحاربها القطا
وترهبها الجنان وهي سوارح

تصيح بها الاصداء فى غسق الدجى

صياح الثكالى هيجتهـا النوائــح

مدافعنا نصب العـدا ومشاتنـا

قيام تليها الصافنـات القــوارح

وقاد أحد الضباط العرب فى رومانيا جيشا تركيا فى حرب البلقان وهذا الضابط هو الهاشمي أخ طـه الهاشمي المشهور . وترأس محمود شوكت باشا وهو عراقي الاصل الوزارة التركية عام 1913 واحتـل استانبول عاصمة الخلافة الاسلامية . واكثرية شيوخ الاسلام فى تركيا العثمانية كانوا من العرب المسلمين. وتلقى كثير من العرب علومهم باستانبول من امثال الشيخ عبد القادر المغربي وعبد العزيز جاويش وجعفـر العسكري والشاعر العراقي معروف الرصافي . وكان ابو النصر يحيى السلاوي وابراهيم ادهم زعيمي أدباء العرب فى مدينة استانبول وكان كثير مـن العـرب يصدرون جرائد ومجلات باللغة العربية من هذه المدينة وها هو جدول باسماء تلك الجرائد والمجلات العربية واسماء منشئيها وتواريخ اصدارها :

اسم المجلة	اسم منشئها	تاريخ اصدارها
مرآة الاحوال	رزق الله حسون	1855
السلطنة	اسكندر شلهوب	1857
الجوائب	احمد فارس الشدياق	1861
السلام	جبرائيل دلال	1879
الاعتدال	احمد قدري	1883
السلام	الحاج صالح الصائغي	1885
الانسان	حسين حسنى	1886
الدستور	احمد باشا الزهير	1908
كلمة الحق	جرجي بك حرقوش	1908
المنير	عبد الحميد الزهراوي	1903
شمس الحقائق	الامير خليل شهاب	1909
العرب	محمد عبد الله	1909
الانتقاد	عبد الرزاق البغدادي	1910
الهلال العثماني	عبد العزيز جاويش	1913
الحقائق	ابو النصر يحيى السلاوي	1885
لسان العرب	محمد عزت الاعظمي	1913
العالم الاسلامي	الشيخ عبد العزيز جاويش	1916
مناظر الحرب	عبد الله السعد	1912
سفينة الاسلام	محمد صفا	1912
كوكب العلم	نجيب نادر	1884
المنتدى الادبي	محمد عزت الاعظمي	1914

وما من شك فى ان الحكم التركي للبلاد العربية اخر سقوطها فى قبضة الاستعمار الاروبى زهاء اربعة قرون من الزمان فالقائدان البحريان التركيان طالوك ترى وبربروس خير الدين باشا انقذا الجزائر من سيطرة الاسبان. ولما أعلنت ايطاليا الحرب عام 1911م على الدولة التركية العثمانية ووطئت قواتها بلاد ليبيا وقع عبء الدفاع عن هذه البلاد على عاتق قائدين تركيين هما أنور باشا ومصطفى كمال الذي كسب هنا أول اكليل من اكاليل مجده العسكري . وفى الحرب العالمية الاولى دافعت الجيوش التركية عبر قناة السويس وسوريا وفلسطين والعراق ضد الجيوش الانجليزية والفرنسية الغازية دفاع الابطال رغم انضمام العرب الى الجيوش الغازية .

ومجمل القول ان ادعاءات بعض كتاب المشرق العربي الذين حاولوا وما زالوا يحاولون ان يضفوا على العهد التركي فى البلاد العربية صفة الاستعمار ليست الا افتراء صارخا لان الاتراك العثمانيين لم يعملوا فى الحقيقة الا دفاعا عن ارض الاسلام فى المشرق العربي وفى المغرب العربي باستثناء المغرب الاقصى الذي لم يخضع للخلافة العثمانية لشدة بأس أهله والترك فى الحرب .

فعلى الكتاب العرب أن يتركوا الترك وشأنهم لقوله عليه السلام « اتركوا الترك ما تركوكم » حيث ان الترك تركوا العرب وشأنهم منذ أن وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها .

الرباط : عبد القادر القادري







تنهدت « زيدة » وهي تنظر الى ولدها « مرزوق » وحبات العرق تلمع على وجهه الاسمر .. كان يجاهد لتعليق كبش مسلوخ على مخطاف يتدلى من سقف المطبخ ، ويقول :

— هذا آخر خروف

وحين انتهى من تعليقه اقتربت منه امه ، واخذت تمسح عرقه بفوطة على كتفها وتقول له بحنان كبير :

— بعد هذا ستذهب للحمام ، وتلبس ملابسك الجديدة .. ستكون عريسا تماما كاخيك سيدي ادريس .. لا فرق بينكما .. سوف ستتزوج باخت عرسه « للا الزاهية » ، وتدخل ليلة دخلته .. ماذا تريد اكثر من هذا ؟

وزفر مرزوق وهمهم :

— اخت عروسه البشعة الحذباء ، هذا كل ما استحقه ، لانني ابنك ، ابن الخادم !

واعترضت زيدة :

— حذباء ، نعم .. اما بشعة ، فلا .. انا اعرفها .. للا الزاهية لها من الادب والصواب والحشمة ما يعوضها عن نقصها .. والزواج قسمة ونصيب يا ولدي

ودفعته من كتفه بلطف :

— اذهب مع اصحابك للحمام .. خذ الصرة والصطلة من غرفتك لقد جمعت لك فيهما كل ما تحتاج اليه ..

وخرج يمسح العرق عن جبينه بكمه وامه تنظر الى ظهر قميصه الموشح بدم الخرفان وتكتم تنهدا عميقا في صدرها ..

خمسون سنة قضتها في خدمة سيدها الحاج الفاطمي بلعيد الذي تدعوه بسيدي الكبير ، منذ اعطيت له هدية من ابيه ليلة زفافه وهي في الخامسة عشرة خفيفة جميلة ناعمة البشرة لامعة السواد ..

أخذها الحاج الفاطمي بلعيد لتكون خادمته الشخصية فكانت تعرف عاداته كلها وتسبقه بالخدمة قبل الطلب ..

وفي السادسة عشرة كانت زيدة تحفة جميلة من الاغراء والانوثة .. كانت ابتسامتها العريضة تضيء البيت ، وصوتها الموسيقي يملأ السمع والقلب حين تغني وهي تشتغل .. وكان جسدها الغض الناعم يتفتح يوما عن يوم .. وكانت سيدتها « للا ام هانيء » التي تكبرها بسنوات قليلة تاخذها معها للحمام لتساعدها على حمل اسطال الماء ، وحك وتدليك أعضائها ، وغسل شعرها الطويل بالغاسول وتسريحه .. وكانت للا ام هانيء بدورها تحك ظهر خادمتها زيدة،

وتضفر شعرها الاكرد ضفائر صغيرة تدل على العناية والاهتمام ..

ظلت علاقتهما طيبة حتى ذات يوم ظلت زيـــدة تذكره طوال حياتها ..

*

كانت سيدتها قد ذهبت لحفلة عرس وبقيت زيدة لحراسة البيت ، واطعام سيدها ، والقيام بحاجاته .. وجاء الحاج الفاطمي الى البيت ذات مساء على غير عادته ، وكانت زيدة وسط قاعة البيت الكبيرة ملفوفة بفوطة تنشف جسدها بعد حمام خفيف وتنظر الـــى صدرها الناهد ، وبقية اطرافها بافتتان في المـــرآة البلورية المعلقة بجدار المقعد ..

ولم تشعر بسيدها الذي كان يقف على عتبة المدخل وراءها وفي عينيه نظرة غريبة لم ترها مـــن قبل ..

واطلقت صرخة مكتومة ، والتفت بفوطتهـــا واسرعت لتصعد الى غرفتها .. ولكن الحاج الفاطمي اعترض طريقها وامسك بها من خصرها بيد ونـــزع الفوطة باليد الاخرى ، ثم نظر الى جسدها ..

— اين كنت تخفين كل هذا ؟

وكانت هي تدفعه عنها بفزع ممزوج بفرحـــة مكتومة ، ومشاعر مختلطة فيها خوف غريزي من ألـــم بدني حاد ، واسرار غامضة اخرى ..

ودافعته عنها بضعف وهي بين ذراعيه القويتين تتمتم .

— آويلي آسيدي .. ارجوك .. خلني اذهـــب لالبس .. ماذا تقول سيدتي لو دخلت علينا هكذا ..

وكان جوابه ان ضمها اليه وقال :

— لا تخافي .. سيدتك لن تاتي الآن تعالي معي.. وجرها من يدها خلفه ، وصعد بها الى غرفتها بالدور الاعلى وهي تغطي صدرها بكفها وتردد رجاءات لم يكن يسمعها ..

لم تنس « زيدة » تلك اللحظة السحرية التي جمعتها بسيدها الوسيم ، والذي كانت تكتم حبها له في ركن عميق من قلبها لا تصل اليه حتى الاحلام .. فقد كان بعيدا عنها بعد السماوات والنجوم .

واكتشفها سيدها هي الاخرى .. كان يراها منذ ان كانت طفلة صغيرة ملساء الصدر حافية القدمين كقطعة من اثاث المنزل او حيوان من حيواناته الاليفة واليوم تقف امامه امراة كاملة النضج ، يلمع جلدهـــا الاسود الحالك انوثة وشبابا وجاذبية ..

كان يسمع عن الشيوخ ان السوداوات اسخن من البيضاوات اجساما ، واشدهن امتاعا .. وهناك من يدعي ان في عشرتهن علاج لامراض الشيخوخـــة وعجزها المشين .. ولم يخطر بباله ان يجرب حتـــى اكتشف « زيدة » ..

ودامت العلاقة سرية مدة ثلاث سنوات ، حتى حملت زيدة بولدها « مرزوق » ..

وضغطت «ام هانىء» على زوجها الحاج الفاطمي لينكر ابوته للمولود فرفض .. ونشبت خصومة بـــين الزوجين والعائلتين كانت زيدة في قلبها ..

شيء واحد لم تستطع زيدة نسيانه من كل تلك الزوبعة .. بقيت ذكراه حية في مخيلتها امدا بعيـــدا .. كانت تجلس في غرفتها الصغيرة وفي حجرها طفلهـــا الصغير « مرزوق » ، وهي تنظر الى شفتيه الصغيرتين مطبقتين حول حلمة ثديها يمتصه مغمض العينيـــن ، وقد امتلأ قلبها حبا وحنانا ، اذ دخلت عليها ام هانىء زوجة سيدها فكانت ترفع الولد اليها لتفرح به ، ولكنها فوجئت بنظرة الغيرة والحسد تلهب عينيها .. ودفعت غريزة الامومة بزيدة الى ضم طفلها وحمايته بذراعيها عندما احست بروح الشر التي كانت تتقمص ام هانىء

ونظرت هذه الى الطفل واليها نظرة احتقار شديد ثم بصقت في وجهها وانصرفت تشتم الخدم وتلعـــن اصلهم ..

ومسحت زيدة وجهها بكمها مرة بعد اخرى : وغسلته بعد ذلك بالماء الساخن والصابون .. ولكنها كانت تحس بلل البصقة ما يزال على وجهها ودفنت القهر الذي اصابها عميقا في داخلها ..

*

ومرت الايام .. وهدات العاصفة ، وقلـــت اللحظات السعيدة التي كان يقضيها الحاج الفاطمي مع زيدة ، رغم انه اعلنها جارية وسرية ، لشدة رقابـــة الزوجة وحرصها على الابعاد بينهما ..

ولم يهدأ بال ام هانىء حتى حبلت هي الاخرى وولدت ولدا ذكرا سموه ادريس على اسم جـــده .. فخفت بذلك حدة التوتر والمنافسة ..

ورغم اعتراف الحاج الفاطمي بولده مرزوق فقد كان مفهوما انه ادنى درجة من ولد الحرة ادريس ..

وشب مرزوق في بيت واحد مع اخيه ادريـــس يلعبان معا ويذهبان لمدرسة واحدة حتى سن المراهقة، اذ بدات الميزات والفروق الاجتماعية تباعد بينهما ..

وشعر ادريس بامتيازاته على اخيه وعاملـــه بقسوة الصغار على انه ابن الخادم ، وانه ادنى منـــه درجة واقل امتيازات ..

ورغم ذكاء مرزوق وحرية روحه فقد بدا ينطفىء وينعزل عن اقرانه السابقين الى رفقاء جدد تجمعه بهم رابطة الشعور المشترك .

ورغم صغره فقد ظل عاكفا على دراستـــه في الخفاء ، بينما لا يتردد احد من اهل الدار في تسخيره وتكليفه بحمل الاثقال وتنظيف المجاري ، وغير ذلك من الاعمال التي لا يزاولها الا الخدم ..

وكان يقسو على امه حين يمتلىء قلبه الما فتحاول تهدئته وتسليته ، وتعطيه ما جمعته من نقود ليصرفها او تشتري له ملبوسا جديدا ..

وكانت ثورات غضبه تؤثر عليها هي الاخرى ، فتلوذ بالصمت اياما طويلة وهي عاكفة على تقشير الخضروات في المطبخ او على جفنة التصبين ..

كانت علاقتها البدنية بسيدها قد انقطعت مـــن زمان .. منذ تجاوزت الاربعين وذهب شبابها وذبـــل جسدها .. وبانقطاع العلاقة البدنية ازدادت الفوارق الاجتماعية بينهما ، ونزلت زبدة الى مجرد خادمة لها من سيدها ولد ..

الا انها لم تفقد سيطرتها على البيت من الناحية الادارية .. كانت ام هانىء تعتمد عليها اعتمادا كاملا ، وتعمل برايها فيما يخص ادارة البيت ، واطعـــــام الضيوف ، وتنظيم الحفلات والمناسبات الاجتماعية.. وساعدها نشاطها وحيويتها التي لم يثلمها الزمان ، ورغبتها في نسيان متاعب ابنها على الاستمرار والبقاء في صحة دائمة ..

*

وحان موعد زفاف الولدين ادريس ومرزوق ، بأختين من عائلة في مستوى عائلة الحاج الفاطمـــي الاجتماعي ، ورخائها المادي ..

ولم يكن اب البنتين ليرضى بتزويج ابنته لمرزوق، ابن الامة ، لو لم تكن حذباء يتفاداهـــا الخطـــاب ويتجاوزونها الى اختها الصغرى ..

وبدات حفلات العرس الذي دام سبعة ايام ، وفي قلبه كانت زبدة لا تنام الا لحظات ، تأمر وتنهى في الخادمات والمساعدات ، وترتب البيوت وتحمل الموائد على رأسها مليئة بالشموع والهدايا ، وتزغرد وتهلل وتصلي على النبي ، وترقص على الغناء والدفـــوف وتضحك على النكات التي تقال عنها ، دون ان ينضب لنشاطها معين ..

وكان ادريس، ابن الحرة، مع اصدقائه ووزرائه في (دار رسلان) غارقا في ملذات العزوبة التي اشرف على وداعها .. كان يوم حفلة جديدة يفيض فيها الاكل والشراب ، ويعبق الجو بروائح الانبذة والخمـــور والدخان واصوات المسمعين وموسيقـــى العـــود والكمنجة والطار ..

وفي ليلة الزفاف اقيمت له حفلة حمام فذهب مع اصدقائه الى حمام الحارة الذي اكتراه ليلا للمناسبة..

وبعد الحمام جاء الحلاق لتشذيب شعره على كرسي وسط الدار على انغام الموسيقى ، وطيب الند والعود والشاي المنعنع ، ونكات الرفاق والوزراء ..

وجاء وقت الحناء وتقدم فقيهان معروفان في المدينة بتحنية العروسين وبروحهما الخفيفة وكثرة فكاهاتهما ، فعجنا الحناء في وعاء فضي بماء الورد وهما يتغنيان بالشعر والاذكار، ومد العريس يده اليمنى فرسمابالحناء ريالا مستديرا كالدينار في كفه ، ودعيا له بالسعد والهناء وطول العمر .. واستمرت الحفلات ..

وذهب مرزوق مع حفنة من اصدقائه المقربين الى حمام صغير ، وذهبوا به بعد ذلك لبيت احدهم حيث اجتمعوا حوله يغنون ويعبثون .. وارسلت امه اليهم اطباق الطعام والفاكهة وصواني الحلوى .. حتى آن وقت الدخول ..

وقفت زبدة على باب قبة سيدها الصغيـــر ادريس ، وجالتببصرها على السرير المغطى بالاستار المخملية الثقيلة تغطيها استار اخرى شفافة توحـــي

بشعور من الرفاهية والبذخ .. وجالت بعينيها على المطارف والوسائد المطرزة .. كل شيء على ما يرام ..

وانتقلت الى القبة التي سيدخل فيها ابنها مرزوق على عروسه تلك الليلة ، فدارت فيها هي الاخرى ، ووضعت آخر اللمسات على اروقتها وحشاياها ، وحين تأكدت ان كل شيء في مكانه خرجت واقفلت القبة خلفها ونزلت تنتظر العروسين القادمتين بنرفز تحاول اخفاءها ..

واقتربت اصوات المزامير والطبول ، والاذكار والاناشيد ، وطلقات البارود ، وفرقعات جناوة من باب دار الحاج الفاطمي ، تعلن وصول العروسين ، واكتظ الدرب بالمتفرجين ، والسطوح بالنسوة ، لا تبدو الا عيونهن من وراء الاقنعة .. وانفتح الباب على مصراعيه ودخل الهودجان الى وسط الدار التي كانت مزدحمة هي الاخرى بالنسوة في ابهى حللهن ، وقد اثقلتهن القفاطين والحلي الذهبية ، وهن يشرابن باعناقهن نحو الهوادج المزينة ، كانها نسوة بدينات ..

وانطلقت الزغاريد ، وهللت الخادمات بالصلاة على النبي ، وتغزلن في جمال العروسين كل واحدة باسمها ..

كانت زيدة وسط المعمعة تفتح باب الهودج لتخرج عروس ابنها مرزوق بينما ام هانيء تستقبل عروس ابنها ادريس ..

وصعد العروسان كل الى قبتها تصحبهما النسوة بالشموع والزغاريد ..

وفي غرفتيهما جلستا تستريحان ، والخدم يغسلن وجهيهما بماء الورد ، ومشطت شعورهما ، وجلستا في قميصين حريريين وقلباهما يخفقان في انتظار قدوم العريسين ..

وفي الخارج كان موكب آخر يقترب نحو الدار .. الشموع والمزامير والاذكار تحيط بالعريسين وهما في جلابيبهما البيضاء وحولهما الاصدقاء والاحباب ، ووراءهما موكب من اعيان المدينة ، وعلى باب الدار ارتفعت الاصوات مرددة .

عباها عباها .. والله ما خلاها ..

ثم انشق ذلك عن اصوات مهيبة تنشد بلحن مؤثر :

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا
الله حافظه من كل منتقم

ثم رفع الفقهاء الفاتحة ، ودعوا للعريسين بالسعادة والرفاء والبنين .. ثم عادت الضوضاء تملأ الفضاء وبدا الصغار ينشدون

عباها عباها .. والله ما خلاها ..

ويدقون الدربكات والتعاريج والاكف ويتزاحمون بالاكتاف ويشرئبون بالاعناق نحو وسط الدار خلف العريسين .

واختبا النسوة في الغرف وفوق الدرابيز ووراء الاروقة يتفرجن على الموكب المتلاطم ويتسترن خلف الاقنعة والجلابيب ..

وتقدمت الموكب زيدة وهي تهلل وتكبر وتزغرد ذاكرة اسم سيدها الصغير داعية له ولابنها بالرضى والسعد حتى ادخلت كل واحد قبته ..

وحين فتحت الباب لابنها ضمته الى صدرها وقبلته على خديه وجبينه ثم همست شيئا في اذنه ودفعته داخل القبة واقفلت الباب وراءها ثم التفتت الى موكب الاصدقاء تدفعهم بلطف قائلة .

— بارك الله لي فيكم اللي جانا يجيه الخير . واللعزاب كيف تكونوا معهم ان شاء الله .. وسمعت من وسط النسوة صيحات تقول .

— التبن للعزاب .. التبن للعزاب ..

ونزلت زيدة خلف الموكب تزغرد وتكبر ..

وفي وسط الدار اصر الجميع على الوقوف في حلقة واسعة للغناء ، ودخلت زيدة وسطهم هي الاخرى ترقص محركة اكتافها حركات مكبرية . ووجهها يشع بانوار البهجة والسعادة.. واجتمع حولها اصدقاء مرزوق يمزحون معها ويهنونها بزواج ابنها . وهي تشكرهم وتتمنى لهم الاماني ..

وفي فجر اليوم الثاني جثمت على دار الحاج الفاطمي بلعيد سحابة كثيفة من الحزن ..

لقد وقع خطأ فظيع .. مرزوق ، ولد الخادم ، دخل بعروس اخيه ادريس ابن الحرة .. ونام ادريس مع اختها الحذباء ، زوجة مرزوق دون ان يدري لشدة سكرته .. تبادلا العروسين ..

ونظرت زيدة الى وجه سيدتها ام هانيء وقد هضمه الالم والاهانة والياس ..

ورفعت يدها فمسحت عن خدها بصقة لم تمحها السنون ..

واشنطن : احمد عبد السلام البقالي



نشاط وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في اقليم مكناس

بتوجيه من صاحب الجلالة قام السيد الحاج احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بزيارة تفقدية لاقليم مكناس حيث دشن عدة مساجد في كل من خنيفرة وازرو والحاجب ، وقد وصل السيد الوزير صحبة عامل الاقليم السيد محمد التادلي الى خنيفرة حيث وجد في استقباله رجال السلطة المحلية واعضاء المجالس المنتخبة وجمهورا غفيرا من المواطنين. ووسط عاصفة من التصفيقات دشن السيد الوزير مسجدا جديدا يحمل اسم الحسن الثاني وبعد ذلك القى السيد الوزير كلمة اشار فيها الى الخطة التى تسير عليها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وهي الخطة التى رسمها لها صاحب الجلالة امير المؤمنين لخدمة الروح الاسلامية وتقويتها .

ومن خنيفرة توجه السيد الوزير وعامل الاقليم الى كل من ازرو والحاجب حيث دشن مسجدين جديدين وذلك بحضور اعضاء الهيئات المنتخبة وجمهور غفير من المواطنين الذين اغتنموا فرصة وجود السيد الوزير بينهم ، فطلبوا منه ان يرفع الى مقام صاحب الجلالة ءايات تعلقهم بشخصه الكريم والعرش العلوي المجيد . والجدير بالذكر ان السيد الحاج احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية اولى اهتماما خاصا لعملية الكتاتيب القرءانية حيث زار بعض المراكز، وذلك قصد الاطلاع على سير اعمال تلك الكتاتيب القرءانية .

جلالة العاهل يكلف بعثة وزارية لتدشين البناء الجديد بضريح المولى ادريس الاكبر

توجه في يوم الاربعاء 27 رمضان المعظم بأمر من صاحب الجلالة الى مدينة زرهون السيد الحاج احمد بركاش وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية والسيد احمد العلوي وزير الدولة المكلف بالسياحة والصناعة التقليدية والسيد محمد بلعالم نائب كاتب الدولة في الداخلية والجنرال مولاي حفيظ العلوي مدير التشريفات الملكية والاوسمة وعدة شخصيات لحضور حفلة تدشين المرافق الجديدة الملحقة بمسجد المولى ادريس الاكبر .

وبعد صلاة العصر قام السيد الحاج احمد بركاش والشخصيات الرسمية بتدشين البناء الجديد الذى امر مولانا صاحب الجلالة باضافته الى الضريح وذلك في اطار توسيع مسجد المولى ادريس الاكبر .

وقد القى السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية كلمة بهذه المناسبة امام الشرفاء الادارسة والشخصيات العديدة التى حضرت هذا الحفل مشيرا الى المكانة التى يحتلها المولى ادريس الاكبر في تاريخنا الوطني .

وتخليدا لهذا البطل فان صاحب الجلالة المنصور بالله ، ابى الا ان يضيف هذا البناء الجديد من ماله الخاص وذلك سيرا على سنة اجداده الكرام في اعتنائهم بالشخصيات الاسلامية .

وقد عبر الشرفاء الادارسة عن عظيم امتنانهم عن هذه الالتفاتة التى تعبر اصدق تعبير عن حرص صاحب الجلالة ايده الله فى الحفاظ على الطابع الاسلامي لهذا البلد وانتهزوا هذه الفرصة للتعبير للسادة الوزراء عن مدى تعلقهم بالعرش العلوي المجيد وولائهم لصاحب الجلالة امير المؤمنين مولانا الحسن الثاني ادام الله عزه وتأييده راجين من العلي القدير ان يطيل عمر جلالته وان يحفظ سمو ولي العهد الامير سيدي محمد بما حفظ به الذكر الحكيم .

والجدير بالملاحظة أن البناء الجديد الملحق بضريح مولاي ادريس الاكبر يمتد على مساحة تقدر بثلاثة ءالاف متر مربع ويقام مائتي سارية جديدة بالاضافة الى صحنين مساحة الاول احد عشر مترا مربعا ومساحة الثاني مائتان وخمسون مترا مربعا .

ويعتبر البناء الجديد ءاية من ءايات الفن المغربي فى فن الزخرفة والذوق الفني الاصيل .

المنجزات الفلاحية لسنة 1968

فى نطاق مساهمة وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية فى ازدهار البلاد وتنمية المداخيل الفلاحية الحبسية كي يتسنى لها مجابهة النفقات الضخمة التى تصرفها على بناء واصلاح المساجد وتسديد رواتب الموظفين الدينيين فقد تم غرس 132315 شجرة من الانواع الآتية فى غضون سنة 1968 :

الزيتون	66.949
اللوز	19.639
الدالية	800
الليمون	5.500
التفاح	300
التمر	500
الخروب	3.671
الكلبتوس	28.161
الصنوبر	5.795
المشمش	1.000
الجملة	132.315

وقد شمل هذا الغرس مساحة من الارض تقدر ب 889،88 استعملت الطرق الآتية لاستثمارها :

بصفة مباشرة	69.445 شجرة
بواسطة الفلاحين	29.418
بواسطة ادارة المياه والغابات	28.661
بواسطة مكتب الاستثمار الفلاحي	4.791
	132.315 شجرة

واذا قارنا هذه النتيجة بالتى اصدر عنها مشروع التشجير الذى انجز فى السنة الماضية نجد زيادة محسوسة توضح مدى اجتهاد النظارات فيما يخص الحصول على اكبر عدد من الاشجار فى سنة تميزت بنزول امطار غزيرة وبكيفية منتظمة .

هكذا بلغ عدد الاشجار فى السنة الماضية 120.196 شجرة بينما ارتفع هذاالعدد الى 132.315 فى هذه السنة اي بزيادة 12.119 شجرة .

ومن جهة اخرى فان عدد النقلات التى هيئت فى المطارح يقدر ب 83.500 ستستعمل لتموين النظارات التى ستسهر على انشاء مغارسات جديدة .

وفيما يرجع للتجهيز الميكانيكي فقد تم شراء عدد كبير من الجرارات والمحركات وزعت على النواحي الكثيرة الاحتياج اليها .

كما توبعت عملية حفر الآبار ومد القنوات وبناء خزانات الماء فى الاراضي القاحلة .

وفى هذه السنة ايضا شرعت الوزارة فى بيع غلال اشجار الزيتون التي تم غرسها فى سنتي 1957 و 1958 وغلال الليمون والمشمش التى غرست فى سنوات 1959 — 1960 — 62 — 63 . وكانت النتيجة لا باس بها .

اما اليد العاملة فقد عرفت تضخما هذه السنة بسبب الزيادة التى طرات على عملية التشجير .



المغـــرب :

* ترأس صاحب الجلالة الملك المعظم – كما هي العادة – الاحاديث الدينية بضريح مولاي الحسن بالرباط . وقد تعاقب على هذه الدروس الرمضانية علماء من المغرب ، والجزائر ، وتونس ، والجمهورية العربية المتحدة . وقد اختتم صاحب الجلالة هذه الدروس بدرس قيم شرح فيه الآية الكريمة : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » .

* احتفل المغرب قاطبة بالذكرى الثامنة لوفاة صاحب الجلالة الملك المعظم محمد الخامس طيب الله ثراه . وقد اقيم تأبين كبير بضريح مولاي الحسن ، ترأسه صاحب الجلالة الحسن الثاني ، وذلك في ليلة العاشر من شهر رمضان المعظم .

* انعقد في الساعة السابعة والنصف من مساءيوم 23 رمضان 1388 الموافق 14 دجنبر 1968 بقاعة الافراح بمدينة الدار البيضاء ندوة حول الامانة والمسؤولية في الاسلام بدعوة من المندوبية السامية في التعاون الوطني شارك فيها الاساتذة السادة : عبد الهادي بوطالب وزير الدولة ، عبد الرحمان الدكالي الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، حسن الزهراوي الاستاذ بكلية اللغة العربية بمراكش، محمد حماد الصقلي خريج دار الحديث الحسنية ، الشيخ عبد البر من علماء الازهر .

وقد عالجوا فيها الامانة والمسؤولية في الاسلام من خلال الحديث الديني لامير المؤمنين صاحب الجلالة الملك المعظم .

* نظمت وزارة الثقافة والتعليم الاصلي ندوة حول « منهجية المعجم العلمي العربي » بمساعدة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي . وقد حضر هذه الندوة وزراء التربية في كل من ليبيا ، والكويت ، والجزائر ، ولبنان ، والجمهورية العربية المتحدة ، والمملكة السعودية ، واليمن ، والسودان ، والعراق ، وتونس ، بالاضافة الى ممثلين عن مجمع اللغة العربية بدمشق ، والمجمع العلمي العراقي ، والمجلس الاعلى للعلوم بدمشق ، والمجلس الاعلى للعلوم بالقاهرة ، والاتحاد العلمي العربي بالقاهرة ، ومدير الثقافة بجامعة الدول العربية . أما الوفد المغربي فكان يتألف من 27 شخصا برئاسة السيد وزير الدولة للشؤون الثقافية ، والتعليم الاصلي ، ودامت هذه الندوة من 25 الى 27 دجنبر الماضي .

* شارك وفد عن اتحاد كتاب المغرب في الندوة الخاصة بالقصة في تونس . وكان يتألف من الاساتذة : عبد الكريم غلاب ، عبد المجيد بن جلون ، محمد بيدي ، خناثة بنونة ، مبارك ربيع .

* ستصدر وزارة البريد مجموعة طوابع جديدة ، تمثل شخصيات مغربية ، بعد ان سبق لها أن اصدرت الطوابع الخاصة بالنقود المغربية التاريخية . ومن بينها درهم مغربي يرجع عهده الى الدولة الادريسية .

* « سنتان في المغرب » عنوان كتاب صدر مؤخرا في العراق عن وزارة الثقافة والاعلام لمؤلفه الاستاذ جابر فؤاد .

* منحت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي جائزة الدولة لسنة 1968 الى الاساتذة الآتية اسماؤهم : عبد الكريم غلاب . عبد الوهاب بن منصور . عبد الحي العمراني . عبد الحق المريني . محمد حسن الوزاني . بول برتي . محمد عزيز الحبابي .

❊ يوجد تحت الطبع عدد الخريف من مجلة « آفاق » التي يصدرها اتحاد كتاب المغرب .

❊ أصدر سفير ليبيا بالمغرب الاستاذ خليفة التليسي مجموعة قصصية تضم قصصا اسبانية وايطالية مترجمة الى اللغة العربية . وقد سبق للاستاذ أن اصدر كتابا يضم قصصا للقاص الايطالي المعروف براندللو مترجمة الى اللغة العربية ، كما اصدر كتابا عن « جبران — والشابي » .

❊ بمناسبة شهر رمضان القيت في مختلف الاقاليم المغربية ما يقرب من ثلاثمائة محاضرة ، اغلبها دينية .

❊ « المحاماة » اسم مجلة جديدة صدرت بالمغرب ، عن هيئة المحامين المغاربة . مديرها الاستاذ عبد الكريم ابن جلون ، ورئيس تحريرها الاستاذ عبد السلام المراكشي .

❊ « دفاعا عن الثقافة المغربية » كتاب جديد صدر للاستاذ حسن السائح .

❊ شهدت دار الفكر خلال شهر رمضان النشاط الآتي :

تأبين الاخطل الصغير ، بشارة الخوري قام به السيد محمد الصباغ ، تأبين الامير مصطفى الشهابي للاستاذ عبد الله كنون ، تأبين احمد الحسن الزيات قام بالقائه الاستاذ ادريس الكتاني . « تجربتي مع القصة » للانسة خناثة بنونة . « العرب والعقل » محاضرة القاها الاستاذ علي اومليل ، الى جانب الحفلات الموسيقية الترفيهية التي قام بها فنانون مغاربة .

❊ عقد بمدينة طنجة ندوة للمجلس الاداري للمركز الافريقي للتكوين والابحاث الادارية .

❊ انتخب الاستاذ محمد بن تاويت رئيسا لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الاداب بفاس خلفا للدكتور امجد الطرابلسي .

❊ بمناسبة يوم هيئة الامم المتحدة اقامت مفتشية وزارة الشبيبة والرياضة ندوة تناولت فيها موضوع : « دور هيئة الامم المتحدة » بمشاركة الاستاذ حكمت النابلسي — نائب المندوب الدائم للامم المتحدة بالمغرب، والاستاذ مصطفى القباج — مدير المركز الوطني لتكوين المربين التابع لوزارة الشبيبة والرياضة .

❊ انتقل الى عفو الله اثر حادث سير بالقرب من مطار سلا الدكتور محمد بلكناوي ، الذي كان رفيقا لصاحب الجلالة بالمعهد المولوي بالرباط ، وقد اوفد صاحب الجلالة الملك المعظم بعثة وزارية يراسها السيد ادريس المحمدي الوزير المدير العام للديوان الملكي لتقديم التعازي الى اسرة الفقيد وقد كان الدكتور محمد بلكناوي يتمتع بسمعة طيبة جدا في جميع الاوساط المغربية كما عرف ببشاشته وطيبوبته مع المرضى واسهامه في الحقل الوطني والاجتماعي .

❊ قدم الاستاذ عبد الجبار السحيمي مجموعة قصصه الى المطبعة .

❊ زار المغرب مؤخرا الدكتور عبد المالك أمر الله من علماء المسلمين الكبار بأندونيسيا . وقد القى محاضرة حول العلاقة بين المغرب وأندونيسيا .

❊ نظمت وزارة الدولة للشؤون الثقافية محاضرة بدار الحديث الحسنية القاها الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة . وكان موضوعها « طلب الاجازة » .

❊ تنوي وزارة البريد اصدار سلسلة من طوابعها البريدية خاصة بالاعلام المغاربة .

❊ عدد الخريف لمجلة « آفاق » لسان حال اتحاد كتاب المغرب يصدر قريبا بحلة جديدة .

❊ وفد على المغرب في الايام الاخيرة الاستاذ محمد كاظم القزويني من علماء كربلاء .

❊ نظم اتحاد كتاب المغرب اياما فكرية خاصة بتونس دامت ثلاثة أيام قدم فيها الاستاذ عبد القادر الصحراوي محاضرة عن الادب الشعبي بتونس ، كما قدم كلا من الاستاذين عبد الجبار السحيمي ، ومحمد برادة دراسة عن القصة في تونس ، والرواية في تونس . وقد اختتمت هذه الايام التونسية بمحاضرة القاها الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة في موضوع : « الوان من الحياة الفكرية بتونس » .

* ينظم اتحاد كتاب المغرب قريبا « اياما فلسطينية » على غرار « ايام تونسية » .

* غادر المغرب احد كتاب هذه المجلة الدكتور تقي الدين الهلالي ليدرس بالجامعة الاسلامية في المدينة المنورة . وكان الدكتور يشتغل بتدريس اللغة العبرية واللغات السامية بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط .

* القى الاستاذ روم لاندو بالمركز الثقافي بالرباط ، محاضرة بعنوان : « تاثير الاسلام مع الثقافة الغربية »

* القى السيد محمد الفاسي ، وزير الشؤون الثقافية والتعليم الاصلي اول خطاب بالعربية امام الجمعية العامة لمنظمة اليونيسكو بباريس . واعرب السيد الفاسي عن ارتياحه في خطاب القاه خلال مناقشة برنامج المنظمة بأن اللغة العربية اصبحت لغة رسمية جعلت المنظمة ذات ابعاد دولية حقيقية .

* دشنت الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني مركزها الجديد . وبالمناسبة أقامت حفلا كبيرا .

* ذكر وزير التعليم العالي في ندوته الصحفية ان عدد الجامعيين المغاربة تضاعف 13 مرة في 11 سنة .

* مثل المغرب في مؤتمر الاذاعات والتلفزة الافريقية السيد عبد الله شقرون .

* وصلت لاول مرة مجموعة مركبة من 9 طلبة يوغسلافيين الى المغرب لمواصلة دراستهم في اللغة العربية بجامعة القرويين بفاس . وهؤلاء الطلبة ممنوحون من الحكومة المغربية .

* وصل الى المغرب وفد عن اتحاد كتاب ليبيا يتكون من الاساتذة عبد اللطيف الشويرف ، وعبد العزيز الرحيبي ، وعلي مصطفى المسراتي ، بقصد الاجتماع والتداول مع اعضاء اتحاد كتاب المغرب ، في موضوع اعداد مؤتمر اتحاد كتاب المغرب العربي ، الذي سيعقد في الاسبوع الاخير من شهر يناير من السنة القادمة . وقد تدارس الوفد الليبي مع اعضاء الاتحاد المغربي الخطوط العريضة الرئيسية للمؤتمر .

* شارك اتحاد كتاب المغرب بوفد يتألف من عشرين كاتبا للمشاركة في مؤتمر اتحاد كتاب المغرب العربي الذي سيعقد في ليبيا .

* استقبل السيد مالكولم اديسيشيان المدير العام بالنيابة لمنظمة اليونيسكو السيد زغلول مرسي الوزير فوق العادة ، والمندوب المغربي الدائم لدى منظمة اليونسكو الذي سلم له وثائق تصديق المغرب على اربع اتفاقيات وبروتوكولين اثنين تتعلق بمكافحة التمييز العنصري في ميدان التعليم ووقاية التراث الثقافي في حالة قيام أي نزاع مسلح وتبادل منشورات رسمية بين الدول .

* افتتح معرض الرسم والخط العربي للخطاط المغربي عبد العزيز الورديغي .

ويشتمل المعرض على رسوم زيتية ونماذج خطية رائعة تجمع بين انواع الخط العربي المختلفة من « مغربي » و « نسخي » و « ثلثي » و « كوفي » و « فارسي » و « ديواني جيلي » بالاضافة الى لوحات تمثل اتجاه السيد عبد العزيز الورديغي في الرسم .

وقد لقي المعرض اقبالا كبيرا من طرف الجمهور الذي لا زال لحد الان يتردد على المعرض بشارع محمد الخامس رقم 291 امام محطة القطار .

* باشراف وزارة عموم الاوقاف ، ووزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي ، اقيم بمسرح محمد الخامس مهرجان لمجودي القرآن الكريم .

* قام بزيارة الى المغرب ، وزير الاعلام السعودي ، بقصد بحث مدى التعاون بين القطرين الشقيقين في ميدان الاعلام .

* افتتح بالقاعة الوطنية للعرض بباب الرواح بالرباط معرض للفن القروي تحت اشراف وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي .

* سيصدر للاستاذ علال الفاسي كتاب يتحدث عن امكان توحيد يوم الصيام والاعياد الدينية في العالم الاسلامي طبقا لشواهد عصرية علمية .

* اصبح مسرح محمد الخامس ، تابعا لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية .

* رابطة علماء المغرب ، قرر كل أعضائهـــا أن يتبرعوا لمجاهدي منظمة « فتح » الفلسطينية بمبلغ 100 درهم لكل عضو .

* عقدت جمعية الشباب والتقدم جلسة افتتـاح مؤتمرها الثاني الذي انعقد أيام 16 و 17 و 18 نونبر 1968 ، بالمركز الوطني للشباب بغابة المعمورة . تحت الرئاسة الشرفية للسية وزير الشبيبة والرياضة.

الجـزائـــر :

* صدر عن المكتبة الوطنية في الجزائر التابعـــة لوزارة التربية الوطنية قائمة تتضمن اسماء الكتـب والدوريات التي وصلت الى المكتبة الوطنية الجزائرية.

* ستجتمع في الجزائر الهيئة الاستشارية الخاصة بالتربية والتعليم في دول المغرب العربي ، واللجـان المنبثقة عنها .

تـونــس :

* نعت تونس عالمها الكبير الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب .

* صدر عن الدار التونسية للنشر في تونس كتاب « خرافات » لمؤلفه عز الدين المدني ، كما صدر عنها كتاب بعنوان « القزاز القيرواني » لمؤلفه المنجـي الكعبي .

* الجوائز التشجيعية للقصة والشعر في تونس فاز بها في القصة حسن نصر ، وفي الشعر جعفر ماجد ، وزبيدة بشر .

* نصبت في تونس أول امراة قاضية وهي الآنسة آمنة الشتيوي .

ليبيــا :

* بلغ عدد المسلمين الذين يتلقون العلوم بالجامعة الاسلامية من مختلف الاقطار 600 طالب مسلم .

* صدر حديثا في ليبيا كتاب « العلاقات بين بنـي زيري والفاطميين وآثارها في تاريخ ليبيا » وهو من تاليف مراجع عقيلة الغناي .

* قام عاهل ليبيا الملك ادريس بوضع حجر الاساس لمدينة جامعية في مدينة البيضاء بليبيا ، تابعة لجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية . وبهـذه المناسبة القى الشيخ عبد الحميد الديب شيخ الجامعة كلمة في الاحتفال قال فيها ان الجامعة تضم الآن 46 استاذا و 409 طلابا من ليبيا و 600 طالب من 25 بلدا في افريقيا وآسيا .

* « انفاس الربيع » مجموعة شعرية صـــدرت للشاعر الليبي راشد الزبير السنوسي .

الجمهورية العربية المتحدة :

* « تاريخ العراق الحديث » من نهاية حكـم داود باشا ! الى نهاية حكم مدحت باشا . هذا الكتاب مـن تأليف الدكتور عبد العزيز سليمان نوار .

* « داود باشا والي بغداد » كتاب صدر بالقاهرة من تاليف الدكتور عبد العزيز سليمان نوار .

* محمد المازني ، ابن المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني يكتب قصة سينمائية عن والده .

* مخطوطة « غاية الاماني في اخبار القطر اليماني » لمؤلفها يحيى بن الحسين ، يقومبتحقيقها الاستـــاذ سعيد عاشور .

* الاستاذ فتحي الابياري يعد دراسة تحليلية نقدية عن « الرواية المصرية والبناء الثوري » تتناول الرواية المصرية التي كتبها تيمور، وفتحي غانم، ونجيب محفوظ وعبد الحليم عبد الله ، ويوسف ادريس ، وعبـــد الحميد جودة السحار وعبد المنعم الصاوي ، وثـروت اباظة ، ويوسف السباعي ، واحسان عبد القدوس وغيرهم .

* سيصدر بالقاهرة للمستشرق الفرنسي جـاك بيرك كتابان هما : « مصر من الاستعمار الى الثورة» و « العرب وتاريخهم » .

* قام المجلس الاعلى بالقاهرة بترجمة «حياة محمد» الذي ألفه الدكتور محمد حسن هيكل و « الاسلام عقيدة وشريعة » الذي الفه الشيخ محمود شلتوت . وكلاهما ترجم الى اللغة الانجليزية .

* تم طبع خماسية « الساقية » لعبد المنعم الصاوي

* « ادب المقاومة » كتاب صدر من تأليف عباس خضر .

* نعت القاهرة الدكتور محمد غنيمي هلال صاحب المؤلفات العديدة في الادب والنقد .

* الجزء الثاني والعشرون من كتاب « قصة الحضارة » صدر ، وهو من تأليف ول ديورانت . وكانت ترجمة هذا الكتاب المهم توقفت عدة سنوات بسبب وفاة المترجم .

* انتهى اخيرا طبع كتاب انيس منصور الجديد الذي يحمل عنوان : « نظرات في ادبنا المعاصر » .

* يعكف الشاعر عبد المعطي حجازي على تأليف كتاب يتحدث عن جوانب لم يطرقها اي اديب عن شاعرية احمد شوقي .

* من الكتب الجديدة التي صدرت بالقاهرة مؤخرا : « قراءة جديدة لشعرنا القديم » من تأليف الشاعر صلاح عبد الصبور ، « عصافير الفجر » وهي رواية للسيدة ليلى عسيران .

* يشتغل نبيل ياسين في كتاب يتناول فيه مقدمات شعر المقاومة واهدافه مع وجهات الارتباط بين الشعر والكفاح المسلح في اطار تحليل شعر المقاومة .

* تقرر عقد مؤتمر للناشرين العرب في القاهرة من 22 الى 30 يناير القادم . وذلك اثناء اقامة معرض القاهرة الدولي للكتاب .

* رصدت الجامعة العربية مبلغ خمسين الف جنيه لاخراج القاموس العسكري الموحد . الاول للجيوش العربية في شكله النهائي مطبوعا ، وهو القاموس الذي اعدته لجنة توحيد المصطلحات العسكرية بالجامعة .

* صدر عن دار الكتاب العربي بالقاهرة « الحضارة السامية القديمة » من تأليف سبيتينوموسكاتي ، وترجمه الدكتور السيد يعقوب بكر .

* توجد بمكتبة دمياط بالجمهورية العربية المتحدة 3360 مخطوطا أثريا نادرا . ستشكل لجنة علمية لتحقيق ودراسة هذه المخطوطات .

* بكلمة عن المرحوم احمد حسن الزيات ، افتتح الدكتور طه حسين دورة المجمع اللغوي الخامس والثلاثين بالقاهرة .

* نعت القاهرة الشيخ احمد امين الهراوي احد علماء الازهر .

* «ابو نواس » كتاب جديد صدر بالقاهرة ، وهو من تأليف الاستاذ عبد الحليم عباس .

* عن دار الكاتب العربي بالقاهرة صدر كتاب « محيى الدين بن العربي » وهو من تأليف الاستاذ عبد الحفيظ فرغلي القري ، كما صدر عن نفس الدار كتاب « الدراما الاغريقية » من تأليف ابراهيم سكر .

لبنان :

* « زكي مبارك في العراق » اسم كتاب صدر في هذا الاسبوع في بيروت ، وهو من تأليف الاستاذ عبد الرزاق الهلالي . تناول فيه الحركة الادبية في العراق من سنة 1938 ، وما كان للدكتور زكي مبارك من تنشيط لهذه الحركة في العراق .

* تأسس مؤخرا في لبنان ، اتحاد الكتاب اللبنانيين. وقد انتخبت هيئة مؤقتة لتسييره تتكون من : الدكتور سهيل ادريس ، وجوزيف مغيزل ، منير البعلبكي ، ادونيس . قسطنطين زريق ، ليلى بعلبكي ، محمد يوسف نجم ، خليل حاوي ، جورج غانم ، كامل العبد الله .

* عن دار الثقافة ببيروت تصدر الكتب الآتية : « تاريخ الشرق الاوسط » « في افريقيا الخضراء » « اعلام من لبنان والمشرق » «تاريخ الحروب الصليبية»

* « مذكراتي خلال قرن » — كتاب ضخم يقع في نحو 800 صفحة اصدره الدكتور فؤاد غصن — رئيس جمعية اصدقاء الشجرة بلبنان .

* عقد ببيروت مؤتمر الادباء العرب في الاسبوع الاخير من شهر دجنبر المنصرم .

* احتفل ببروت بالذكرى العشرينية لوفاة شاعر الاقطار العربية خليل مطران برعاية وزارة التربية اللبنانية .

* صدر للشاعر اللبناني الكبير بولس سلامة كتاب ضخم بعنوان « مع المسيح »

* مسرحية « صراع » لرشاد دارغوث ، صدرت في بيروت عن دار منشورات دار الريحاني ببيروت صدر كتاب « قصر الفيوم واساطير اخرى » من تاليف لورين الريحاني .

* « سنابل القصب » ديوان شعري صدر لمؤلفه نجيب جمال الدين بتقديم سعيد عقل .

* « رياحين وذكرى » ديوان الشاعر المهجري جان زلاتط صدر في هذه الايام بمقدمة الشاعر زكي قنصل .

* فازت الدعوى التي اقيمت على ناشري مؤلفات جبران خليل جبران باللغة الانجليزية . ويقدر الربح الذي حصل عليه أكثر من مليون دولار هي حقوق طبع متأخرة . لكن جبران ليس له من وارث شرعي موجود على الحياة . وهنا برزت المشكلة .

سوريا :

* سيصدر للدكتور سامي الدهان كتاب بعنوان : « شعراء سوريا » يتضمن دراسة عن كبار شعراء سوريا المحدثين كبدوي الجبل ، وعمر ابو ريشة ، وشفيق جبري ، وخليل مردم ، وخير الدين الزركلي ، ومحمد البزم ، وغيرهم من الشعراء .

* خلال الايام الاخيرة اقيم بدمشق معرض للخط العربي ، وذلك في المتحف الوطني .

* عن دار الثقافة بدمشق صدر ديوان شعري بعنوان « رحلة الضياع » لسعيد قندتجي .

* « الرقة كبرى المدن الفراتية القديمة » كتاب ظهر في الاسواق مؤخرا وهو من تاليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى للفنون .

* الشاعر علي دمر صدر له ديوان تحت عنوان : « غيبوبة الحب » ، وذلك عن دار الثقافة بدمشق .

* مسرحية « الملكة زنوبيا » للشاعر السوري المعروف عدنان مردم بك ، ستصدر في بيروت عن دار عويدات ، وتقع المسرحية في اربعة فصول .

* «حكايا النورس المهاجر» و «في انتظار غودوت» و « العالم الثالث » و « تاريخ خليفة بن خياط » هذه الكتب صدرت عن وزارة الثقافة السورية .

العـراق :

* « شذا الطيب في ذكرى العلامة السيد اسماعيل الخطيب » صدر مؤخرا هذا الكتاب بالعراق من تاليف الاستاذ هاشم الخطيب ، كما صدر كتاب بعنوان « أخبار شعراء الشيعة » ، وهو من تأليف ابي عبد الله محمد بن عمران المرزباني الخرساني المتوفى 384 هجرية . قام بتلخيصه الاستاذ الباحث السيد محمد صادق الاميني .

* « تطور حقوق الانسان » عنوان كتاب صدر مؤخرا للاستاذ روكس بن زائد العزيزي .

* شيعت في بغداد جنازة الكاتب العربي المعروف ساطع الحصري الذي توفي في العاصمة العراقية عن عمر يناهز 85 سنة ، وقد حضر تشييع الجنازة ممثل عن الرئيس احمد حسن البكر وسفير الجمهورية العربية المتحدة ورئيس جامعة بغداد وعمداء كلياتها وجمهور كبير .

وللسيد الحصري مؤلفات عديدة معظمها في الادب والتاريخ العربي والقومية العربية بينها — العروبة اولا — و — دفاع عن العروبة — والبلاد العربية والدولة العثمانية .

* قام الاستاذ عبد اللطيف الدليشي بجمع « الامثال الشعبية فى البصرة » . وصدرت بهذا العنوان .

* صدر مؤخرا كتاب « عبد الوهاب عزام فى حياته وآثاره الادبية » يتضمن مجموعة من المحاضرات التي القاها الدكتور محمد زكي المحاسني على طلبة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية بمعهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة . تناول الدكتور المحاسن فى هذه الدراسة معرفته بالدكتور عبد الوهاب عزام ، ثم عزام الجامعي ، وعزام رائد العروبة واديبها ، وعزام الصوفى ، كما تطرق الى مؤلفات عزام ورحلاته . وقد الم المؤلف الماما شافيا بحياة عزام من جميع نواحيها ، مما يجعل كتابه هذا يتصدر اهم كتب التراجم الصادرة بالعربية .

* فى النجف صدر ديوان الياسري للاستاذ حسن الياسري قام بجمعه وتحقيقه ونشره والتعليق عليه الاستاذ عبد الجبار الساعدي .

* كشف باحث فى المتحف العراقي عن وثيقة مدونة على الطين بالخط المسماري تذكر وتعدد الوظائف التي شغلتها المراة العراقية قبل غيرها من نساء العالم فى الالف السنين . وقد وجد الباحث أن المرأة العراقية شغلت مناصب منها « السفارة » ، ورئاسة التشريفات وغيرها من الوظائف ذات المسؤولية .

* مديرية الآثار العامة فى العراق انتهت من اعداد دليل موسع باللغة العربية عن جميع المواقع الاثرية فى العراق وستقدمه للطبع .

* « القلق » عنوان الملحمة الشعرية التي انتهى من تحريرها الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري .

* ستقوم منظمة اليونيسكو العالمية بتاليف كتاب مصور يتضمن التعريف بالفن السومري وستصل بعثة الى بغداد للقيام بتصوير المناطق التي ازدهرت فيها الحضارة السومرية لتلحق بهذا الكتاب .

* صدر فى العراق كتاب « تحفة الادباء وسلوة الغرباء » وهو عبارة عن رحلة ابراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني المتوفى سنة 1083 . قام بتحقيق هذا الكتاب وشرحه السيد رجاء السامرائي . وصدر فى سلسلة التراث .

* « الامل الظمآن » ديوان للشاعر محمد حسين آل ياسين ، صدر فى هذا الاسبوع ببغداد .

* عن منشورات البصرى ببغداد صدر كتاب « غاية المرام فى تاريخ محاسن بغداد دار السلام » للشيخ ياسين خير الله العمري الخطيب الموصلي .

* « اوراق التوت » صدر هذا الديوان فى بغداد للشاعر طراد الكبيسى .

المملكة العربية السعودية :

* خصصت الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة 280 منحة جديدة لابناء المسلمين فى شتى اقطار العالم.

* « مشاهدات وانطباعات واحاديث عن الاسلام والمسلمين » عنوان كتاب صدر عن دار اليمامة فى الرياض ، وهو من تاليف الاستاذ محمد بن ناصر العبودي الامين العام للجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة .

* تمتينا للتعاون الثقافي بين المملكة السعودية وبين امارات الخليج العربي — قررت السعودية تأسيس معهد ديني فى الشارقة .

* عدد كبير من الطلبة السعوديين خرجوا فى هذه السنة للدراسة فى الخارج .

الاردن :

* غادر عمان الى بيروت المستر كارل برونر القيم على الآثار العربية فى المناطق التى تحتلها اسرائيل . وقد سلمته الحكومة الاردنية مذكرة حول مخلفات اسرائيل وانتهاكها حرمة الاماكن الاثرية والمقدسة فى الضفة الغربية .

السويد :

* منحت الاكاديمية السويدية جائزة نوبل فى الاداب سنة 1968 الى الاديب الياباني ياسوناري كاوابات تقديرا لمؤلفاته التي ابرز فيها ميزات الفكر الياباني المعاصر . وهذا هو اول مفكر ياباني يفوز بهذه الجائزة.

وكان عالمان يابانيان قد فازا سنتـــي 1919 و 1965 بجائزة نوبل فى الفيزياء . وقد تسلم الروائي الياباني الجائزة التي هي عبارة عن مبلغ مالي قدره 335.000 فرنك اثناء حفل رسمى فى ستوكهولم برئاسة الملك .
ولد ياسوناري بمدينة اوسكا سنة 1899 وفقد كـــل اهله وهو صبي . وعندما بلغ 14 سنة لقي نفسه وحيدا فى الحياة . ومع ذلك وجد القدرة اللازمة على متابعة دراسته ، وتعاطى بعد تخرجه الاداب بكل طاقاته .
وقد أصدر كواباط 16 كتابا ، وهو اديب مرمـــوق فى بلاده ومعروف كذلك فى الخارج ، وخاصة بعـــد ان ترجم كتابه « بلاد الثلج » الى اللغات الغربية . ومـــن المنتظر أن يصدر له كتابان فى فرنسا فى هذه السنة .

أمـــريكـــــا :

※ توفى الاديب الاميركي جون شتاينبيك فى نيويورك عن سن تناهز السادسة والستين . وكـــان الاديـــب الاميركي يعاني فى الايام الاخيرة من نوبات قلبية لـــم ينفع فيها علاج الاطباء الاختصاصيين فى امراض القلب. وقد سبق له أن فاز بجائزة نوبل للاداب سنـــة 1962 تقديرا لانتاجه الذي ترجم لجميع اللغات الحية . ويعتبر من ألمع المفكرين المعاصرين فى الدول الغربية .

فهرس العدد الثاني